مخطوط رقم	3716 م.ك	الموضوع	تفسير
العنوان	تفسير القران		
المؤلف	ابن قرقماس ناصر الدين محمد بن عبدالله ـ 882 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (9) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ معتاد	عدد الأوراق	215
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

تستعجل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب فخرج اليه فرآه ومعه مائة من الابل في

اولاد الاحمال وهذا ... في البطن من الولد ...

بذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة

قروء قال معاذ بن جبل يا رسول الله لو كانت المراة ايسة لا تحيض كيف تعتد فنزل

واللائي

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فقام رجل اخر وقال لو كانت صغيرة كيف عدتها فنزلت

نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن اي مكانا من مسكنكم مما تطيقونه

وهو امر الله لعباده اذا طلق احدهم امراة ان يسكنها في منزله حتى تنقضي عدتها

فقال اسكنوهن من حيث سكنتم اي عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد

3716

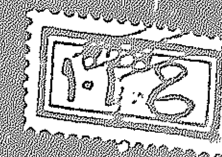
TAFSĪR AL-QUR'ĀN, by Nāṣir al-Dīn Muḥammad b. 'Ab
Allāh B. QURQMĀS (d. 882/1477).

[A volume of an elaborate commentary on the Qur'ān.]

Foll. 215. 26·8 × 18 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 9/15th century.

No other copy appears to be recorded.



الى دنى حضر

من سورة النجم الى سورة المرسلات

قطعة من ... محمد بن عبد الله بن [illegible] سنة اثنين وثمانين و[illegible] في كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون

عرش
٥٠

نجم ١	قمر ٢٠	رحمن ٢٧	واقعة ٣٧
حديد ٥٢	مجادله ٦٧	حشر ٧٨	ممتحنه ٩٤
صف ١٠١	جمعه ١٠٥	منافقون ١٠٩	تغابن ١١٣
طلاق ١١٨	تحريم ١٢٠	ملك ١٢٣	ن ١٤٢
حاقه ١٥١	معارج ١٥٧	نوح ١٦٧	مزمل ١٧٥
مدثر ١٨٤	قيمه ١٩٣	انسان ١٩٩	مرسلات ٢٠٨

5

سورة والنجم

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى

التفسير قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى هذه السورة مكية الا سبع ايات من افرايت الذي تولى نزلن بالمدينة وهي اثنتان وستون اية في الكوفي واحدى وستون في الباقي ومناسبة هذه السورة لسابقتها في غاية الظهور من وجوه احدها ان قريشا لما قالوا في تلك السورة انه اختلق القران ونسبوه الى الشعر وقالوا انه كاهن وهو مجنون فاقسم الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى فحاج الله تعالى عنه بالقسم براءته مما نسبوه اليه وان ما ياتي به وحي من الله ثانيها انه ختم تلك السورة بقوله وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم اي في وقت ادبار النجوم اي غروبها وافتتح هذه السورة بقوله والنجم اذا هوى ثالثها ان انتظام السورتين في معاضدة ... لكن في هذه السورة زيادة تخصيص لسيد المرسلين وبيان تفصيل الاولين قوله تعالى والنجم اذا هوى اقسم الله تعالى بالنجم قال ابن عباس ومجاهد والفراء ومنذر بن سعيد هو الجملة من القران اذا نزلت وقد نزل القران نجوما وقاله الحسن ايضا وابو حمزة اليماني النجوم اذا انتثرت في القيامة وقال ابن عباس ايضا هوى انقض في اثر الشياطين وهذا تساعده اللغة وقال الاخفش والنجم النبت اذا طلع وهويه سقوطه على الارض وقال مجاهد وسفيان هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها بالغلبة ولا تقول العرب النجم مطلقا الا للثريا وقالت العرب طلع النجم عشاء فابتغى الراعي كساء طلع النجم غديه فابتغى الراعي كسبة وقيل

الشعرى

الشعرى واليها الاشارة بقوله وانه هو رب الشعرى والكهان والمنجمون يحكمون على المغيبات عند طلوعها والمراد الثريا لا الشعرى لان العرب عبدتها وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع واراد بالنجم الثريا وقال في الشعرى وغيره الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغي ان يقسم الا بالخالق رواه ابن ابي حاتم وقوله ما ضل صاحبكم وما غوى هذا القسم عليه وهو الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه اي ما عدل عن الصواب وقيل ما خاب مما طلب من رضى الله تعالى ورحمته وقيل ما ضل في دينه الذي يدعوكم اليه وما غوى اي ما خرج عن الرشد في اسباب يفسد من امور دنياه وبقائها لانه عرفهم بالمنزل به معروفا من الامانة والسداد فاقسم الله تعالى بانه راشد تابع للحق ليس بضال ولا جاهل والجاهل هو الضال السالك طريقا بغير معرفة والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا الى غيره فنزه الله رسوله عن مشابهة اصحاب الضلال كالنصارى واصحاب الغي كاليهود والطائفتين علموا الحق وكتموه وعملوا بخلافه بل هو صلى الله عليه وسلم وما بعثه الله تعالى به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاستداد والاعتدال والسداد ولهذا قال وما ينطق عن الهوى اي ما يقول قولا عن هوى وغرض ان هو الا وحي يوحى اي انما يقول ما امر به ان يبلغه للناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الاخنس انا الوليد ابن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه قالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر يتكلم في الغضب فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق ورواه ابو داود عن مسدد وابي بكر بن ابي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان وبه قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا احمد بن منصور ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اخبرتكم انه من عند الله فهو الذي لا شك فيه ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا اقول الاحقا فقال له بعض الصحابة فانك تداعبنا
يا رسول الله قال انى ما اقول الا حقا ٥ وروى عن عروة بن الزبير انه قال اراد عتبة بن ابي
لهب الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد انه كافر
بالنجم اذا هوى والذى دنى فتدلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال لقد اغناك الله يا ابن اخي عن
هذه الدعوة فوقع ابن اخيه فرجع عتبة الى ابيه فاخبره بذلك ثم خرجوا الى
الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة
قال عتبة لاصحابه اعينوني في هذه الليلة فاني اخاف دعوة محمد فجمعوا اجمالهم
فاناخوها حولهم واحدقوا بعتبة وفرشوا له وسطهم وناموا فجاء الاسد يتشمم
وجوههم ثم وثب فضرب عتبة ضربة واحدة فخدشه فصاح عتبة فقتله ومات
مكانه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكان كنيته ابو واسع وانشد
فيه ابو حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه

سائل بني الاشعر ان جئتهم ... ما كان من شان ابي واسع
لا وسع الله له قبره ... بل ضيق الله على القاطع
رمى رسول الله من بينهم ... دون قريش رمية القارع
فاستوجب الدعوة منه بما ... بين للناظر والسامع
ان سلط الله به كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادع
حتى اتاه وسط اصحابه ... وقد علتهم سنة الهاجع
فالتقم الراس بيافوخه ... والنحر منه فغرة الجائع
ثم علا بعد بانيابه ... منعفرا وسط دم ناقع
قد كان هذا لكم عبرة ... للسيد المتبوع والتابع
من يرجع العام الى اهله ... فما اكيل السبع بالراجع

قوله تعالى علمه شديد القوى ... شديد القوى هو جبريل
عليه السلام قاله ابن عباس وهو مناسب للاوصاف التي بعده وقال الحسن
شديد القوى هو الله تعالى وقول ابن عباس اولى بالمعنى ومن قوته ما ذكرناه

في السماء الثالثة لان يوسف عليه السلام تدخل على حسنه الجنة فارى للنبي صلى الله عليه وسلم هناك
بشارة له ان امته تدخل الجنة على حسن يوسف عليه السلام فليستبشر بذلك وانما كان
ادريس في السماء الرابعة لانه عليه السلام هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض لما طلب
الموت من عزرائيل عليه السلام واذن الله تعالى لعزرائيل في قبض روحه واعادها اليه
ثم دخل الجنة وابى ان يخرج منها والجنة معلومة بالخبر انها في السماء الرابعة وانما كان
هارون عليه السلام في السماء الخامسة لانه ملازم لموسى لاجل الاخوة وخليفته في قومه
فكان هناك من اجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السماء السادسة
لان لموسى مزية عليه وهو كونه كليم الله واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى
لم يكن معه في السماء السادسة وانما كان ابرهيم عليه السلام في السماء السابعة لانه
الخليل والاب الجليل ولان النبي صلى الله عليه وسلم يصعد من هناك الى عالم اخر غير ما
هو فيه الان وهو اختراق الحجب فيحتاج اذ ذاك ان يتخذ له انس ابعا لان الغربة
زادت فكان لقياه بابرهيم هناك لاجل ما يجد النبي صلى الله عليه وسلم من الانس
به وذلك لثلاث جهات لكونه الاب الثالث لان الاب الثاني نوح عليه السلام ولكونه
ابا من الطرفين بالنسب في الابوة وبالاتباع في الملة كما قال ملة ابيكم ابرهيم ولكونه
الخليل كما تقدم ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك
المقام وكان الخليل فوق الكل لاجل خلته فضله وارتفع الحبيب فوق الكل
لاجل ما اختص به مما زاد عليهم يدل على ما قررناه الكتاب والسنة اما الكتاب
فقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات واما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام ادم ومن دونه تحت لوائي
واما رؤيته عليه الصلوة والسلام لهولاء الانبياء عليهم السلام فاحتملت وجوها
الاول ان يكون عليه الصلوة والسلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على
الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة
في البصر والبصيرة بما ادرك ذلك ٥ الوجه الثاني ان يكون مثل له صورهم
والقدرة صالحة لكليهما او يكون عليه الصلوة والسلام عاين ارواحهم هناك
في صورهم ٥ والثالث ان يكون الله عز وجل رفعهم من قبورهم الى منازل ارواحهم

تلك المواضع اكراما لنبيه عليه الصلوة والسلام وتعظيما له ليحصل له من قبلهم
ما قد اشرنا اليه من الاسرار والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن واظهارا
له عليه الصلوة والسلام للقدرة التي لا يعجزها شي ولا تعجز عن شي وكل هذه الوجوه
محتمله ولا ترجيح لاحدها على الاخر اذ ان القدرة صالحة لكلها ٥ وايضا لما كان النبي صلى
الله عليه وسلم اعلى الانبيا مقاما اطلع على ما تقدم حين صعوده ولم يطلع احد
منهم على مقامه الخاص به ثم اخبر صلى الله عليه وسلم عن البيت المعمور فقال
رفع الى البيت المعمور معناه انه اري له وقد يحتمل ان يكون المراد الرفع والروية معا لانه
قد يكون بينه وبين البيت عوالم تمنعه ادراكه فرفع اليه وامدّ في بصره حتى راه وقوله
صلى الله عليه وسلم فسالت جبريل عنه فقال لي هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم
سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا فيه دليل عظمة ملكه وسعته وكثرة عالم
الاملاك وان قدرة الله عز وجل لا يعجزها شي لان هذا البيت يصلي فيه كل يوم
هذا العدد العظيم منذ خلق الخلق ثم طايفة ذلك اليوم لا ترجع اليه ابدا ولا تعود
لهم بعده مرة ومع هذا انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر
وقيل ولا قدر اربعة اصابع الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا ثم انهما لـ
وما بها قطرة الا وملك موكل بها فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهولا
الملايكة الذين يدخلون البيت المعمور ثم يخرجون منه اين يذهبون هذا من عظيم
القدرة التي لا يشبهها شي ولا تتوقف على شي وفيه دليل على ان الملايكة اكثر من ساير
المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم يصلون في البيت على ما تقدم ثم
لا يعودون مع ان الملايكة في السموات والارض والبحار على ما تقدم ذكره فهم على هذا
الظاهر اكثر المخلوقات ٥ وقد روي ان لله ملكا له خلق عظيم يطول وصفه يغتسل
كل يوم ثم ينتفض في ريشه فكل قطرة تقطر منه يخلق الله تعالى منها ملكا ٥
وقد روي ان ثم ملايكة يسبحون الله عز وجل فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا
هذا ما عدا ملايكة السموات والارض والبحار وقد خلقوا للتعبد وما عدا الملايكة
الموكلين بالنبات والارزاق وما عدا الحفظه ٥ وفيه دليل على ان الصلوة افضل
العبادات لانها اشترك فيها العالمين اعني العالم العلوي والسفلي اذ هم مامورون

جميعهم

جميعهم بعباده الله تعالى وفيه دليل على استغنا الله تعالى عن خلقه وانه لا تنفعه طاعة
الطايعين ولا تضره مخالفة العاصين لانه عز وجل خلق هذا الخلق العظيم ووكل بعضهم
بحفظ منافع بعض ووكل بعضهم بفعل اشيا واتقانها والكل ليس بيدهم في ذلك شي
ولا لهم على ما يفعلون قدرة بل قدرة الله عز وجل هي الحافظة لكل ذلك والمصلحة له ٥
ثم انه خلق الخلق وقسمهم على اقسام فقوم خلقهم للسعادة لا غير واختصهم بعبادته
وجعل العبادة لهم قوتا وعيشا ويسرها عليهم واجراها لهم كالنفس لبني ادم وهم
الملايكة وقوم خلقهم للشقا والطرد والبعد وجعلهم اهلا للشر واسبابه وهم الشياطين
وقوم خلقهم وادارهم بين هذين القسمين شقي وسعيد ولهم الثواب على الطاعات
والعقاب على المخالفات وهم بنو ادم والجن وانا اوصيك ان تدوم في الخلوة النظر في
مراة الفكر ولهذا قال عليه الصلوة والسلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة وفي رواية
خير من عبادة الدهر لانه اذا تفكر المرء في شي من هذه القدرة العظمى والحكمة الكبرى بان له
الحق واتضح فادعن عند ذلك لله وسلم له في مقدوره وازداد بذلك محبة في التعبد
لمن له هذا الملك العظيم فهو اذا انس بالخلوة عن الخلق ويقوم بالعبادة للحق واما
احاديث الاسرا التي اوردها العالم العلامة ابو الربيع في شفا الصدور ومن حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث
الاسرا كما ورد في الامهات فاتينا سدرة المنتهى وانما سميت بهذا الاسم لان كل شي
اليها ينتهي مما يصعد من اسفل ومما ينزل من العالم العلوي من الامر العلي فاذا نبقها
كانه قلال هجر وورقها كانه اذان الفيول ثم بين لنا حال هذه الشجرة مغروسة
في شي ام لا فنقول القدرة صالحة لاحتمال الوجهين معا لان الله تعالى كما جعل الارض
للشجر مقرا كذلك يجعل الهوا لشجرة المنتهى مقرا وكذلك استقرار الارض على الما
بما فيها على ما جاءت به الاخبار فامسكها بمن تمشي عليها اعظم في القدرة والنبي
صلى الله عليه وسلم كما مشى على الارض مشى في الهوا والقدرة صالحة ليست مرتبطة
بالعادة الجارية ولو شا الله عز وجل ان يجعل الامر بالعكس لفعل كما روي ان انهارا الجنة
تجري من غير اخدود فمن كانت هذه القدرة قدرته فكيف يقع الانكار ان يكون
شجرة في الهوا مع عظم قدرها وفي تلك الليلة المباركة راى تعبد الملايكة في العالم

ا اعلوى فمنهم قيام لا يلتفتون ومنهم ركوع لا ينحرفون ومنهم سجود لا يرفعون فاذا
كان يوم القيمة قالوا باجمعهم سبوح قدوس ما عبدناك حق عبادتك فجمع الله لنبيه
عليه السلام ولامته جميع تلك العبادات في ركعة واحدة في اقل زمان واقرب فعل وهو قدر
الطمانينة للاعضا على ما نقل عنه عليه السلام في حديث الاعرابي حيث قال له اركع حتى
تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قايما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا الحديث ...
من احاديث ... من الحجب محجوبة
من احاديث الاسرى خرجها ابو الربيع في شفا الصدور عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ذكره مبدا حديث الاسرى كما ورد في الامهات الى ان قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى الى حجاب الذهب فحرك الحجاب
فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله اكبر فاخرج يده
من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة
خمسماية عام فقال لي تقدم يا محمد فقلت لا بل انت تقدم قال يا محمد تقدم فانت اكرم على الله
مني فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللولو فحرك الحجاب فقال
الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم
معي رسول رب العالمين فقال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى
وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعماية حجاب ثم بعد وسبعين
ذلك زجني يد القدرة زجة قطعت بتلك الزجة سبعين الف حجاب ظهرت بعدها
المستوى اسمع فيه صريف القلم فتضلعت من علوم الصريف ثم تدلى لي الرفرف
الاخضر الذي ياتي ذكره ان شا الله غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام ثم دلي
لي رفرف اخضر فغلب ضوءه ضوء بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني
حتى جاوزت العرش فلما رايته اتضع كل شي عند العرش ثم ان الله تعالى بحوله وقوته
وتمام نعمته على قربني فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن فسالت ربي ان يمن علي
بالثبات حتى استتم بها نعمته علي فمن الله علي وقوانى لذلك ونزلت قطرة فوقعت
على لساني فما ذاق الذايقون قط شيا احلى منها فانباني الله بها نبا الاولين والاخرين
ونور قلبي ورايت من خلفي ومن بين يدي كما رايت امامي فقد اخبركم في كتابه ما كذب

الفؤاد

الفؤاد ما راى فرايت بعين قلبي ما لا استطيع القول عنه ثم قوله افتمارونه على ما يرى
وهي روية بصرية يعجز اللسان عن حصرها ووصفها ورايت عرش ربي كما ينبغي لكرم
ربي وعزته ورايت ما انساني كل شي كنت في القرب من الله كما قال فكان قاب قوسين
او ادنى فما زال بي سروري وفرحي بالله ما وجدت حلاوة وكرامته فاضمحل عني كل هول كان
قبل ذلك وانجلى عن روعي اطمان قلبي وامتلا سرورا وسرورا وقرت عيناي ووقع الاستبشار
والطرب حتى ... كالقنديل وانكشف مباشرة الاتراصوات الملايكة ولم ار عند
رويته ربي احدا من خلقه ... الا اذكر شيا بعد فوات موضعه فلا باس بذكره
ليكون الكلام متوشحا متوشحا ملتفتا بعضه الى بعض اخذا كل طرف منه بطرف كانه شوامر
وذلك المفتاح العظيم في تحياتها تعلق بالعقايد على القواعد فنقول حتى جا المكلف في هذه
الظواهر كقول القايل له جبريل يلغ الحضرة حتى وبك ... هي حضرة الملك الخلاق عليها ط
القدوة المنزه عن الاين والمكان والحد والزمان فالهمني الله تعالى ان قلت التحيات لله
والصلوة والطيبات فكان الجواب من الجليل التواب السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته فهو صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه وكرم نفسه لم تخصص ذاته على انفرادها
بالسلام بل اشرك معه السادات الاعلام وقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
واردف قوله بشهادة الازل وهي التي شهدها الله عز وجل لنفسه بنفسه قبل ان يخلق
الخلق بالفي الف عام نشهد لله بالوحدانية والالوهية وشهد لنفسه بالعبودية والرسلية
قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا ايجاز من الله الى عبده ورسوله من غير واسطة
جبريل في محل لا يطلع عليه ملك مقرب ولا احد من خلقه وكان من جملة الايجاز خمسين صلاة
عليه وعلى امته في كل يوم وليلة ورد لي الى الرفرف الاخضر الذي كنت عليه فاهوى بي الى
جبريل عليه السلام وارتفع الرفرف حتى توارى عني فقال لي جبريل عليه السلام ابشر
يا محمد فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك الله بما لم يحب به احدا من خلقه لا ملكا
مقربا ولا نبيا مرسلا ولقد قربك اليه قربا لم يصل اليه احد من اهل سمواته ولا من اهل
الارض فهناك الله كرامته وما حباك به فقد سمعت الكروبيين وما فوقهم وصوت
العرش وصوت الكرسي واصوات سرادقات النور حول العرش واصوات الحجب قد
ارتفعت حولها بالتقديس والتسبيح لله عز وجل والثنا عليه والتحميد له وسمعت كل

الاصوات التي اسمعها في الملاء الاعلى منها صرير ومنها رجيب ومنها همهمه
ومنها دوي فلقني بعضها من بعض فحمدت الله تعالى على ما اصطفاني له واكرمني به
وهذه دلالة [...] لنبينا صلى الله عليه وسلم على سليمن عليه السلام حيث علم
الله تعالى سليمان لغات مخلوقات الارض وفهم الله تعالى محمدا صلوات الله عليهما لغات مخلوقات
الملا الاعلى واعلا بساط سليمن على الريح واعلا محمدا باختراقه السبع الطباق على
رويه ذلك الخلائق ثم هبط النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل صلوات الله عليه
حتى مر بموسى عليه السلام فاحتبسه موسى فقال يا محمد ما عهد اليك ربك قال
خمسين صلوة كل يوم وليلة فقال موسى ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع الى
ربك فليخفف عنك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه
السلام كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ثم صعد الى السدرة
المنتهى تردد فيما قيل امره الى عبده بالتخفيف للحديث [illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى ربه عز وجل وكله ما اشتهر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه راه بعيني راسه واحتج
بقوله ما كذب الفؤاد ما راى [illegible]
[illegible] وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكاه
جماعة من المتكلمين عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى
محمد ربه قال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينيه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد بن حنبل والى هذا ذهب الشيخ
ابو الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين انه راى الله ببصره وعيني راسه وحكى
مكي والماوردي عن ابن عباس في قوله ثم دنى فتدلى هو الرب قال دنى من محمد صلى الله
عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شا الله ان يريه من قدرته وعظمته وقال
قال ابن عباس في قوله ثم دنى فتدلى [...] تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع الى ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات

وسمعت

وسمعت كلام ربي عز وجل [...] فكان قاب قوسين او ادنى ثم قال
جبريل انطلق بنا [...] حتى اريك ما لك فيها وما اعد الله لك فيها لتعرف الى ما
يكون بعد ذلك فتزداد بذلك في الدنيا زهادة الى زهادتك وتزداد رغبة في
الاخرة الى رغبتك [...] ففعلت ثم سرت مع جبريل عليه السلام [...] فهوى
بنا اسرع من السهم والريح حتى وصلنا باذن الله تعالى الى الجنة فلما دخلتها هدات
نفسي وذهبت روعتي وكلمت جبريل وانشات اساله كما كنت رايت في عليين ثم طاف
بي جبريل عليه السلام في الجنة باذن الله فما ترك مكانا الا ارانيه واخبرني عنه فرايت
القصور من الدر والياقوت والزبرجد والاشجار من الذهب الاحمر وقضبانها اللولو
راسخة في المسك ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فنظرت اليها فاذا ساقها لا يعلم
دوره الا الله تعالى في اغصانها اكثر من تراب الارض عليها من اصناف الجنة ضروب
شتى من طعام شتى فقلت يا جبريل لمن هذه فقال هذه شجرة لك ولازواجك واولادك
ولكثير من امتك تحت هذه الشجرة ملكا كبيرا وعيشا عظيما في يوم لا خوف عليكم
فيه ولا حزن ورايت نهرا يخرج من اصلها ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
يجري على رضراض در وياقوت ومسك اذفر وبياض الثلج فقال جبريل عليه
السلام هذا الذي اعطاك الله عز وجل الكوثر وهو التسنيم يخرج من تحت العرش
الى دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم يمزج به اشربتهم من العسل واللبن
والخمر وذلك قوله عز وجل عينا يشرب بها المقربون ثم انطلق بي نطوف في الجنة
حتى انتهينا الى شجرة في الجنة لم ار في الجنة مثلها فلما وقفت تحتها رفعت راسي
فاذا انا لا ارى شيئا من خلق ربي غيرها لعظمها وتفرق اغصانها وشممت فيها
ريحا طيبة لم اشم في الجنة ريحا فقلبت بصري فيها فاذا ورقها حلل طرائف
ثياب الجنة من بين احمر واصفر واخضر وثمارها امثال القلال العظام
من كل ثمرة خلق الله تعالى في الوان شتى يتعجب من تلك الشجرة وما رايت من حسنها
فقلت يا جبريل ما هذه الشجرة فقال هذه التي ذكر الله تعالى فيما انزل عليك قوله عز وجل
طوبى لهم وحسن ماب هذه طوبى لك يا رسول الله ولكثير من امتك في ظلها حسن مقيل
ونعيم طويل ثم انطلق بي جبريل عليه السلام يطوف بي في الجنة فاذا قصور في الجنة

من ياقوتة حمرا لا قصم فيها ولا صدع في جوفه سبعون الف قصر في كل قصر سبعون
الف دار في كل دار سبعون الف بيت وكل بيت سبعون الف خيمة من درة بيضا طولها
اربعة الاف باع يرى باطن تلك الخيام من ظاهرها وظاهرها من باطنها في جوانبها
سرر من ذهب لذلك الذهب شعاع كشعاع الشمس يكاد الابصار دونها وهي مكللة
بالدر والجوهر عليها فرش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور يتلالا فوق السرر حلي
كثير لا يقوم منها الا فوق كل وصف الواصفين تقصر عنه الالسن واماني القلوب
وحلي النسا على حدة وقد ضرب عليها الحجاب دون الستور في كل قصر منها وكل
دار وكل بيت شجر كثير سوقها الذهب واغصانها الجوهر وثمارها مثل التلال
في كل خيمة منها الازواج الحور العين لو دلت احداهن كفها من السما لاذهب نور
كفها ضوء الشمس فكيف بوجهها لا يصفن بوصفها الا من فوق ذلك حلالا لكل
واحدة منهن سبعون الف غلام ومن خدمها سوى خدم زوجها والخدم في النظافة
كما وصف الله تعالى في كتابه اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وقوله ويطوف عليهم
غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون ورايت في تلك القصور من الحبرة والنعيم والنضارة
والبهجة والسرور والشرب والكرامة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وذلك مرفوع معد انما ينتظر صاحبه من اوليا الله فما ظني ما رايت
فقلت يا جبريل في الجنة مثل هذا فقال نعم يا رسول الله كل قصر في الجنة مثل
الذي رايت وقصور كثيرة افضل مما رايت واكثر خيرا قلت لمثل هذا فليعمل
العاملون ثم انطلق بي يطوف في الجنة فما ترك فيها مكانا الا اراني باذن
الله تعالى ثم خرجنا من الجنة فمررنا بالسموات نحدر من سما الى سما مسلما على من
فيها من الانبياء وكلهم يتلقوني بالتحية والبشر وكلهم قالوا ما صنعت يا نبي الرحمة
والى اين انتهى بك وما صنع بك فاخبرتهم ففرحوا بذلك واستبشروا وحمدوا
الله على ذلك وسالوا لي المزيد والرحمة والفضل فلم ازل مع صاحبي واخي جبريل
لا يفوتني ولا افوته حتى اتى بي مكاني من الارض الذي اخذني منه وكان ذلك في ليلة
واحدة ثم انصرف بي الى مضجعي انا سيد ولد ادم في الدنيا والاخرة ولا فخر
وبيدي لوا الحمد ولا فخر والي مفاتيح الجنة يوم القيمة ولا فخر وانا مقبوض عن

قريب

قريب بعد الذي رايت من ايات ربي الكبرى وقد اصبت الشوق من بعد جهد ولما رايت من
احوالي وما رايت من ثواب الله جل ذكره لاوليائه وما عند الله من الخير وان كان ذلك كله
في ليلة من لياليكم واحدة ورايت جهنم واهلها فيها واهل الجنة فيها قبل ان يدخلوها
انظروا اليكم فاخبرت بذلك قومي فكذبوني غير ابي بكر رضي الله عنه [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه وسلم لما رفعني الرفرف الى المستوى
وانقطع عني حس كل ملك وانس بحسي وعند ذلك استيحاشي فعند ذلك نادى
مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينا انا اتفكر في ذلك فاقول لقد سبقني صاحبي
ابو بكر الى هنا فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدنو
الحبيب قلت ان ربي ناداني فدنا من ربي حتى كنت منه كما قال فكان قاب قوسين او
ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى اوحى الي علم
لا يقدر من خلقه غيري على حمله فكلمته سرا الى ابي بكر وعمر وعثمان واليك يا ابا الحسن
وكان من امر الاسرى ما كان بيني وبين ربي ثم امتي ثم قلت اللهم انك قلت
اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك وقبل ندائك اني سمعت مناديا
ينادي بلغة يشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت وقلت هل سبقني
ابو بكر صاحبي الى هذا المقام وان ربي لغني ان يصلي فما الذي يقال انا الغني ان اصلي
لاحد وانما اقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد قلت وما اقرا
يا رب قال اقرا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الاية فصلاتي
رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان موسى كان انس بالعصى فلما
اردنا كلامه قلنا له وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشرع بذكر العصى
وشغل بذكرها عن عظيم الهيبة وانت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر
وهو انيسك في الدنيا والاخرة خلقت ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك
الاستيحاش ولئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك وكان
عندنا رفيق جبريل عليه السلام فقلت يا اخي يا جبريل في هذا المقام يفارق الخليل
خليله فقال ان جاوزته احترقت بالنور فقلت يا اخي يا جبريل هل لك من حاجة
الي فقال نعم يا محمد اذا حضرت بين يدي ربك فسله ان يجعلني ابسط جناحي

على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك
ثم زج بي في النور زجا فخرقت بي سبعون الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاب
قال النبي صلى الله عليه وسلم انسانى لي حاجة اخي جبريل فقلت اللهم انت اعلم :
بما سالتك ما محمد قد اجبته فيما سال وتلك في طائفة من امتك فقلت اللهم من تلك
الطائفة قال من صحبك ومن احبك واتبعك ۝ تنبيه جليل بان كون الشارع عليه
الصلوة والسلام جعل الصلوة فرقا بين الاسلام والكفر معنى ذلك ظاهر من وجوه ۝
الاول ان ذلك تنبيه للامة على تعظيم هذا الشعار لان ما فرض في ذلك المحل الجليل
بغير واسطة افضل مما فرض في غيره بالواسطة ۝ الثاني انها صلة بين العبد وربه
لان اسمها مشتق من الصلة فمن كان لا يقبل هذه الصلة مع ما يعود عليه فيها من حسن
العايد ولا يعظم منها ما عظم الله عز وجل فجدير ان يجعل حدا بين الاسلام والكفر لانها
اول فرض فرض على من اراد عمل الاسلام فاذا لم يوف ما فرض عليه فيكون شبها ما لا رتداد
بما ادعى من الاستسلام والانقياد ولهذا المعنى قال عمر رضي الله عنه فمن ضيعها فهو
لما سواها اضيع يعني الصلاه ۝ الثالث ان فيها من الترفيع للنبي صلى الله عليه
وسلم والتانيس ما ليس في غيرها وامته يتدرجون معه في ذلك فاما الترفيع
فلكونه صلى الله عليه وسلم خص بالارتقا لتلك المنزلة العليا لفرض الصلاة
هناك عليه صلى الله عليه وسلم بغير واسطه وذلك لم يفعل مع غيره من الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين ثم ترداده عليه السلام مخاطبا بين ربه عز وجل
وبين موسى عليه السلام زيادة له في الترفيع واما التانيس فلما فيها من شبه الحال
وما ذاك ان المصلي قد تخلى عن الاهل والمال والولد وتوجه الى الله عز وجل وانقطع
عن الخلق واستانس به كما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام واستيناسه
بربه في مقام قاب قوسين او ادنى وايضا مناجاة المصلي لربه بكلامه من غير واسطه
كمناجاة الله لنبيه عليه الصلوة والسلام من غير واسطه ورفع المصلي وانخفاضه
في ركوعه وسجوده كرفع النبي صلى الله عليه وسلم في الرفرف وتدليه عليه
والمحقق من المصلين يرى ذاته في عالم غير العالم الذي هو فيه كما راى النبي صلى الله
عليه وسلم بعد اختراقه الحجب رؤية الايات العظام والعقول الحضره عن

خمس

خمس واربعين من الفرض الاول ولو نصرا لحسنوا اتقا اجر الخمسين في الحسن والقرب
والتداني [illegible] فكان قاب قوسين او ادنى لقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
من ربه في حاله سجوده مع نفي التكييف والتحديد ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام
لا تفضلوني على يونس بن متى قال مالك انما خص يونس للتنبيه على التنزيه لانه
صلى الله عليه وسلم رفع الى اعلا العرش ويونس هبط الى قاموس البحر ونسبتهما
مع ذلك من حيث الجهة الى الحق جل جلاله نسبة واحدة [illegible]
[illegible] لو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلوة والسلام
اقرب من يونس بن متى وافضل مكانة لانه صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا واكرمهم
مكانة واعظم خلقا واشرفهم ولما نهى عن ذلك اعلمنا الله تعالى ان قلت انه
صلى الله عليه وسلم لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان
تنبيه على القدرة العظيمة لان بعد المكان وقربه عند الله سوا لكنه صلى الله عليه وسلم
ان لم يكن له الافضلية على يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى الحق عز
وجل فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق فانه سبحانه فضل الجهة
الاعلى على الحضيض الادنى قلت لم يقع التفضيل بالمكانة بلا اشكال فانه ما
وقع في الحديث من التفضيل المقيد دون المطلق والسلام والحظ ما قدمته من
قوله عليه الصلوة والسلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وقال عليه الصلوة
والسلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص عليه الصلوة والسلام ادم ومن دونه
تحت لواي وقد خص بالشفاعة الكبرى التي لم تذكر لغيره من الانبيا عليهم السلام فلم يبق
الا ان يكون قوله عليه الصلوة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى المسا فة
وان اسرى به واخترق السبع الطباق والحجب وصار في مقام قاب قوسين او ادنى ويونس
في لجة البحر فهما بالنسبة الى القرب من الله سبحانه على حد واحد والمراد بقوله
عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ان الباء تفيد المصاحبة اي صحبه في سراه
صحبة الالطاف والعناية والاسعاف والاعانة يشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم
انت الصاحب في السفر ويؤخذ من ذلك ان من قال لله علي ان احج بفلان يلزمه ان
يحج معه بخلاف ان لو قال لله علي ان احج فلانا فانما يلزمه ان يجهزه ليحج من ماله

ولا يلزم الناذر ان يحج معه بنفسه والفرق بين الصورتين ما تعطيه الباء من المصاحبة في قوله
سبحان الذي اسرى بعبده فتظهر لك خصوصية مصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم
للحق دون عموم الخلق [illegible] قيل لم لا كان تخصيص الاسرى بالنهار دون الليل [illegible]
لان تخصيص الاسرى بالليل اشرف واخص من النهار واشار لك عليه مثلا الا ترى الى
الفرق بين جليس الملك نهارا وجليسه ليلا وافهم خصوصية مجالسة الليل
على مجالسة النهار لان وقت الخلوة والاختصاص معروفة وايضا لعل تخصيص
الاسرى بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب ولتزداد فتنة الذين كفروا على
فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار ولعله ان عرج به نهارا لفات المومن فضيلة
الايمان بالغيب ولم يحصل للكافر ما قدر من الفتنة ولم يكن بازيد من قوله ذلك سحر
بخلاف ازدياد الفتنة لتعظيم الجحد والشقوة فان قيل ما الحكمة في كونه جعل
الاسرى ليلا مع ان ذلك انه اغرق فرعون نهارا وابرز جثته فقال فاليوم ننجيك
ببدنك لتكون لمن خلفك اية فان كان المراد بالاية الاظهار بالنهار فما وجه
الاسرى ليلا فالجواب المقصود من الاسرى ليلا التخصيص والمقصود من اغراق
فرعون وابراز جثته نهارا التحريض فشتان ما بين الحالين وجد بدن فرعون
المحروس بعد موته من اعدائه فان قيل لما كانت معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في المناجات على سبيل المفاجاة وكانت معجزة موسى لها ميعاد واستعداد
فالجواب حمل عنه صلى الله عليه وسلم الم الانتظار كما حمل عنه الم الاعتذار
اذ لا ابلغ في المفاجاة من قوله لنبينا انا فعلم من هذا الفرق بين المعجزة واعلم
ان من تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور وتدبر ما وصف صلى الله عليه
وسلم من الحجب التي كشفت ليلة الاسرى تبين له ان ظاهر ذلك النور هو الذي
حجب الابصار عن ادراك ذاته وعنه تجلت في الوجود معاني اسمائه وصفاته
وهو السر الذي يقام به كل شي من ارضه وسمواته كما قال عز وجل قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض وهو سر تقدم وراء ابتداعاته والامر العلي في
جميع الوجود والحياة في الاحياء والرحمة المنزلة في ملكوت الارضين والسما سر من سر
ابرز موجودات خلقه وحقيقة من حقيقة امره الحقايق الوجود فطرة فطر

عليها

عليها المفطورات والمبتدعات الحمد لله فاطر السموات والارض فطرة الله التي فطر
الناس عليها بعد علو الخالق سبحانه واقروا له بالربوبية وعلى انفسهم بالعبودية
يوم اخذ الميثاق في الجمع وقال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا اظهره الله عز
وجل من امره ذلك السر في القران العزيز الوجيز فشرح به الصدور وانطق به الالسنة
وجرت به الاقلام وانتظم به النظام ذلك الكتاب المبين والامام المبين والسر المكنون
والقلم وما يسطرون ووصف به نفسه وجميع ما كان وما يكون انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون ۞ قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه
الكبرى فيه ابهام او موصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاها اذ دل
اشيا لا يعلم وصفها الا الله تعالى وقال ابن مسعود غشاها جراد من ذهب وقيل
غشيها من امر الله ما غشيها تغير عن صفتها الاولى فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها وقال مقاتل تغشاها الملايكة امثال الغربان يعبدون الله فيها وقيل ما يغشى
من قدرة الله وانواع الصفات وقال زعما صدر ذلك تبدل اغصانها درا وياقوتا وروي
في الحديث رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قايما يسبح الله وقيل يغشاها رفرف
من طير اخضر ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه يغشاها نور الخلاق ۞ وعن الحسن
غشيها نور رب العزة ۞ وعن ابن عباس غشيها رب العزة اي امره كما في صحيح مسلم
مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس
ما جال هكذا ولا هكذا ۞ وقال الزمخشري اي اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا
من غير ان يزيغ بصره او يتجاوزه او ما عدل عن روية العجايب التي امر برويتها ومكن
وما طغى وما جاوز ما امر برويته انتهى وقيل منها وما طغى لا يتجاوز المرئي الى غيره
بل وقع عليه وقوعا صحيحا وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه ۞ وقوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى اي حين رقا الى السموات راى عجايب الملكوت وتلك بعض ايات
الله وقال ابن زيد راى رفرفا اخضر في الجنة وقيل ما راه في تلك الليلة في سرام
في عوده وبديه وهذا امر مبهم قد اختلفت في تفسيره اراء المفسرين اختلافا
بينا والله تعالى اعلم بما اراه لنبيه صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى لم يفسرها

ولا النبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا به وقد وصفها الله تعالى بالكبرى وصف تعظيم غير مبين
فليس لنا ان نخوض فيما لا علم لنا به ولا بين لنا ه قوله تعالى افرايتم اللات والعزى
وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى وجه المناسبة ان الله تعالى لما قرر الرسالة اولا واتبعه
بما ابتعد من ذكر عظمة الله وقدرته الباهرة وفي معناه ذكر التوحيد والمنع عن الاشراك
بالله وهذا الخطاب لقريش اي اوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الاوثان وانها ليست
لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه قال قتادة كان بالطايف وقال ابو عبيدة وغيره
كان في الكعبة وقال ابن زيد كان بنخلة عند سوق عكاظ انتهى ه ويمكن الجمع بان يكون
اصناما سميت جميعها باسم اللات فاخبر المفسرون عن كل صنم بمكانه وكانت
قريش والعرب يلبون ويعكفون للعبادة عليها والاصل فيها انه كان رجل يلت عنده
السمن بالسويق ويطعمه الحاج فلما هلك جعلوا على صفته وثنا وسموه اللات
وعبدوه ه واما العزى كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها بعث اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها وخرجت
منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها
بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ه
ومناة قيل كانت صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانت اعظم هذه
الاوثان قدرا واكثرها عابدا وكانت الاوس والخزرج تهل لها وهذا اضطرابا
كبير في هذه الاوثان وفي مواضعها والذي يظهر انها كانت تماثيل بالكعبة لان المطا لب
بذلك قريش ويمكن ان تكون اصناما متفرقة مسماة على اسمايها في جوف الكعبة
من الاصنام ونصت المفسرون عنها وقيل ان مناة كانوا يستمطرون عندها
تبركا بها ه قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى المعنى الكم النوع المستحسن المحبوب
وله النوع المذموم بزعمكم وهو الاناث كونه نصا على زعمهم في اعتقادهم
الملايكة اناث وانهن بنات الله وان كان في الحاق التانيث في اللات والعزى ومناة والف
التانيث في العزى ما يشعر بالتانيث لكنه قد يسمى المذكر بالمونث والاخرى نعت لمناة
والمعنى في الاية اخبروني ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله قال الكلبي

كان

كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملايكة بنات الله وكان احدهم اذا بشر بالانثى
كره ذلك ه قال تعالى منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قال
ابن عباس قسمة جايرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقال مجاهد ومقاتل قسمة
عوجا وقال الحسن غير معتدلة وقال سفيان منقوضة وقال ابن زيد مخالفة وقال
ابن سيرين غير مستوية وكلها اقوال متقاربة في المعنى قوله تعالى ان هي الا اسما
سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها
في قصة هود في سورة الاعراف فاغنى عن اعادته ثم رجع الخبر بعد المخاطبة الى الغيبة
وذلك من اعظم الالتفات ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى ذلك قولهم انها الهة لانه لا يسمع من المشركين في هذه الاسما التي
سموا بها الهتهم الا الظن وما تهوى الانفس فهو اخترا واخترعوه ووجدوا من ابايهم
الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه ولقد جاهم من ربهم الهدى اي البيان
بالوحي الذي اوحيناه الى رسولنا انه لا تصلح العبادة الا لله الواحد القهار وقد
تضمنت الايات البينات عما في عظم شان الشي الذي هو من عزة الله وعظمته
للتنبيه على العبرة التي فيه وما في كلام الناطق بالهدى دون الهوى من الرشد في اتباعه
والاخذ بقوله وما في الوحي من لزوم اتباعه والعمل فيه للثقة به وما في المشركين في دفع
ذلك من الضلال في الهلاك للتكذيب بالحق والجدال فيه بالباطل وما في بلوغه من العبرة العظيمة
والفضيلة الجليلة وما في صفة اللات والعزى ومناة من منافاة عبادة الوثن وجهل
من عبدها بذهابه عن طريق الهدى وما في جعل البنات لله والبنين لهم وانها قسمة جايرة
اذ الافضل جعلوه لهم وما في ذكر الله عز وجل انه هو الاله لا اله غيره وتسميتهم
باطلة لم تقم بها حجة وما في اتباع الظن والهوى في الاعتقاد من عظيم الفساد لانه
ليس لاحد ان يعمل بالايمان ان يكون جهلا اذ كل جهل قبيح ثم قال ام للانسان
ما تمنى فلله الاخرة والاولى اي ليس للانسان والمراد به الجنس ما تعلقت به
امنيته والمراد ليست الاشيا والشهوات تحصل بالتمني بل الامر لله من قبل ومن بعد
فقولكم ان الهتكم تشفع وتقرب الى الله زلفى ليس لكم ذلك وقيل امنيتهم قولهم
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل قوله الوليد بن المغيرة لاوتين مالا

ولذا وقع بعضهم ان يكون النبي صلى الله الاخرة والاولى اي مالكهما يعطي من يشاء وليس
لاحد ان يبلغ منها الا ما شاء الله وقدم الاخرة في الذكر لشرفها ولدوامها ٥

تهذيب مفيد نافع · ترتيب شديد بديع

في قوله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى اقسم الله تعالى بالنجم وعز به ما
ضل رسوله في مطلوبه وهو جواب القسم اي ما عدل عن الصواب من هو المبعوث اليكم
رسولا وحاكما بشريعته وكتابه فهو صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ما جهل عما
احضره الله اليه من تعجيل حرمته وما خصه به من رضا الله ورحمته ولهذا ما ضل في دينه
الذي يدعوكم اليه وما انقص مما اوحي اليه ولا زاد عليه وما ينطق عن الهوى بل يدعوكم
لتوحيد مولاه وعما اليه اوحاه علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى اي جبريل
لانه ذو المنظر ... حالة انحداره بالوحي وصعوده وقيل الاستواء
مختص بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى اي ارتقى محمد فوق الاكوان في محل لا احد ولا محدود ولا
مكان ثم دنى من اكرام الله فكان قاب قوسين او ادنى بفضل الله وليس المراد قرب المكان بل
علو درجاته في المكانة والخصوصية والزلفة والكرامة فتدلى بالسجود لرب
العزة فازداد بالادب قربا الى قرب وحبا الى حب فانتهى الى محل لم يدر الكون
ان قدسه ولم تدر نفسه ما في قلبه ولم يدر قلبه ما في روحه ولم تدر روحه ما في سره
ثم دنى اشارة الى مقام نفسه فتدلى اشارة الى مقام قلبه فكان قاب قوسين اشارة
الى مقام روحه او ادنى اشارة الى مقام سره فكانت ذاته في مقام الخدمة وقلبه
في مقام المحبة وروحه في مقام القربة وسره في مقام المشاهدة فكان كله اياه
لحضرة مولاه مستغرقا بالكل في حقيقة الجلال ثم دنى فتدلى اي تاه في دنوه عن
... حقيقة القرب اذ لا احد ولا محدود ولا مكان ولا امكان له قدرة
لا ... وهذه عبارة عن زمان ولا عبارة فكان قاب اشارة الى المقدار
ولا مقدار ولا اشارة ثم قوسين مثال ولا مثال ثم او كلمة شك ولا شك ولا اشكال
ثم ... ولا ادنى ... ولا اقرب لاحد المقربين ان يتبعه ثم قصرت عن هذه
حقيقة العلوم وتحيرت العقول وطاشت الفهوم ولم يتيسر لاهل المعرفة في هذه
الحضرة كلام ولم يحصل لهم منها علم ولا اعلام غير انهم تفوهوا بما حواه ٥

وما طغى

فنا مكيا دنا قوسنا

وما تخص لي من معناه دنى عبدا فتدلى فردا اقترب ملكا فتدلى عرشيا دنا
مجاهدا فتدلى مشاهدا دنا طالبا فتدلى واصلا راغبا دنا مفتقرا فتدلى مفتخرا
دنا منا دبا فتدلى مناجيا دنا مادحا فتدلى محبورا دنا شاكرا فتدلى مشكورا ومن
قال احدهما صفة لله والاخرى صفة لرسول الله فلعل القول في الصفتين الجليلتين
العظيمتين ان كان محمد يتقرب الى الله بقربه وكان هو يتكلم الله برغبه وكان هو
يسال الله فيعطيه وكان هو يشفع والله يشفعه فيما سأله فكان قاب قوسين او
ادنى وهذه تاكيد حرمته مصون له في الانهار ومثله بما نسارع اليه عقول الانام
فكان رضى الرسول من رضى الله وسخطه من سخط الله فكانما ... المحبة
وابرهما القربة فقبوله مقبول وما عداه عنه فذلك معدول واظهر ذلك
في الايات الواضحات البينات بقوله ولله العزة ولرسوله امنوا بالله ورسوله
ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله وينصرون الله ورسوله انما وليكم الله
ورسوله فسيرى الله عملكم ورسوله اذا نصحوا لله ورسوله فاذنوا بحرب من الله
ورسوله براءة من الله ورسوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فالحظ ما فاق به
الرسول سائر الانام ما علا ابدا الى مقام ليس فوقه مقام ودنا فيه حتى لا دنو فيه
وقرب قربا لا اقرب منه واوحى اليه ما اوحى ولم يطلع احد على ما كان بينهما من سر
ونفال واخبر انه ما ينطق عن الهوى وكيف ينطق عن الهوى من اوحي اليه ما اوحي
في مقام النجوى ظاهره من نور من نور مقام التقوى وفي السر فهو من الموالي في الابرار مخلص
من كدورات البشرية مرتقي الى شهود الاحدية مكاشف بجلال الصمدية ٥
مختطف عن غيره بالكلية لم يبق فيه لغير الكون بقية لانه صلى الله عليه وسلم
لما بدا بالتحيات لربه حالة دنوه وقربه واجابه بالسلام فعندها نطق بالشهادتين
في ذلك المقام فكان مما اوحاه الله اليه اي الرسول من غير واسطة بذلك القول
في ذلك المقام الجليل من غيبة جبريل ومما اوحاه اليه والقاه من سببه انه عليه
ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى بالمحبة لكثرة نعمي عليكم وان خفتم احدا
من اهل سماواتي وارضي فانا اولى بذلك لكمال قدرتي وان رجوتم احدا فانا اولى بذلك
فلا تبرحوا عن عبادتي وان اثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لاني معبودكم

ايلا ترزقوا

وان صدقتم احدانی وعدی فانا اولی بذلک لانی الصادق فی وعدکم وما اوحی الیه ان قوما من امتک مطیعون وقوما عاصون فالطایعون طاعتهم برضای والعاصون معصیتهم بقضای فما کان برضای اقبله فانی کریم وما کان بقضای اغفره فانی رحیم وقوله اذ یغشی السدرة ما یغشی ما زاغ البصر وما طغی لقد رای من ایات ربه الکبری
ای غشی السدرة نور الله اجلالا واکراما لرسول الله ما زاغ البصر وما طغی لاختراقه السبع الطباق وتملیه برؤیة الخلاق واراه الله من الایات العظام ما لم یطلع علیه احد من خلقه وتم الکلام ٥ قوله تعالی افرایتم اللات والعزی ومناة الثالثة الاخری اخبر الله تعالی عن هذه الاصنام التی یعبدونها ویسمونها اسماء ما انزل الله بها من سلطان ویعتقدونها ٥ ثم قال الکم الذکر وله الانثی تلک اذا قسمة ضیزی ای مشرکوا العرب یقولون الاصنام والملایکة بنات الله لیس لهم فیما تقولوه دلیل ولا برهان الا افترا علی الله واذا بشر احدهم بالانثی ظل وجهه مسودا وهو کظیم وهم ینسبون النوع الاخس الادنی للعلی العظیم ویرون النوع الاشرف لذواتهم واتخذوا هذا تقلیدا عن ابایهم وهذه قسمة جایرة مع انها باطلة ساخرة وسموا معبوداتهم اسما ما انزل الله بها من سلطان لا حجة لهم فیها ولا برهان ان یتبعون فیما یدعون ما تهوی انفسهم وهم عن الحق یعدلون ولو رجعوا الی الحق جا رهم الهدی ومن بعد سوء صنیعهم اذا رجعوا بقبلهم ومن فضله جاهم ام للانسان ما تمنی اذ لیس کل متمن واجد بل الامر بحکم الواحد خالق الخلق العلی المولی مالک الملک له الاخرة والاولی لیس لاهل السموات شفاعات ولا ارادات الا من اذن الله ان یشفع له اذا الحکم للخالق الذی عدله قال تعالی [illegible]
[illegible]
بالاخرة لیسمون الملایکة تسمیة الانثی وما لهم به من علم ان یتبعون الا الظن وان الظن لا یغنی من الحق شیا فاعرض عن من تولی عن ذکرنا ولم یرد الا الحیوة الدنیا
[illegible]
اعلم بمن اهتدی ولله ما فی السموات وما فی الارض لیجزی الذین اساوا بما عملوا ویجزی

الذین

الذین احسنوا بالحسنی الذین یجتنبون کبایر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربک واسع [illegible] هو اعلم بکم اذ انشاکم من الارض واذ انتم اجنة فی بطون امهاتکم فلا
[illegible] ٥ التفسیر [illegible]
[illegible]
[illegible] هذا توبیخ عظیم من الله لعبدة الاوثان والمعنی کثیر من الملایکة لا تسمع شفاعتهم عند الله لمن [illegible] الاشیاء الا ان یشفعوا الا من بعد ان یاذن لهم بالشفاعة لمن یشاء منهم ان یشفعوا له من بعد ان یرضی للملایکة ان یشفعوا فتنفعه حینیذ شفاعتهم والقول فیهم قد لبس وضرهم الذین کانوا یقولون ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی فقال الله عز وجل ما لهم ما تنفع شفاعة الملایکة الذین هم عندی لمن شفعوا له الا من بعد اذنی لهم بالشفاعة ورضای فکیف بشفاعة من دونهم وهل تشفع الاصنام التی لا تنفع نفسها فضلا عن غیرها ولو ان الملایکة شفع جمیعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شیا فاذا کان الملایکة المقربون لا تغنی شفاعتهم الا بعد اذن الله ورضاه ای برضاه اهلا للشفاعة فلا شفاعة اذا للاصنام ٥ قوله تعالی [illegible]
[illegible] ای ان الذین لا یصدقون بالبعث لیسمون الملایکة ای کل واحد منهم تسمیة الانثی لانهم قالوا ان الملایکة بنات الله [illegible]
ای ما یتبعون فی ذلک الا ظنهم ای انهم یقولون ذلک ظنا بغیر علم یقول الله جل وعلا [illegible] ای ما مدرکه العلم لا ینفع فیه الظن ولا یغنی من الحق لانه لا یقوم مقامه ویحتمل ان یکون المراد بالحق هنا هو الله تعالی ای الاوصاف الالهیة لا تستخرج بالظنون ویدل علیه قوله ذلک بان الله هو الحق ثم قال [illegible]
[illegible] ذکرنا ای ما عمهم ومن اعرض عن ذکر الله ولم یؤمن بتوحیده [illegible]
[illegible] ای لم یطلب ما فی الدار الاخرة ولکنه طلب زینة الحیوة الدنیا والتمس البقا فیها وهذا من تسفیه رایهم قال تعالی ذلک مبلغهم من العلم ای ذلک نهایة علمهم وقدر عقولهم ان اثروا الدنیا علی الاخرة وقیل لم یبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملایکة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا علی ذلک واعرضوا عن القران قال تعالی [illegible] یقول الله ای هو الذی لا

يؤمنون بالآخرة من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى وذلك مبلغهم من العلم أي ليس لهم علم
إلا الكفر بالله والشرك به على وجه الظن من غير علم قال ابن زيد ليس لهم علم إلا الكفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره إنما يعلمون ما يحتاجون إليه من معايشهم وقد
نبذوا الآخرة وراء ظهورهم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله أي يا محمد ربك أعلم
بمن جار عن طريقه في سابق علمه فلا يؤمن وهو أعلم بمن اهتدى أي علم في سابق علمه
بمن أصاب طريقه فسلكه فربك أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان
من الجزاء قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض وجه المناسبة أن الله
تعالى لما أفصح عن وجه الظن وغاية ما يفعلون أن يأخذوا بالظن وقوله إن ربك هو
أعلم الآية في معرض التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم إذ كان من خلقه عليه الصلاة والسلام
الحرص على إيمانهم وفيها وعيد للكفار ووعد للمؤمنين ثم أخبر أن من في العالم العلوي
والعالم السفلي ملك له يتصرف فيهما بما يشاء ليجزي الذين أساءوا بما عملوا وهذه
دلالة القدرة أن من له ملك العالمين العلوي والسفلي له قدرة الجزاء فيجازي من أساء
بعقابه ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى فهو جل وعلا مجازي كلا الفريقين بما
يستحقه من العقاب والثواب ولهذا لما ذكر جزاء المسيء قال بما عملوا وحين ذكرها
المحسن أتى بالصفة التي تقتضي التفضيل وتدل على الكرم والزيادة للمحسن كقوله
وليجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم
والفواحش إلا اللمم كبائر الإثم الشرك والفواحش قيل الزنا وما أشبهه
مما أوجب الله فيه حدا وقيل إنها فواحش من الكبائر لتفظيع أمر مرتكبيها وقيل
الكبائر من الإثم والإثم جنس يشتمل على الكبائر والصغائر وقوله والفواحش أي
ما فحش من الكبائر واستثنى من الكبائر والفواحش اللمم والمراد الصغائر من
الذنوب وقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا فقال بعضهم هو النظرة وقيل هو
الغمزة وقيل هو القبلة وهو قول أبي سعيد الخدري وقال السدي الخطرة
من الذنب وقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي والكلبي كل ذنب لم يذكر الله
عليه حدا ولا عذابا وقال ابن عباس أيضا وابن زيد ما أتوا به من الشرك
والمعاصي قبل الإسلام وسبب نزولها قال ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن أسلم

وانهم

وابنه قول الكفار للمؤمنين قد كنتم بالأمس تعملون أعمالنا فنزلت ونظيرها قوله وأن
تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف وقيل نزلت في نبهان التمار وحديثه مشهور وقد
تقدم وقال ابن المسيب ما خطر على القلب وقال نفطويه ما ليس بمعتاد وقال
الرماني الهم بالذنب وحديث النفس دون أن يوقع فيه وأخبر معمر عن ابن طاوس
عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر
وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه ورواه سهيل
بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد والعينان زناهما
النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش
والرجل زناها الخطى وقال ابن جرير بسنده عن مجاهد في قوله إلا اللمم قال
الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه وقيل اللمم من الزنا ثم يتوب ولا يعود قوله
تعالى إن ربك واسع المغفرة أي مغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها لقوله
تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر
الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم قوله تعالى هو أعلم بكم إذ أنشأكم
من الأرض أي هو عليم بأحوالكم التي تصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم
من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين فريق للجنة
وفريق للسعير وذلك قوله وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم وهذا تعديد من وجه
والامتنان من وجه وسمي الجنين جنينا لاجتنانه في بطن أمه ثم قال فلا تزكوا أنفسكم
هو أعلم بمن اتقى وهذا كما قال ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء
ولا يظلمون فتيلا وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم
حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة
فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم
وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر
منكم فقالوا بم نسميها فقال سموها زينب وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد
الرحمن قالا حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث قال جاء رجل إلى

حتى ما اثنى عليه في وجهه فجعل المقداد بن الاسود يحثو في وجهه التراب يقول امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقينا المداحين ان نحثو في وجوههم التراب رواه
مسلم وابو داود من حديث الثوري وقال ابن عباس رضي الله عنهما علم الله من كل نفس
ما هي صانعة وما هي اليه صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تبروها من الاثام ولا تمدحوها
بحسن اعمالها وقال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع
واخلص العمل لله عز وجل ثم اخبر سبحانه عمن عطف قلبه على الايمان ثم تولى عنه ونقض
ما ابرمه من الايمان بعد ما تقرب منه بقوله تعالى افرايت الذي
تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم
ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس
للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك
المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو
اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابقى وقوم
نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها
ما غشى فباي الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها
من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون فاسجدوا لله واعبدوا [illegible] قوله تعالى
افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى وجه المناسبة ان
الله تعالى لما نهى عن تزكيتهم لانفسكم لعلمه تعالى بمن الارض نشاتكم وانكم لا تعلمون
عليه لانه جل وعلا اعلم بظواهركم وسرائركم واوائلكم واواخركم فهو جل وعلا
لا يخفى عليه شيء وهو اعلم بمن اتقى اخبر تعالى في هذه الاية عن جهل المشركين
بامور الاخرة ثم عين جهل واحد منهم بقوله افرايت الذي تولى وهذا تعجب
من حاله . وروي ان الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في اسلامه

في اسلامه ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اتترك ملة ابائك ارجع
الى دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك بكل شيء تخافه في الاخرة لكن على ان يعطيني
كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وضل
ضلالا بعيدا واعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح [illegible]
رواه مجاهد وابن زيد وقتادة . وقيل انه كان اسلم فلقيه بعض المشركين لما
علم باسلامه فقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار
وكان ينبغي لك ان تنصرهم فكيف تفعل بابائك قال اني خشيت عذاب الله
قال اعطني كذا وكذا وانا احمل عنك كل عذاب كان عليك فاعطاه عهدا على
ذلك ثم بخل وضن ولم يف او اعطى يسيرا مما شرطه الرجل عليه فذلك قوله
افرايت الذي تولى اي اعرض عن الايمان بالله ورسوله واعطى قليلا من المال
على ان يتحمل عنه ما يستحقه من العذاب بكفره وتوليه ثم قطع اعطاه ولم
تسمح نفسه بدفع ما شرط عليه بخلا وجهلا وبخلا وذلك قوله واكدى اي قطع
عطاءه وتركه . قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى قال ابن عباس اطاع
قليلا ثم عصى وقال الضحاك اعطى قليلا من ماله ثم منع . وقال مقاتل اعطى
قليلا من الخير بلسانه ثم قطع اعنده علم الغيب من تحمل ذنوب اخر بان المتحمل
عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي عليه يرى اي كان له فيه بصيرة ام هو جاهل
وقال الزمخشري فهو يرى اي فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق
وقيل يعلم حاله في الاخرة . وقيل فهو يرى اي ما سمعه من القران باطل . وقال
الكلبي انزل عليه قران فراى ما صنعه حقا . وقيل فهو يرى ان الاجر . واحتمل
يرى ان يكون بصرية اي فهو يبصر ما خفي عن غيره مما هو غيب . واحتمل ان يكون
بمعنى يعلم اي فهو يعلم الغيب مثل الشهادة ثم [illegible]
[illegible] اي ولم ينبا هذا المغرور له وهو استفهام بمعنى التقرير
بما سبق من حكم الله على السنة انبيائه المتقدمين انه لا يقبل احد بدلا عن غيره فيما
يستحقه من العذاب ولا يحمل احد عقاب ما يستحقه غيره . وقوله اولم ينبا اي
يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم اي صحف ابراهيم التي نزلت عليه

ان يسأل لم خص موسى وابرهيم بالذكر من بين سائر النبيين صلوات الله عليهم اجمعين
فالجواب انه ما بين نوح وابرهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وابيه وعمه وخاله والزوج
بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم عليه السلام ومن شريعة ابرهيم
الى شريعة موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجرم غيره تبعا لشريعة ابرهيم عليه السلام
وقوله وابرهيم الذي وفى اي بصبره على نمرود وطغيه وصبره على فراق اسمعيل
وامه وصبره على ذبح ولده حين امر به وقيامه بالاضياف وخدمته اياهم بنفسه
وكان يمشي كل يوم فرسخا يطلب ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن
الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن عطا بن السايب عهد ان لا يسال مخلوقا
حاجة ولا يسال الا الله وقال ابو العالية مدح الله تعالى ابرهيم عليه السلام
بقوله من حيث اخبر عنه تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية
الاتمام وقال الضحاك وفى بشأن المناسك وعن ابي امامة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابرهيم الذي وفى كان يصلي اربع ركعات من اول
النهار وعن ابي الدرداء وابي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الله تعالى انه قال ابن ادم اركع لي اربع ركعات من اول النهار اكفك اخره ثم
انه تعالى بين ما في صحفهما فقال الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس
حاملة حمل اخرى ومعناه لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن
للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وابطال راي عكرمة وقد تقدم معناه
ان الرجل يأخذونه بذنب غيره كانوا يقتلون الرجل اذا قتل ابنه او ابيه او اخيه
او امراته حتى كان ابرهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز
وجل الا تزر وازرة وزر اخرى وروي عن معاذ بن جبل عن ابيه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم لم سمى ابرهيم خليله الذي وفى لانه كان
يقول كلما اصبح وكلما امسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الاية
وقال ابو بكر الوراق قام ابرهيم بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم
قال اسلمت لرب العالمين فطالبه بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده
وافيا وللمفسرين اقوال غير هذه وينبغي ان تكون هذه الاقوال شاملة لما وفى لا على

سبيل

عن احد اخوانه اشتهر بالصلاح وكان من اهل الفلاح فكره الشهرة وطلب العزلة فخرج
يطلب مكانا ياوي اليه ويتعبد فيه ببعض العمران فوجد كهفا اوى اليه مدة من الزمان
فهو في يوم من الايام جالس على باب الكهف اذ راى شابا باحسن الوجه قد اقبل الى نحو
الكهف قال فدخلت الى داخل الكهف وتواريت منه واذا به جلس على باب الكهف ثم
اخرج زكرة فيها خمر وخرقة فيها لحم فاكل من ذلك اللحم ثم ملا كاسا من ذلك الخمر فلما
اراد شربه قلت من داخل الكهف ألم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرمى
الشاب بالكاس فكسر واهرق الزكرة وصرخ من صميم فواده آن والله آن وقام يجري
فانطلقت في اثره جريا لعلي الحقه فبعد عني وهو يستغيث آن والله آن الى ان وصل
الى البحر فقلت وانا اجري في طلبه البحر بعيد ويقف عنده فلما ادركته فما رايته قصر
في جريه على وجه الماء بل زاد وهو يستغيث آن والله آن فوضعت رجلي في البحر فغرقت
فرجعت هاربا طالبا البر ورجعت عنه خايبا وقد اجاد من قال وترنم بهذا المقال

لقد آن التزود لو عقلنا ... واخذ الحظ من باقي الشباب
سنرحل عن قريب من قصور ... من زخرفة الى بيت التراب
وهول الحشر افضع كل هول ... اذا دعي ابن ادم للحساب

قوله تعالى اعلموا ان الله تعالى يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات
لعلكم تعقلون قال ابن عباس يعني يلين القلوب بعد قساوتها وقيل هو تعريف الكافر احيا
الخلق بعد الموت وفيه اشارة الى انه تعالى يهدي الحاير بعد ضلاله فهو تعالى لما يشاء
قدير اظهر المعجزات وبين الايات لعلكم تعقلون احيا الله الارض بعد موتها دليل على
قدرته على احيا الموتى وبعثهم من القبور ثم قال جل وعلا ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اي الذين صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به
وصدقوه واما قراة الجمهور فهي المناسبة لقوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا لان الاصل
فيها المتصدقين والمتصدقات ومنهم من رجح قراة التخفيف لانها من التصديق وقال ذكر
الاقراض يغني عن ذكر الصدقة اي دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء ممن
اعطوه ولا شكورا يضاعف لهم ولهم اجر كريم اي يقابل لهم الحسنة بعشر امثالها
ويزاد على ذلك ضعف وفوق ذلك الى سبعماية ضعف ولهم اجر كريم اي ثواب جزيل

حسن ومرجع صالح ومآب فالح * قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم هذا تمام جملة
وصف المومنين بالله ورسله بانهم صديقون قال العوفي عن ابن عباس قوله والذين امنوا بالله
ورسله اوليك هم الصديقون ثم استانف الكلام فقال والشهدا عند ربهم وهكذا
قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم وقال الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق
عن عبد الله في قوله اوليك هم الصديقون والشهدا كما قال تعالى ومن يطع الله والرسول
فاوليك هم الصديقون والشهدا كما قال تعالى ومن يطع الله والرسول فاوليك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا فدل على انهما صنفان ولا شك
ان الصديق اعلا مقاما من الشهيد كما رواه مالك بن انس رحمه الله في موطاه عن صفوان
بن سليم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل
الجنة ليتراون اهل الغرف من فوقهم كما تتراون الكوكب الدري الغابر من الافق من
المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها
غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين اتفق البخاري
ومسلم على اخراجه من حديث مالك وقال الاخرون بل المراد من قوله اوليك هم
الصديقون والشهدا عند ربهم فاخبر عن المومنين بالله ورسله انهم صديقون وشهدا
حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب ابو معمر ثنا اسمعيل بن
يحيى ثنا ابن عجلان عن زيد بن اسلم عن البرا بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول مومنوا امتي شهدا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية
والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون والشهدا عند ربهم هذا حديث غريب
وقال ابن اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون
والشهدا عند ربهم لهم اجرهم ونورهم قال تجيون يوم القيمة معا كالاصبعين وقوله
والشهدا عند ربهم اي في جنات النعيم كما جا في الصحيحين ان ارواح الشهدا في حواصل
طير خضر تسرح في الجنة حيث شات ثم تاوي الى تلك القناديل فاطلع الله عليهم
ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون فقالوا نحب ان تردنا الى الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا
اول مرة فقال اني قضيت انهم لا يرجعون وقوله لهم اجرهم ونورهم اي لهم عند الله اجر جزيل

ونور عظيم يسعى بين ايديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الاعمال كما قال
الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عطا بن دينار عن ابي يزيد الخولاني قال سمعت
فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهدا
اربعة رجل مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس اليه هكذا ورفع راسه
حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او قلنسوة عمر والثاني مومن لقي العدو
فكانما يضرب ظهره بشوك الطلح جاه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية والثالث
رجل مومن خلط عملا صالحا واخر سيا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة
والرابع رجل مومن اسرف على نفسه اسرافا كبيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في
الدرجة الرابعة وهكذا رواه علي بن المديني عن ابي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن
لهيعة وقال اسناد صالح ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب وقوله
تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب الجحيم وجه المناسبة ان الله
تعالى لما ذكر السعدا وما لهم عطف بذكر الاشقيا وبين حالهم فالله تعالى بين لكل فريق
حقه قال تعالى ولا يظلم ربك احدا قوله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد
وجه المناسبة ان الله تعالى لما ذكر الكفرة من لوازم امرهم حب الدنيا والانهماك على لذاتها
وشهواتها شرع في وصفها ان متاع الحيوة الدنيا المعجلة لكم ما هي الا لعب ولهو
تلهون به وزينة تتزينون بها وتفاخر بينكم يفخر بعضكم على بعض بها او في زيادتها
دنيا هي بعضهم بعضا بكثرة الاموال والاولاد ومثلها بالغيث الذي نزل على الارض فاحياها
بعد جدبها واخرج نباتها وبهجتها وقوله ثم يهيج اي ييبس ذلك النبات بعد نضارته
وحسنه فتراه مصفرا بعد ان كان اخضر ناضرا ثم يكون حطاما اي يابسا يابسا متهشما
فهذا غالب حال الدنيا بغالب امرها من اشتمالها على الشبا لا دوام لها ولا تجدي وانما
حصل امرها عند اهلها كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة
الدنيا والله عنده حسن الماب وقال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قوله

اعجب الكفار نباته اي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع وكما يعجب الزراع ذلك كذلك
تعجب الحيوة الدنيا للكفار فانهم احرص عليها واشد الناس اليها ميلا منهم الى بقاء
الرياسة على اتباعهم وتكثرا باموالهم وتفاخرا باحوالهم وبين ان ذلك كله لعب لهو
لا حقيقة له • وفي الاخرة له العذاب الشديد جزاء لكفره بالله في حياته الدنيا وذلك
لما كان ضرب المثل في زوال الدنيا وانقضائها لا محالة وان الاخرة كائنة لا محالة
حذر من امرها ورغب فيما فيها من الخير للمومنين وما فيها من ضده للكافرين واخبر تعالى
ان للكافرين في الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور • وهذا تاكيد لما سبق لان الدنيا تغر بالكافر حتى يظن ان لا دار سواها
واما المومن فان الدنيا له متاع ليبلغه الى الجنة والاية تزهيد في العمل للدنيا وترغيب
للعمل للاخرة • وقال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور لمن الهته عن طلب الاخرة
فاما اذا دعتك الى طلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة • ثم امر بالمسابقة
الى مغفرة الله • وجنة عرضها كعرض السموات والارض لمن امن بالله بقوله تعالى
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما
اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك
على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم
[illegible]
لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم
الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون •
تفسير قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ... وجه المناسبة للايات
السابقة لما ذكر الله احوال الاخرة وما اعده الله في الجنة للمومنين وما اعده من النار
للكافرين امر بالمسابقة الى المغفرة فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال

الصالحة

الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة
واحتج القايلون بان الامر على الفور بهذه الاية لانها دلت على وجوب المسارعة فوجب
ان يكون التراخي محظورا • قال عبد الله كونوا في اول صف من القتال • وقال انس اشهدوا
تكبيرة الاحرام • وقال علي كن اول داخل المسجد واخر خارج منه واستدلوا بهذا
السبق على ان اول اوقات الصلوات افضل وجاء لفظ سابقوا كانهم في مضمار يجرون الى
غاية مسابقين الى جنة عرضها اي مساحتها في السعة كان لفظ دعاء عريض
والعرض خلاف الطول فاذا وصف العرض بالبسطة عرف ان الطول ابسط واشد
قال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزق بعضها
الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب
انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله قال الشاعر

كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل

وقال عطاء عن ابن عباس يريد ان لكل واحد جنة بهذه الصفة • وقال السدي
هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض وقاله
الزجاج وهو ايضا اختيار ابن عباس • وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل
الحيرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض
السموات والارض فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجاء النهار اين يكون الليل
فقالوا لقد نطقت بما في التوراة مثله • وقوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله هذا الذي اعد لهم
الله عز وجل لهم من فضله ومنه عليهم وهو قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم • ورد في الصحيح ان فقراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب
اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون
كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال افلا ادلكم على شيء اذا فعلتموه
سبقتم من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون
وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين فرجعوا فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال
ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء اي
الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والجنة فضل الله وعطاؤه يوتيه من يشاء والله ذو

الفضل العظيم ○ قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في
كتاب من قبل أن نبرأها لفظة مصيبة يدل على الشر لأن عرفها ذلك قال ابن عباس
رضي الله عنهما ما معناه أنه أراد عرف المصيبة وهو استعمالها في الشر وخصها بالذكر
لأنها أهم على البشر والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع وفي
الأنفس الأسقام والموت وغير ذلك والمراد بها جميع الحوادث كلها من خير وشر
إلا في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ أي مكتوبة فيه من قبل أن نبرأها أي نخلقها
وقال الزجاج إن الله تعالى لما قال سابقوا إلى مغفرة من ربكم وبين المؤدي إلى الجنة
والنار لا يكون إلا بقضاء وقدر فقال ما أصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة
من هذه المصائب إلا وهي مكتوبة عند الله وقال المصيبة في الأرض قحط المطر وقلة
النبات ونقص الثمار وغلاء الأسعار وتتابع الحوائج وأما المصيبة في الأنفس فقيل
هي الأمراض والفقر وذهاب الأولاد وإقامة الحدود وضيق المعاش ○ قوله تعالى
إن ذلك على الله يسير أي سهل لا يتعذر على الله شيء ولا يرد القضاء حيلة
محتال ولا تحرز محترز فلا تتخلفوا عن الجهاد ○ ثم بين الحكمة في إعلامنا ذلك
الذي فعله من تقديره لك وسبق قضائه به وقال لكيلا تأسوا على ما فاتكم أي لا
تحزنوا على ما فاتكم لأن العبد إذا علم ذلك سلم وعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه
وما أصابه لم يكن ليخطيه فلذلك قال ولا تفرحوا بما آتاكم ولا تفرح لأن
لأنه ليس بصدد أن يفوته فيهون عليه أمر الحوادث بذلك إذ قد وطن نفسه على
هذه العقيدة ○ وقال قتادة بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا اختلاج عرق
إلا بذنب وما يعفو أكثر وهذه الآية العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم
السابق قبحهم الله ودلالتها على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود
مكتوبة في اللوح المحفوظ إنما كتب ذلك لوجوه ○ أحدها لتستدل الملائكة
بذلك المكتوب أن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها ○ وثانيها ليعرفوا
حكمه فإنه تعالى مع علمه بأنهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا
من أمثال تلك المعاصي ورابعها ليشكروا الله على توفيقه إياهم للطاعات وعصمته
إياهم عن المعاصي والمعنى أي ولا تفرح الفرح المؤدي إلى البطر المنهي عنه في قوله لا تفرح

إن الله

إن الله لا يحب الفرحين فإن الحزن قد نهينا عنه بالتسخط والفرح قد نهينا عنه بالبطر
ولذلك ختم الآية بقوله والله لا يحب كل مختال فخور المختال المتكبر في نفسه
والفخور على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح
شكرا والحزن صبرا ○ وما رواه الإمام أحمد في قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم قال حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا حدثنا
أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن العاص يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات
والأرض بخمسين ألف سنة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب
وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد ثلاثتهم عن أبي هانئ وزاد ابن وهب وكان عرشه على الماء
ورواه الترمذي وقال حسن صحيح ○ قوله إن ذلك على الله يسير أي علمه تعالى بالأشياء
قبل كونها أنه جل وعلا يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ثم
قال لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق
كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم
لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء
لكان ولا تفرحوا بما آتاكم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن
ذلك ليس بسعيكم وكدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعمة الله أشرا
وبطرا تفخرون بها على الناس ولهذا قال والله لا يحب كل مختال فخور ○ قوله تعالى
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ويكون
الفرح على ما ناله من حطام الدنيا ملحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس
فمثل هذا هو المنهي عنه وأما الحزن على ما فات من طاعة الله والفرح بنعم الله والشكر
عليها مع التواضع مندوب إليه ○ وقال ابن عباس ليس أحد إلا يحزن ويفرح
ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ومن أصاب خيرا فجعله شكرا فهو المحمود ○
وقال الزمخشري فإن قلت فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة
ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر
والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر وأما الحزن

تفخروا

لا يكاد الانسان يخلو منه الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس به انتهى قوله والذين يبخلون لانهم عظمت الدنيا في اعينهم فبخلوا ان يؤدوا حقوق الله وما كفاهم ذلك حتى انهم يامرون غيرهم بالبخل ترغيبهم في الامساك وظاهره انهم امروا الناس حقيقة وكانوا قدوة فيه ٥ واعلم هداك الله لطاعته ان الحرص هو البخل لكنه اخص منه لان البخيل من بخل على غيره والحريص من بخل على نفسه وغيره فالحرص هو الشح لان الحرص والشح لفظان مترادفان معناهما واحد واتكامعها البخلا لله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال بعض الحكماء ابخل الناس بماله اكرمهم بعرضه وفي ذلك يقول

ومن يخزن الاموال ينفق من العرض ، اخذه المتنبي وقال

ولم ار في عيوب الناس شيا ، كنقص القادرين على التمام ،

وانف من اخي لابي وامي ، اذا ما لم اجده من الكرام ،

وقيل الاغنياء البخلاء بمنزلة الحمير والبغال تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير وقال يحيى بن معاذ اذا افنيت عمرك في جمع المال فمتى تلتذه ٥

وقال بعض الحكماء من افنى عمره في جمع المال مخافة العدم فقد اسلم نفسه للعدم واخذه المتنبي فقال ومن ينفق الساعات في جمع ماله ، مخافة فقر فالذي فعل الفقر ،
وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه وضع درهما في يده وقال اما انك ان لم تخرج عني لم تنفعني وقيل المال المدخر لا ينتفع به كالحجر الملقى في جانب البيت ومع ذلك يؤدي صاحبه الى البلاء واجاد من قال وترنم بهذا المقال

انت للمال اذا امسكته ، واذا انفقته فالمال لك ،

واجاد صاحب هذا الانشاد لتضمنه الموعظة والارشاد ،

من اصبح البخل اخلاقا له فلقد ، اساء ظنا بان لا رزق ياتيه ،

ترى البخيل اخا الاملاق من نسيه قط من كان في ظلمة الاحشا يغذيه ،

وقال بعض

وقال بعض الفضلاء العارفين

لا اجعل المال الا ربا لي يصرفني ، لكن اكون له ربا اصرفه ،

ما لي في المال الا ما تقدم مني ، فذاك لي وبغيري ما اخلفه ،

وقيل الفقير من ترك ورثته بخير وقدم على ربه بشر ٥ وروي ان محمد بن كعب القرظي كان له مال كثير وكان له ولد فمرض فاخذ في صدقته ماله فقيل له لو ادخرت منه لولدك فقال بل ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي وهذا القدر كاف ولو فتحت هذا الباب لطال ٥ قوله تعالى ومن يتول فان الله غني حميد اي ومن يتول عن امر الله وطاعته الغني عن جميع خلقه الذي ليس امره باكها دوا الانفاق لحاجة بل للابتلاء الحسن الجزاء ٥ وقال سعيد بن جبير كتب الله قبل ان يخلق الخلق والارض ما يصيب الناس فيها من خير وشر استحسانا منه ليعلموا بتغير الاحوال وتعاقب المحنة والمنحة انها غير دايمة فلا تحزنوا على ما فاتكم من حظ ولا تفرحوا بما اتاكم من فايدة فمن لم يعلم ان كل شيء يعطاه مرتجع وان كل حزن يصيبه زايل فذاك المختال الفخور والله لا يحب كل مختال فخور ٥ وقال قتيبة بن سعيد دخلت بعض احياء العرب فاذا انا بفضاء من الارض مملوء من جيف الابل الموتى بحيث لا يحصى عددهم فسالت عجوزا لمن كانت هذه الابل فاشارت الى شيخ على تل يغزل الصوف فقلت له يا شيخ الك كانت هذه الابل قال كانت باسمي قلت فما اصابها قال ارتجعها الذي اعطاها قلت فهل قلت فيها شيئا قال نعم قلت

لا والذي انا عبد من خلايقه ، والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن ،

ما سرني ان ابلي في مباركها ، وما جرى من قضا الله لم يكن ،

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يبخلون نزلت في شان اليهود لانهم كتموا بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ويامرون الناس بالبخل يعني قومهم ذلك مخافة ان تذهب ماكلتهم من السفلة ومن يتول اي يعرض عن الايمان فان الله هو الغني عنهم الحميد من امن منهم ٥ وقال الحسن ان اليهود بخلوا بحق الله في اموالهم ويامرون الناس بكتمان امر دينهم ومن يتول عن الله ورسوله فيما دعاهم اليه فان الله هو الغني عن عباده الحميد عند خلقه فيما وطلهم من نعمه ٥ قوله تعالى لقد ارسلنا

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
اي ارسلناهم بالشرايع الواضحة لان الكتاب فيه بيان اصول الشرع وانزلنا معهم الكتاب
بالاحكام والشرايع والميزان وهو العدل لانه آلة الانصاف قاله مجاهد وقتادة
الكتاب الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآرا السقيمة
كما قال تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وقال تعالى فطرة الله التي فطر الناس
عليها وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ولهذا قال في هذه الاية ليقوم الناس
بالقسط اي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا
به فان الذي جاوا به هو الحق كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا في الاخبار
وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا يقول المومنون اذا سكنوا غرف الجنان والمنازل
العاليات والسرر المصفوفات الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق قوله تعالى
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ قيل نزل جبريل لادم عليهما
السلام ومعه خمسة من الحديد السندان والكلبتان والمنقعة والمطرقة والابرة
وروي ومعه المسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات
من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح واكثر المتاولين على ان المراد بالميزان
العدل وقال ابن زيد وغيره اراد الموازين المتصرفة بين الناس وهذا جزء من العدل
ليقوم الناس بالقسط لان القسط هو العدل في جميع الاشياء من ساير التكاليف
فانه لا جور في شيء منها ولذلك جاء قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم
قايما بالقسط وانزلنا الحديد عبر تعالى عن ايجاده بالانزال كما قال وانزل لكم
من الانعام وايضا فكون الامر يكون الاشياء لما تلقى من السماء جعل الكل نزولا منها
قاله ابن عطية وقوله فيه باس شديد اي السلاح الذي يباشر القتال فيكون
رادعا لمن ابا عن الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا اقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة يوحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان لوضوح
التوحيد وبينات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله امره بالهجرة وامرهم
بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القران وكذب به وعاند رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وسخر مما جاء به وقد روى الامام احمد وابو داود من حديث عبد الرحمن
ابن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن ابي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل
رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم ولهذا
قال تعالى فيه باس شديد كالسيوف والحراب والسنان والدروع ونحوها وقوله ومنافع
للناس اي في معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والازميل وساير الالات التي يستعان
بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك قال عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثلاثة اشياء نزلت مع ادم صلوات الله عليه السندان والكلبتان
والمنقعة اي المطرقة رواه ابن جرير وابن ابي حاتم فما من صناعة الا والحديد الة
فيها قوله تعالى وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ اي انما جعل الله الجهاد
ليبلو بعضكم ببعض ليظهر لعباده من ينصر دين الله بالقتال عنه وقيل ليعلم الله موجودا
ما علم في الازل انه يوجد وقوله تعالى بالغيب اي تصديقا بها وعدا عليه بالغيب فيفعله على
الاخلاص لا كالمنافق يفعله اذا راه الناس ولا يفعل اذا غاب عنهم ان الله قوي عزيز
ذكر تعالى انه غني عنهم بقوته وعزته وانما كلفهم الجهاد لمنفعة انفسهم وتحصيل
ما يترتب لهم من الثواب وقال ابن عطية ويترتب معنى الاية بان الله تعالى اخبر
بانه ارسل رسلا وانزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عاند ولم
يهتد بهدي الله وفي الاية على هذا التاويل حض على القتال الغزو هذا ليتعامل
الناس بالحق وليري الله من ينصر دينه وينصر رسله بالحق وقوله بالغيب اي ينصرونهم
وهم لا يرونهم ان الله قوي عزيز اي هو قوي عزيز ينصر من نصر دينه ورسله لانه عزيز لا يغالب
ولا يعارض فيما يريده قوله تعالى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ يخبر تعالى انه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا
ولا نبيا الا من ذريته ولذلك ابراهيم عليه السلام لم يرسل رسولا ولا اوحى الى بشر
من بعده الا وهو من سلالته كما قال في الاية الاخرى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب حتى
كان اخر انبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله عليهم
اجمعين وقوله تعالى فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ اي فمنهم مهتد ومنهم

فاسق والمراد بالفاسق هنا الذي ارتكب الكبيرة سوآ كان كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم هو
يشمل الكافر وغيره وقيل المراد بالفاسق هنا الكافر لانه تعالى جعل الفسا قي هذا المهتدين
ثم اخبر عن قفا اثار من تقدم من رسله ليدعوا عباده الى كرمه وفضله ٥ ومن بعدهم بعيسى بن
مريم رسول الله ٥ واتاه الانجيل كتاب الله ٥ بقوله تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا
وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ٥ التفسير ٥ قوله تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا
وجه المناسبة ان الله تعالى لما ذكر ارسال الرسل جملة افرد منهم نوحا وابرهيم تشريفا
لهما بالذكر اما نوح فلانه اول الرسل الى من في الارض واما ابرهيم فلانه انتسب اليه اكثر
الانبياء وهو معظم في كل الشرايع ثم ذكر اشرف ما حصل لذريتهما وذلك النبوة وهي التي
هدى الناس من الضلال والكتاب وهي الكتب الالهية الاربعة التوراة والزبور والانجيل
والقران وجميعها انزلت على ذرية ابرهيم وابرهيم من ذرية نوح عليهما السلام فوقع
التحقيق بالنبوة والكتاب فقال تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وعطف
عليهما ثم قفينا على اثارهم برسلنا وهم الرسل الذين جاوا بعد الذرية والمعنى ثم
بعثنا على اثارهم رسلنا الذين ارسلناهم وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل
فهو من ذرية ابرهيم من جهة امه والانجيل هو الكتاب المنزل عليه اي اوحيناه اليه
قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
الذين اتبعوه هم الحواريون والرافة والرحمة في القلب لا تكتسب للانسان فيها ولهذا قال
وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن وللانسان فيها
تكسب والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة متحملين كلفا زايدة
على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء
والتعبد في الكهوف وقوله ابتدعوها اي ابتدعتها امة النصارى ما كتبناها عليهم

ايما

ايما شرعناها لهم وانما هم التزموها من تلقاء انفسهم ٥ روي ابن عباس رضي الله عنهما
ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما غير الملوك التوراة والانجيل فساح
نفر وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا ٥ وقال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام
ارتكبوا المحارم ثلثماية سنة فانكره عليهم من كان بقي على منهاج عيسى عليه السلام
فقتلوهم وقال قوم قد بقوا بعدهم نحن لا يسعنا المقام بينهم فاتخذوا اسرابا وصوامع
ابتدعوها بالبراري والجبال ترهبوا فيها وهو قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله دلت هذه الاية على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع
بدعة حسنة ان يدوم عليها ولا يعدل عنها فيدخل في معنى الاية ٥ وعن ابي امامة الباهلي
واسمه صدي بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب
عليكم وانما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا
من بني اسرايل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا رضوان الله فما رعوها حق
رعايتها فعابهم الله بتركها وقال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
وجه الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير
منهم فاسقون دلت الاية على العزلة عن الناس وذلك مندوب اليه عند هيج
الفتن وفساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان قال الله تعالى فما رعوها حق رعايتها
ايما حفظوا تلك الرهبانية حق حفظها وما ثبتوا عليها بل ترك كثير منهم الحق وثبت
بعضهم على الحق فاتا الله الذين امنوا بالله ورسله اجرهم وقوله وكثير منهم
فاسقون اي خارجون عن الطاعة لان من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق
والوعيد ٥ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين اخذت بنوا اسرايل الرهبانية
قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله
تعضب اهل الايمان فقاتلوهم وكانوا ثلاث فرق فقامت على الجبابرة الفرقة الاولى
بعد عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ثم قامت طايفة اخرى لم
يكن لها قوة مثل الاولى بالقتال فقامت بين الملوك ودعتهم الى دين الله ودين عيسى
فقطعتهم الجبابرة بالمناشير واحرقتهم بالنار فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهر

تقووا على محاربتهم

علينا هولآ افنونا ولم يبق للدين احد يدعوا اليه فتعالوا لوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله
النبي الذي وعدنا عيسى به فتفرقوا في الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد
اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلوة والصوم والحج
والتكبير على التلاع ۞ قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ
كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ قال ابن عباس كفلين اجرين بمحمد وبمن تقدم والكفل الحظ فلما
بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا القليل جاء رجل من صومعته
وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه قال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته بايمانهم بعيسى والتوراة
والانجيل وبايمانهم بمحمد صلوات الله عليهما وتصديقهم القران ۞ قوله تعالى وَيَجْعَلْ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ اي يجعل لكم نورا في الدنيا باتباع القران تمشون به في الناس تدعونهم
الى الاسلام فتكونوا رؤساء في الاسلام ولا تفوتكم تلك الرياسة التي كنتم تخافون
فوتها ۞ وقال الامام احمد بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله ۞ وقال
ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل
امن بالكتاب الاول والكتاب الاخر فله اجران ورجل كانت له جارية فادبها واحسن
تاديبها ثم اعتقها وتزوجها وعبد مملوك احسن عبادة ربه واطاع سيده ۞ وقال
الكلبي جاء اربعة وعشرون رجلا قدموا من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الانبياء فاسلموا فقال لهم ابو جهل
بئس القوم انتم وبئس الوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
فجعل الله لهم اجرين بايمانهم بكتابهم الاول واجرا بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فبلغ
ذلك عبد الله بن سلام واصحابه فقالوا يا رسول الله نحن ايضا اهل كتاب افليس لنا اجران
مثل ما لهؤلاء فلما فعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون نحن
افضل منكم لنا اجران ولكم اجر واحد فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي اطيعوا
الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته يعني اجرين ويجعل لكم نورا تمشون به في القيامة

فله اجران

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قوله ويغفر لكم وعدهم بالمغفرة ومنه الاية لقوله
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو
الفضل العظيم ۞ وقال سعيد بن عبد العزيز سال عمر بن الخطاب حبرا من احبار اليهود
افضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلثمائة وخمسين ضعفا قال فكبر فحمد الله عمر على انه
اعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته قال سعيد والكفلان ن
في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير ومما يؤيد هذا القول ما رواه الامام احمد حدثنا
ايوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اليهود
والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلوة الصبح الى نصف النهار على
قيراط قيراط الا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من صلوة الظهر الى صلوة العصر
على قيراط قيراط الا فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من صلوة العصر الى غروب الشمس
على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين عملتم فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر
عملا واقل عطاء قال هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فانما هو فضلي اوتيه من اشاء اخرجه
البخاري ورواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله ۞
وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا ابو اسامة عن بريد عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون
له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك
الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت
لكم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوا العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت
لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية
يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور
انفرد به البخاري ۞ قوله تعالى لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اي ليتحققوا اهل
الكتاب انهم لا يقدرون على رد ما اعطاه الله ولا اعطاء ما منعه الله وان الفضل بيده يؤتيه
من يشاء ۞ اعلم ان اهل الكتاب كانوا يفضلون انفسهم على سائر الاديان بسبب الكتاب
فاعلم هؤلاء الذين خاطبهم بقوله اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين اي انكم اذا امنتم بمحمد

اتاكم اسما يوتى من آمن بموسى وعيسى عليهما السلام اذا ما توافيل بعد ذلك الدين
الحق باليهودية والنصرانية ولم يدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيومنوا به ه وقيل
ويعلم من اجتمع له الايمان بالكتابين افضل عند الله ممن انفرد بالايمان بكتاب ويكون تقديره
يوتكم كفلين من رحمته ليعلم اهل الكتاب انهم لا قدرة لهم على شي من فضل الله حتى يخصوا
انفسهم بك فيفضلوا على غيرهم انما الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ه هو الذي يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويفرق ويجمع ، ويصل ويقطع ، ويخفض
ويرفع ه انزل علينا كتابا ناسخا من الكتب ما تقدمه فما غيره يسمعه في سموات اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه في كل يوم وليل جديد ، بالتنزه لله عن قول الملحدين بالسنة
عباد مقرين بالتوحيد ، ومن نعم الله توفيقي لختم سورة الحديد ه اللهم اني اسالك بك ،
ان تخرجني الى محض نورك ، وتنقذني من ورادة غيرك ، حتى تفتقر الى كل شي حقيقة
افتقاري اليك ، يا ذا الفضل العظيم لا انسب لك الا عليك ، امنن علي بمفتاح من مفاتيح
غيبك ، وافتح لي بابا من ابواب توبك ، يا علام ما حكم يا ذا الفضل العظيم واغفر لي وللوالد
وللمسلمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

سورة المجادلة بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع بصير الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا
اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو
غفور والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من
قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتومنوا
بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله
ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين
عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والله على كل شي شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا

هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شي عليم
تفسيرها قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير هذه السورة مدنية الا اية
الم تر ان الله نزلت بمكة وهي احدى وعشرون اية في المكي والمدني الاخير واثنان وعشرون
في الباقي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
الاية نزلت بمكة وانتظام ختم سابقتها وافتتاح هذه انهما جميعا بذكر الثناء على الله عز وجل
بفضله على عباده والتي نزلت فيها وجادلت هي خولة بنت ثعلبة بن قيس بن مالك من بني عمرو بن
عوف امراة ابن الصامت وقيل خولة بنت خويلد وقيل خولة بنت حكيم ومن المفسرين من قال
ان الزوج اوس بن الصامت وقيل سلمة بن صخر البياضي والصحيح الاول هي خولة بنت ثعلبة
بن قيس بن مالك بن حزام بن الخزرج من بني عمرو بن عوف زوج اوس بن الصامت بن قيس
بن حزم الانصاري كانت تحته وكانت حسنة الجسم فراها اوس ساجدة في صلاتها
فنظر الى عجزها فاعجبته فلما انصرفت من الصلوة ارادها فابت عليه فغضب عليها وقال لها
انت علي كظهر امي وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة فاتت زوجته
خولة النبي صلى الله عليه وسلم تطلب الرخصة فقالت يا رسول الله اكل اوس شبابي فلما
كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال لها ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل
فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت
في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي
جاعوا فهذا هو اشتكاوها الى الله فنزل الوحي عند جدالها بقوله قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما والله سميع بصير قال الامام احمد
حدثنا ابن معوية حدثنا الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عايشة رضي الله عنها الحمد لله
الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وانا
في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها الى اخر الاية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد فقال وقال الاعمش عن
تميم بن سلمة عن عروة عن عايشة فذكره وهكذا اخرجه النسائي وابن ماجة وابن ابي حاتم
وابن جرير من غير وجه عن الاعمش وفي رواية لابن ابي حاتم عن الاعمش عن تميم بن سلمة

عن عبيدة عن عائشة انها قالت تبارك الله الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة
بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر
مني اللهم اني اشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الاية قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها وقال ابو يزيد لقيت امراة امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف
لها ودنا منها واصغى اليها راسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت
فقال له رجل يا امير المومنين حبست رجال قريش على هذه العجوز فقال ويحك
وتدري من هذه قال لا قال هذه امراة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه
خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها
ثم قال الا ان تحضر صلوة فاصليها ثم ارجع اليها حتى تقضي حاجتها وقد رواه ابن
ابي حاتم ايضا فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم
ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا اي لما كان المعنى كظهر امي اي كامي في التحريم لانه اشارة الى الركوب اذ عبر
عن الظهر الحيوان والمعنى انه لا يعلوها كما لا يعلو امه ولذلك تقول العرب نزلت عن
امراتي اي طلقتها وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه
كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وجاء النفي بقوله ما هن امهاتهم ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم وهذا تاكيد لذلك بقوله ان امهاتهم حقيقة الا اللائي ولدنهم
والحق بهن في التحريم امهات الرضاع وامهات المومنين ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
والزوجات ليس امهات حقيقة ولا ملحقات بهن فقولهم المظاهر منكر من القول
تنكره الحقيقة وتنكره الشرع وقوله وزورا كذب باطل منحرف عن الحق وهو محرم
عند الامام مالك وعند بقية تحريم المكروهات جدا اذا وقع لزم فقد رجى الله تعالى
بعده بقوله تعالى وان الله لعفو غفور مع الكفارة وقال الزمخشري والله لعفو غفور
مع الكفارة لما سلف منه اذا تاب عنه ولم يعد اليه انتهى وهذه نزغة اعتزالية ۝
وقيل الظهار لا يكون الا بالام وحدها فلو قال انت علي كظهر اختي او ابنتي لم يكن ظهارا

وهو قول

وهو قول قتادة والشعبي وداود ورواية ابي ثور عن الشافعي وقال الجمهور الحسن
والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري ابو حنيفة ومالك والشافعي في قول هو ظهار
وقيل الظاهر ان الذمي لا يلزمه ظهاره لقوله منكم اي من المومنين وبه قال الامام ابو
حنيفة وقال الامام الشافعي يصح ظهاره والظاهر ان قوله من نسائهم يشمل المدخول
بها وغير المدخول بها من الزوجات لان ظاهر منها قبل عقد نكاحها وبه قال الامام ابو
حنيفة والامام الشافعي لكونها ليست من نسائه وقال الامام مالك يلزمه ظهاره اذا
نكحها ولو فتحت هذا الباب لطال ولكن ينظر فيه من كتب الفقه من اراد تحقيقه فلما
نزل جبريل عليه السلام بهذه الايات فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اوس وقال ما حملك على ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة قال نعم فقرا عليه
الاربع ايات وقال له هل تستطيع العتق قال لا والله قال له هل تستطيع الصوم
قال لا والله ان اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت
قال اطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة قال فاعانه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق
به على ستين مسكينا ۝ وقال ابو سليمان الخطابي ليس المراد من قوله في الخبر عن اوس
وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شي بل
معنى اللمم هنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان اليهن وقد تقدمت
ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية انه في التحـ [illegible] ربما يمكن الكل الذي ذكر
[illegible] عليه الصلوة والسلام قال لها حرمت وما اراك الا حرمت فيه دليل على
[illegible] طمع وجاوز عن المخلوق لم يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك
[illegible] الله تعالى يحكي عن هذه المراة امرين احدهما المجادلة وهو قوله تجادلك
في زوجها اي في شان زوجها والثاني شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها
ان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا
وقيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي اي شبهها بامه ولم يقل انها امه فما
معنى جعله منكرا من القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب فالجواب
ان قوله ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لانه جعله سببا

للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك ايضا فانما وصف بذلك لان الأم مؤبدة التحريم
والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف لان المشبه لا يلزم ان يساوي المشبه به
من كل وجه ٥ وقوله وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي كذبا وباطلا ٥ وقوله ان الله
لعفو غفور اي يعفوا عن ذنوب عباده اذا تابوا منها عفو ويسترها عليهم بعد التوبة
فلا يفضحهم بها ولا يعاقبهم عليها ٥ وقد استدل الامام مالك ان الكافر لا يدخل في
هذه الاية لقوله منكم والخطاب للمؤمنين ٥ قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما
تعملون خبير قوله والذين يظاهرون من نسائهم اي في الجاهلية كان الظهار عادتهم
ثم يعودون لمثل ذلك في الاسلام فتحرير رقبة اي عليهم تحرير رقبة قال ابو حنيفة
واصحابنا تجزي فيه المكاتب لانه عبد ما بقي عليه درهم وقوله من قبل ان يتماسا اي لا
يجوز للظاهر ان لا يطأها حتى يكفره وقال احمد بن حنبل هو ان يعود الى الجماع او يعزم
عليه فلا يحل له حتى يكفر هذه الكفارة ٥ وحكي عن مالك انه العزم على الجماع
او على الامساك وعنه انه الجماع ٥ وقال اخرون هو ان يعود الى الظهار بعد
تحريمه ورفع ما كان عليه امر الجاهلية فمتى تظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما
لا يرفعه الا الكفارة وعليه الصحابة والليث بن سعد ٥ وقال ابن لهيعة حدثني عطا
عن سعيد ابن جبير في قوله ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة يعني يريدون ان يعودوا في
الجماع الذي حرموه على انفسهم ٥ وقال الحسن البصري يعني الغشيان
في الفرج وكان لا يرى باسا ان يغشى فيما دون الفرج قبل ان يكفر ٥ وقال علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس من قبل ان يتماسا والمس النكاح وكذا قال عطا والزهري وقتاده ومقاتل
ابن حيان ٥ وقال الزهري ليس له ان يقبلها ولا يمسها حتى يكفر ٥ وقد روى اهل السنن
من حديث عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله اني ظاهرت من امرأتي فوقعت
عليها قبل ان اكفر فقال ما حملك على ذلك يرحمك الله قال رايت خلخالها في ضوء القمر
قال فلا تقربها حتى تفعل ما امرك الله عز وجل وقال الترمذي حسن غريب صحيح
ورواه ابو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلا قال عكرمة وهو اولى بالصواب
وقوله فتحرير رقبة اي فاعتاق رقبة كاملة من قبل ان يتماسا فههنا الرقبة مطلقة

غير

غير مقيدة بالايمان وفي كفارة القتل مقيدة بالايمان فحمل الشافعي رضي الله عنه ما اطلق
ههنا على ما قيد هناك وهو عتق الرقبة ٥ وقوله ذلكم توعظون به اشارة التحرير
اي فعل عظة لكم لتنتهوا عن الظهار ٥ وقيل ذلكم توعظون به اي تؤمرون به ٥ وقوله
والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره ٥ قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
اي فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها او وجدها او ثمنها وكان محتاجا الى ذلك فالامام ابو
حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك ولا ينتقل الى الصوم وهو الظاهر وقال
الامام الشافعي ينتقل الى الصوم ٥ وصيام الشهرين بالاهلة وان جاء احدهما ناقصا
او بالعدد لا بالاهلة والظاهر وجوب التتابع فان افطر بغير عذر استانف وقال
ابن المسيب والحسن وعطا بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي ومالك والشافعي في
احد قوليه يبني ٥ وقال النخعي وابن جبير والحكم بن عيينة والثوري واصحابنا والشافعي
في احد قوليه ان وجد الرقبة بعد ان شرع في الصوم انه يصوم ويجزيه وهو مذهب
مالك والشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه يلزمه العتق ولو وطئ في خلال الصوم
بطل التتابع ويستانف وهو قال ابو حنيفة ومالك وقال الشافعي يبطل ان جامع نهارا
لا ليلا فمن لم يستطع الصوم لزمانة به او لكونه يضعف ضعفا شديدا كما جاء في حديث
اوس لما قال له فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال والله يا رسول الله اني
اذا لم اكل في اليوم والليلة ثلاث مرات كل بصري وخشيت ان تعشوا عيني ٥ وقوله
فاطعام ستين مسكينا والظاهر مطلق الاطعام وتخصيصه ما كانت العادة في الاطعام
وقت نزول الاية وهو ما يشبع من غير تحديد ومذهب الامام مالك انه مد وثلث بالمد
النبوي وهذا الامام مالك والامام الشافعي يجب استيعاب العدد ستين وقال
الامام ابو حنيفة واصحابه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع اجزاه عند
كمال العدد ٥ قوله تعالى ذلك لتؤمنوا الخ نصت الكفارة على الترتيب كما ورد
في الصحيحين في الترتيب وقوله ذلك لتؤمنوا اشارة الى الرخصة والتسهيل في
التنقل من التحرير الى الصوم ومن الصوم الى الاطعام ثم شدد تعالى بقوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب اليم اي وتلك حدود الله فلا تقربوها وقفوا

عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم ان لم يومنوا ويلتزموا باحكام هذه الشريعة لا يعتقدون
انهم يتجاوزون البلا كلا ليس الامر على ما زعموا بل لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة ه وقال
الزمخشري ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في
العمل بشرايعه التي شرعها في الظهار وغيره ورفض ما كانوا عليه في جاهليتهم وتلك
حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم
انتهى ه قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم
وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين هذا اخبار من الله تعالى
عمن يشاقق الله ورسوله ويعاندوا شرعه ووجه المناسبة للايات السابقة ان الله تعالى
لما ذكر المومنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المعاداة
والمخالفة في الحدود وقوله تعالى كبتوا قال قتادة اخزوا وقال السدي لعنوا وقال
ابن زيد وابو روق خذلوا وقال الفرا غيظوا يوم الخندق ه وقال ابو سعيد
كبوا لوجوههم ه وقال الخليل صرعوا ه وقال ابو عبيدة اهلكوا ه وقال ابو عبيدة
كبتوا اصله كبدوا اي ضربوا على كبودهم وهذا بشارة للمومنين بنصرهم
على الكافرين واهلاكهم ه وقوله وقد انزلنا ايات بينات اي على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم وصحة ما جاء به ه وقوله وللكافرين اي الذين يجحدون
اياته عذاب مهين ه قوله تعالى يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا اي
يعذبهم هذا العذاب يوم يبعثهم من قبورهم جميعا الرجال والنسا وقيل
الاولين والاخرين وقيل المحادين لله ورسوله في هذا العصر وفي الاعصار الخالية ه
قوله تعالى فينبئهم بما عملوا من محادة الله ورسوله تخجيلا لهم وتوبيخا أحْصَاهُ
اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اي حصاه الله عليهم في صحايف اعمالهم
وهم نسوه حتى ذكرهم به في صحايفهم فهو جل وعلا حفظ اعمالهم عليهم بجميع
تفاصيلها من كسبهم وكيفية زمانهم ومكانهم لاستحضارهم يوم القيامة واعتقادهم
انه لا يقع عليهم حساب والله تعالى شهيد لا يخفى عليه شيء ه قوله تعالى الم تر
أنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ الاية

تقدم

تقدم الكلام عليه مرات وقوله ما يكون من نجوى المعنى ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في
السموات ولا في الارض ووجه المناسبة ان الله تعالى لما اخبر عن الحشر لبيان انه يبعثهم جميعا
رجالهم ونساهم فينبئهم بجميع اعمالهم التي احصاها عليهم وهم قد نسوها انكرانهم
لنكرانهم ذلك اليوم وختم الاية بقوله والله على كل شيء شهيد لعلمه بجميع المعلومات
وجميع الاشيا الظاهرات والخفيات فاتى في هذه الاية معلما لنبيه صلى الله عليه وسلم
انه عالم بما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه شيء فكيف تخفى عليه من هذه صفته اعمال
هولا الكافرين ثم وصف قربه من عباده وسماعه نجواهم وما يتكلمون من احاديث
يتحدثون بها سرا بينهم فقال ما يكون من نجوى ثلاثة الاية ه ووجه اخر في المناسبة
لما اخبر عن الذين شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه انهم لعنوا واخزوا كما
فعل بمن شبههم بهم من قبلهم وانزل الايات البينات الواضحات لا يخالفها ويعاندها
الا من كان كافرا فاجرا معاندا واخبر ان لهم عذاب مهين في مقابلة ما استكبروا عن
اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه ثم قال يوم يبعثهم الله جميعا وذلك
يوم القيامة يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فينبئهم بما عملوا اي يجزيهم
جزا اعمالهم من خير وشر بضبط الله له وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا
والله شهيد لا يغيب عنه شيء ثم قال تعالى مخبرا عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه
عليهم وسماعه كلامهم حيث كانوا واين كانوا من اقطار السموات والارض اينما كانوا
مطلع عليهم يسمع كلامهم ويعلم اسرارهم ونجواهم فان قيل ما الحكمة في ذكره
تعالى الثلاثة والخمسة واهمل الاربعة فالجواب من وجوه ه الاول ان ذلك اشارة
الى كمال الرحمة لان الثلاثة اذا اجتمعوا فاذا تناجا اثنان منهم بقي الواحد ضايعا
وحيدا ولهذا قال عليه الصلوة والسلام اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثا لث
الا باذنه فان ذلك يحزنه فكانه تعالى يقول انا جليسك وانيسك وكذا الخمسة
اذا اجتمعوا بقي الخامس وحيدا فريدا فيكون الله مع الوحيد الفريد ه الثاني
ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله تعالى وتر يحب الوتر فخص الاعداد الوتر بالذكر
تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور الالهية في جميع الامور ه الثالث ان اقل ما لا بد
منه في المسارة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة الثلاثة لان الاثنين اذا كانا كالمتنا زعين
في النفي والاثبات فيكون الثالث كالحكم بينهما فحينيذ تكمل المشورة ويتم ذلك
الغرض فلهذا السبب لا بد وان يكون ارباب المشورة عددهم فرد افذكر الله تعالى

العددين الاولين اللذين ذكرهما تنبيها على الباقي لسماع ان الاية نزلت في قوم من
المنافقين اجتمعوا على التناجي وكانوا على هذين العددين مغايظة لاهل الايمان ۝
قوله تعالى اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة قوله اينما كانوا اي في اقطار
الارض لانه تعالى يسمع نجواهم ان كانوا اقل من ثلاثة او اكثر من خمسة وقوله الا
هو معهم علما وسماعا لا مكانا تعالى الله ان يحويه مكان او يحصره زمان فانه
يتعالى عن ذلك علوا كبيرا فهو تعالى يخبرهم على اعمالهم يوم القيمة ان الله بكل شيء
عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات تقدم الكلام عليه مرات
وقال الامام احمد افتتح الاية بالعلم واختتمها بالعلم فهو عالم بالحركات والسكنات
وبجميع ما في اقطار الارض والسموات وهو بكل شيء عليم يعلم حركات ارجل النمل
في جنح الليل البهيم ثم اخبر عمن نهوا عن النجوى وهم عنها لا ينتهون فقوله تعالى
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان نهوا
ومعصيت الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا
بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين
امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا
فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون
خبير يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك
خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا
بين نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة ۝ يدي
واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ۝ التفسير قوله تعالى
قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المومنين وينظرون اليهم ويتغامزون
باعينهم فيتوهم المومنون عن اقربائهم انهم اصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى يقدم
اقرباؤهم فلما كثر ذلك منهم شكا المومنون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم

ارلا

ان لا يتناجوا دون المومنين فلم ينتهوا فنزلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال
مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المومنين
تناجوا فيما بينهم حتى يظن المومن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله تعالى فلم ينتهوا وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني سفين بن حمزة عن كثير بن زيد عن ابن
عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نبيت عنده تطرقه امر من الليل فلما كانت ذات ليلة كثر اهل النوب والمحتسبون
حتى كنا انديه نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى الم
تنهوا عن النجوى قلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح فرقا منه
فقال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان
يقوم الرجل يعمل لمكان رجل هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء ۝ قوله تعالى
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم
يحيك به الله اي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم ۝ وقيل المراد بالاثم
والعدوان الكذب والظلم ومعصية الرسول مخالفته يدومون عليها ويتواصون بها
وقوله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله قال ابن ابي حاتم بسنده عن عائشة
رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك
يا ابا القاسم فقالت عائشة رضي الله عنها وعليكم السام قالت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوما سمعت فقولي وعليكم فانزل الله واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به
الله وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة وفي رواية انها قالت لهم عليكم السام واللعنة
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا ۝
قوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها اي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وايهام السلام وانما هو
شتم في الباطن ومع هذا يقولون في انفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له
في الباطن لان الله يعلم ما نسره به فلو كان هذا نبيا حقا لاوشك ان يعاجلنا الله
بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها اي جهنم كفايتهم في الدار
الاخرة يصلونها فبيس المصير وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله واذا

جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله لكان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حيوه سام عليك فقال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فادب الله تعالى
عباده المومنين بقوله يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي
اليه تحشرون وقال يا ايها الذين امنوا بالله ورسوله لا تتناجوا بالاثم والعدوان
اي يبغض الله تعالى لفعلها امر به الى تناجوا بطاعة الله وما يقربكم منه واتقوا الله وخافوه
الذي اليه مصيركم فيعاقبكم حالة مصيركم اليه قال الامام احمد بسنده عن صفوان بن
محرز قال كنت اخذا بيد ابن عمر رضي الله عنهما اذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تعالى يدني العبد فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره
بذنوبه ويقول له اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا حتى اذا قرره
بذنوبه وراى نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك
اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة ۞ وقوله وتناجوا
بالبر والتقوى يراد بالبر الطاعة وبالتقوى مخالفة ما امروا به ان يتقوا ذلك وينتهوا
اذا ما كلفوا من ضده اجتنابا بمعاصيه وقوله واليه تحشرون اي تبعثون وتحشرون
لمجازاتكم ۞ قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم
شيئا الا باذن الله وجه المناسبة قوله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فقدم
انهم كانوا يقولون السام عليك وهو الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لانبيائه السلام
على عباده الذين اصطفى وقوله لولا يعذبنا الله بما نقول اي ان كان نبيا فانه يدعوا
علينا حتى نعذب بما نقول فقال تعالى حسبهم جهنم ثم نهى المومنين ان يكون تناجيهم
مثل تناجي الكفار وبدا بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في النفوس اذ هي ظلامات
العباد ثم ترقى الى ما هو اعظم وهو معصية الرسول وفي هذا طعن على المنافقين ثم قال
يا ايها الذين امنوا الاية اي لا تفعلوا فعل المنافقين واليهود وتناجوا بالطاعة والعفة
عما نهى الله عنه وامر عباده امرا عاما ان يتقوه لانهم يحشرون جميعهم اليه فينبئوا

كلا

كلا نفعله ويجازيه عليه فيجازي المومن بفضله والكافر بعدله ثم اخبر انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا كانوا يوهمون المومنين ان اقاربهم الذين خرجوا سرايا للغزو انهم
غلبوا او قتلوا ثم اخبر تعالى ان ليس التناجي بالشيطان والحزن بضار المومنين الا باذن الله
ومشيته فيقضي بالقتل او الغلبة وقال المفسرون معنى قوله انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا اذا توهموا المسلمين ان اقرباهم اصيبوا في السرايا فاخبر الله تعالى
ان التناجي ليس بضارهم شيئا الا باذن الله وقيل بعلمه ۞ وقال ابن عباس بامره ۞ قوله تعالى
وعلى الله فليتوكل المومنون اي فليتوكل اهل الايمان ولا يحزنوا من تناجي المنافقين
فان تناجيهم غير ضارهم ۞ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في
المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وجه المناسبة ان الله تعالى لما نهى المومنين عما
هو سبب للتباغض والتنافر امرهم بما هو سبب التواد وجلب القلوب بالمحبة فقال
يا ايها الذين امنوا الاية ۞ واما سبب نزولها فقال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون تسول
في مجلس الرسول فامروا ان يفسح بعضهم لبعض ۞ وقال ابن عباس المراد مجالس القتال
اذا اصطفوا للحرب ۞ وقال الحسن ويزيد بن حبيب كان الصحابة يتشاحون على
الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة فنزلت ۞ ووجه اخر
من المناسبة وهو قول بعضهم لما بين الله تعالى ان اليهود حيوه بما لم يحيه به الله ذمهم
على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
لا تضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتالف بفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا
من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه ۞ والمعنى يقول الله تعالى
موديا عباده المومنين وامرا لهم ان يحسن بعضهم الى بعض في المجالس وليس الامر
بالتفسح عاريا عن الفضل بل له جزاء كريم وخير عظيم بقوله يفسح الله لكم وذلك ان
الجزاء من جنس العمل كما جاء في الصحيح من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ۞
وحديث اخر من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة والله في عون العبد
ما كان العبد في عون اخيه ولهذا اشباه كثيرة ولهذا قال فافسحوا يفسح الله لكم ۞ قال
قتادة نزلت هذه الاية في مجالس الذكر وذلك انهم كانوا اذا راوا احدهم مقبلا
ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم الله ان يفسح بعضهم

لبعض وقال مقاتل بن حيان نزلت هذه الاية يوم جمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من
اهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم سلموا على
القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فلم يزل يقيمهم
بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والانصار فشق ذلك على من اقيم من مجلسه
وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون الستم تزعمون ان
صاحبكم هذا يعدل بين الناس والله ما رايناه قد عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم
واحبوا القرب من نبيهم فاقامهم واجلس من ابطا عنه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولهم فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم
لاخوانهم ونزلت هذه الاية يوم الجمعة رواه ابن ابي حاتم ۝ وقال الامام الشافعي
والامام احمد حدثنا سفين عن ايوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا اخرجاه في الصحيحين
وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد اذا جاء على اقوال فمنهم من رخص
في ذلك محتجا بحديث قوموا الى سيدكم ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث من احب
ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم
من سفر وللحاكم في محل ولايته واستدل عليه بقصة سعد بن معاذ رضي الله عنه فانه
لما استقدمه النبي صلى الله عليه وسلم حاكما في بني قريظة فراه مقبلا قال للمسلمين قوموا
الى سيدكم وما ذاك الا ليكون انفذ لحكمه والله اعلم ۝ واما اتخاذ القيام ديدنا فانه
من شعار العجم وقد جاء في السنن انه لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان اذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته ذلك ۝ وروى ابو داود بسنده
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا
الخلل ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه

الله

الله ولهذا كان ابي بن كعب سيد القراء اذا انتهى الى الصف الاول انتزع رجلا ويدخل
هو في الصف المقدم ويحتج بالحديث ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى واما عبد الله بن
عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من الحديث
الذي ورد به ولنقتصر على المقدار من الانموذج المتعلق بهذه الاية ۝ وفي الحديث
الصحيح بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اقبل ثلاثة نفر فاما احدهم فوجد
فرجة في الحلقة فدخل فيها واما الاخر فجلس وراء الناس وادبر الثالث ذاهبا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخبر الثلاثة اما الاول فاوى الى الله فاواه الله
واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه ۝ وقال الامام احمد
بسنده الى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
ان يفرق بين اثنين الا باذنهما رواه ابو داود والترمذي من حديث اسامة بن زيد ۝ قوله
تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات اي الى قتال العدو او صلوة او عمل خير وقال مجاهد فانشزوا الى
الخير وقال الحسن هذا كله في الغزو والنشز ما ارتفع من الارض ۝ وقال مقاتل
اذا دعيتم الى الصلوة فارتفعوا اليها ۝ وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا اذا
كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته فارادوا الانصراف احب كل منهم
ان يكون اخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقد
تكون له الحاجة فامروا انهم اذا امروا بالانصراف ان ينصرفوا فلينصرفوا ۝ وقوله
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اي يرفع الله من فعل ذلك درجات
في الجنة وانما ذكر الايمان والعلم في الاية لان التفسح والنشوز انما جاء بعد التمكن والطمانينة
وانما لهذا النعت انما يكون بعض من توفر حظه من الايمان والعلم لانه يفعل ذلك تعظيما
لاخيه المؤمن وتعطفا عليه ويشركه معه في الخير بالاستماع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ختم الاية بقوله والله بما تعملون خبير من التفسح والنشوز للاخوة
من المؤمنين ۝ وقيل في قوله واذا قيل لهم انشزوا اي ارتفعوا عنه في بيته وقوموا
وارجعوا فان له حاجة وكان كل رجل منهم يحب ان يكون اخرهم عهدا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامروا بالتخفيف وعلى هذا يكون تفسحوا ما دام يحدث وانشزوا

اذا فرغ الكلام ٥ وقد تقدم فيما رويناه قول الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قاتل المشركين وصف اصحابه القتال تشاحوا في الصف الاول ليكونوا في اول
القوم وكان الرجل منهم يجيء الى الصف الاول فيقولوا توسعوا لنلقى العدو ونصيب
الشهادة فلا يتوسعون رغبة منهم في الجهاد والشهادة ان يصيبوها فانزل الله تعالى
هذه الاية ٥ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقات ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
المعنى ان قوما من المؤمنين كثرت مناجاتهم للرسول عليه الصلوة والسلام في غير حاجة
ليظهروا منزلتهم وكان عليه الصلوة والسلام سمحا لا يرد احدا فنزلت مشددة ٥
عليهم امر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ قبل العمل به ٥ وقال قتادة عمل به ساعة
من النهار ٥ وقال مقاتل عشرة ايام ٥ وقال علي ما عمل بها احد من الله تعالى عباده المؤمنين
اذا ارادوا احدهم ان يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يساره فيما بينه وبينه
ان يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهرهم وتزكيهم وتاهلهم لان يصلحوا لهذا المقام ولهذا
قال ذلك خير لكم واطهر ثم قال فان لم تجدوا اي الا من عجز عن ذلك لفقره فان الله
غفور رحيم فيكون الامر بها لمن قدر عليها ٥ وقال ابن عباس في سبب النزول ان المسلمين
كانوا يكثرون المناجاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله
تعالى هذه الاية فكف كثير من الناس وقال زيد بن اسلم ان المنافقين واليهود كانوا
يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون هو اذن يسمع كلما قيل له وكان لا يمنع احدا
مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم يناجوه
بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول الاية فانتهى اهل الباطل عن النجوى لانهم لم
يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا عن النجوى
لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة ٥ وقال ابن العربي وهذه الخبرية تدل على
ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلك خير لكم واطهر ثم نسخه
مع كونه خيرا واطهر وهذا يرد على المعتزلة في التزام المصالح انتهى ٥ وظاهر الاية
يدل على تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده

فان لم

فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وهذا لا يقال فيما تقرر وجوبه وقيل كان مندوبا
لقوله تعالى ذلك خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو
كان واجبا لما ازيل وجوبه بكلام متصل به وهو قوله ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فنسخ ذلك عنهم وقيل انه لم يعمل بهذه الاية قبل نسخها سوى علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه قال ابن ابي نجيح عن مجاهد نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي ابن ابي طالب قدم دينارا صدقة ثم ناجى النبي صلى الله عليه
وسلم فساله عن عشر خصال ثم نزلت الرخصة ٥ وقال ليث ابن ابي سليم عن مجاهد قال علي
رضي الله عنه اية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها احد غيري كان عندي دينار فصرفته
بعشرة دراهم فكنت اذا جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجيته تصدقت بدرهم
فناجيته عشر مرار اتصدق في كل مرة بدرهم فنسخت فلم يعمل بها احد بعدي ثم تلا
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الاية ٥ وقال ابن جرير
بسنده عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا
يطيقونه قال نصف دينار قلت لا يطيقونه قال فما ترى قلت شعيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انك لزهيد قال علي فبي خفف الله عن هذه الامة وقوله يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنزلت ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وروا الترمذي
عن سفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن ابي الجعد عن علي بن علقمة الانماري
عن علي ابن ابي طالب قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه وذكره
بتمامه مثله ثم قال هذا حديث حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه قال ومعنى قوله شعيرة
يعني وزن شعيرة من ذهب فانزل الله تعالى بعد هذا ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات ٥ وانكر ابو مسلم وقوع النسخ وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات
وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وامنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فاراد الله تعالى
ان يميزهم عن المنافقين فامرهم بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هولاء الذين امنوا عمن
بقي على نفاقه الاصلي فلما كان التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لاجرم

بقدر هذا التكليف بذلك الوقت وقال ابو عبد الله الرازي حاصل قول ابي مسلم ان ذلك
التكليف مقدر بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى تلك الغاية المخصوصة
ولا يكون هذا نسخا قال وهذا كلام حسن والمشهور عند الجمهور انه منسوخ بقوله أأشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وقوله فان لم تجدوا اي ما تتصدقون به امام مناجاتكم
رسول الله فان الله غفور رحيم اي يغفر الذنوب لكم اذا تبتم منها رحيم بكم ان يعاقبكم
عليها بعد التوبة واصل الاشفاق الخوف على الشيء برقة القلب عليه وهو في هذا
الموضع بمعنى اخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم
فرزقكم التوبة من ترككم ذلك فادوا ما فرض الله التي اوجبها عليكم ولم يضعها عنكم من الصلوة
والزكوة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون اي اطيعوا الله ورسوله
فيما امركم به والله جل وعلا ذو خبرة وعلم باعمالكم فمجازيكم بها فان قيل ظاهر
الاية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف وبيانه من وجوه الاول قوله
تعالى أأشفقتم ان تقدموا يدل على تقصيرهم ه الثاني قوله فاذ لم تفعلوا ه الثالث
قوله وتاب عليكم فالجواب قال الرازي ليس الامر كما قلتم لان القوم لم يكلفوا بان
يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم لو ارادوا المناجاة لابد من الصدقة
وتقديمها فمن ترك المناجاة لا يكون مقصرا واما لو قيل بانهم تناجوا من غير تقديم الصدقة
فهذا ايضا غير جائز فان المرويات ذلك لم يقدر على المناجاة فعلمنا ان الاية لا تدل
على صدور التقصير منهم ه واما قوله أأشفقتم فلا يمنع من انه تعالى علم ضيق صدور
كثير منهم عن اعطاء الصدقة في المستقبل لدوام الوجوب فقال هذا القول
واما قوله وتاب عليكم فليس في الاية انه تاب عليهم من هذا التقصير بل يحتمل انكم اذ كنتم
تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلوة واتيتم الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف
والله خبير بما تعملون ه الاشقياء بعد هذا التحذير يجهلون ه اظلمت قلوبهم من اكل الشبهات
وترتبت جسومهم على نيل الشهوات وهم يتقلبون نهارهم في الغفلات وينامون لياليهم
على فرش البطالات فلهذا جهلوا معرفة رب الارض والسموات فهم يجتهدون في توليهم قوما
غضب الله عليهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم
منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم

ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا
ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في
قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون هم
تفسير قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم
منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون هم المنافقون تولوا اليهود
والمغضوب عليهم المذكورون في اخر الفاتحة لان الضالين هم النصارى والمغضوب
عليهم هم اليهود ه وقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة
من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل فقال لاصحابه يقدم عليكم رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن سلول وكان ازرق اسمر قصيرا
خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل فقال له فعلت فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت ه واما وجه المناسبة
للاية السابقة لما امر بطاعته وطاعة رسوله واخبر انه خبير بما يعملون اخبر في هذه الاية
عن جليل علمه وقدرته بما انزله في المنافقين من انهم الكفار في الباطن وهم في نفس
الامر لا منهم ولا منكم كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا ه وقال هنا الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ويبين
تعالى انهم لا هم منكم ولا منهم وانما وصفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا اذا لقوا اليهود
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ويحلفون على الكذب
وذلك قولهم نشهد انك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدقين والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي يحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون لا يعتقدون اسلاما ولا

يهودية وهذا نهاية الخبث وسوء الديانة ه قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا
على كذبهم وهم عالمون بانهم كاذبون فيما حلفوا عليه وهي اليمين الغموس ولا سيما في
مثل حالهم اللعين عيانا بانه سيه لانهم لا يعتقدوا صدق ما قالوا وان كان مطابقا
ولهذا اشهد الله بكذبهم في ايمانهم اعد الله لهم عذابا شديدا اي هولاء المنافقين
الذين تولوا اليهود انهم ساء ما كانوا يعملون من غشهم المومنين ونصيحتهم لاعدا
الله ارصد الله تعالى لهم على هذا الصنيع العذاب الشديد على عملهم السيئة موالاة
الكافرين ومعاداة المومنين ولهذا قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن
سبيل الله اي اظهروا الايمان وابطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة وظن كثير من الناس
صدقهم وهم مجتهدون في صد الناس عن طاعة الله والايمان به والجهاد في سبيله ولهم
عذاب مهين في الدنيا والاخرة معد لهم جميع ما يظهرون من الايمان الكاذبة جنة
يستترون بها ويتقون المحذور لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا
وسبب نزولها انهم قالوا ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيمة ونحن نشقى فوالله لننصرن
يوم القيمة ونسعد بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيمة كما يزعم فنزلت ونزلت
معها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي ماكثون فيها الى غير نهاية ولن يدفع
عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيا اخبر كلفهم الباطل يوم بعثهم فقال
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اي يحشرهم يوم القيمة عن اخرهم
ولا يغادر منهم احدا فيحلفون له انهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون في
الدنيا لان من عاش على شي مات عليه وبعث عليه ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله
والعجب منهم كيف يعتقدون ان امرهم يخفى على عالم الغيب والشهادة ويكرونه مجرى
المومنين في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم والمقصود انهم مقيمون على الكذب
قد تعودوه حتى كان على السنتهم في الاخرة كما كان في الدنيا ويحسبون
انهم على شي الا انهم هم الكاذبون اي يحسبون حلفهم ذلك لربهم عز وجل انهم
على شي نفعوا ان سكوا عليهم حسبانهم ذلك الا انهم هم الكاذبون فاكد الخبر عنهم
بالكذب وكما قال في اية اخرى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اي استحوذ على قلوبهم الشيطان

حتى

حتى انساهم ذكر الله وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه لانه احاطهم من كل جهة وغلب
على نفوسهم واستولى عليها وتقدم تفسير هذه المادة في قوله الم نستحوذ عليكم في سورة
النسا ثم قال اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي
المتحزبون له المتعصبون لا ولياء المنافقون حيث يقودهم ثم اخبر ان حزب الشيطان
هالكون مغبونون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين المحادة عند
اهل اللغة فيصيرون في حد غير حد الذي حده اي يخالفون الله ورسوله فيما فرضه
من فرايضه فيصا دونه وقوله اولئك في الاذلين اي في الذل بصير امرهم من اغتنام
اموالهم وسبيهم وقتلهم في الدنيا وعذاب النار في الاخرة ه ثم قال كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ان الله قوي عزيز اي كتب في اللوح المحفوظ اي قضى وقدر وسبب نزولها
انه قال لما فتح الله مكة للمومنين والطايف وخيبر وما حولها قالوا نرجوا ان يظهرنا
الله على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم
عليهم والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنون فيهم ذلك فنزلت والمعنى
انه قد حكم وكتب في كتابه الاول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصرة
له ولرسوله وعباده المومنين في الدنيا والاخرة وان العاقبة للمتقين كما قال تعالى
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال هاهنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز اي كتب القوي العزيز انه الغالب لاعدايه وهذا قدر محكم وامر
مبرم ان العاقبة والنصرة للمومنين في الدنيا والاخرة ه قوله تعالى لا تجد قوما
يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الاقربين
كما قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شي الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه الاية وقال تعالى قل ان كان اباوكم
وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين والمعنى لا تجد قوما يصدقون الله ورسوله

ويقرون باليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وشاقوهما ولو كان حادوا الله ورسوله
اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم بدا الله تعالى بالاباء لانهم الواجب على الاولاد
طاعتهم فنهاهم عن موادتهم كما قال تعالى ان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم
فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب ثم ثلث
بالاخوان لانهم هم الناصرون كما قال الشاعر

اخاك اخاك ان من لا اخا له • كساع الى الهيجا بغير سلاح

ثم ربع بالعشيرة لان بهم التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع اذا ما
دعوا كما قال لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
ولما بالغ تعالى في المنع من هذه الموادة في الاية الاولى من حيث ان الموادة مع الايمان
لا يجتمعان بالغ هنا ايضا من وجوه وهي قوله ولو كان اباهم او ابناهم او اخوانهم
او عشيرتهم والمعنى ان الميل الى هولاء اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا
الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في ابي عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنه قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله
عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج ابنه
حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر صكة سقط منها
على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال او فعلته لا تعد اليه
فقال ابو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته ومصعب بن
عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم قتلوا
عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر اخبر ان هولاء لم يوادوا اقرباءهم وعشائرهم
غضبا لله ودينه • وقال القرطبي استدل الامام مالك رحمه الله على معاداة القدرية
وترك مجالستهم • وقال اشهب عن الامام مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله
لقوله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
قوله تعالى اولئك الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه اي من
اتصف بانه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان اباه وابنه واخاه فهذا ممن كتب الله
في قلبه الايمان اي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين له الايمان في بصيرته وقوله

ايدهم

ايدهم بروح منه وهو الهدى والنور واللطف وقيل الهدى القرآن وقيل جبريل يوم بدر
وقال ابن عباس وايدهم بروح منه اي قواهم • قوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه تقدم تفسيرها غير مرة وفي قوله رضي الله
عنهم ورضوا عنه سر بديع وذلك انهم لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم
الله بالرضى عنهم وارضاهم عنه بما اعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم • قوله تعالى
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون لما بين ما يجب من عداوة من حاد الله ورسوله
ولو كان قريبا او بعيدا لان ذلك من الدخول في الحق والخروج من الباطل ولا بد من خروج من
الايمان الموجب لنعيم الجنان والخروج من حزب الشيطان والدخول في حزب الله •
من وعده الله الفلاح • قال صاحب النجاح لانهم امنوا من كل مرهوب وفازوا بكل
محبوب • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ادخلهم في كنف الرحمن وفوزهم بالمغفرة
والرضوان فالمفلحون هم اهل الكمال في الدولة والاقبال فمن اقتدى بهم حشر من جملة
صالحيهم • وها انا اوردها لك رواية عنهم وهي الحلم والصبر والحياء والعفة
والادب والشكر والكرم والورع والمحافظة وصلة الارحام فهذه عشرة على
التمام والعشرة الثانية طلاقة الوجه واكرام الجليس وانصاف الحديث وحفظ
الجار وترك الكبر ولزوم الوقار وغض البصر وبذل السلام والصمت في المجالس
من غير عي وود الاخوان واساس هذا كله الخلق الحسن قال تعالى في نعت نبيه الكريم
وانك لعلى خلق عظيم • اللهم اني اسالك بسرادقات قدسك وبما سترته غواشي
نور مجدك وبما اخلصت به قلوب ارباب حزبك ان تحجبني من الشيطان وخيله ورجله
وحرصه وكيده وافكه ودجله وتنزه عقلي عن التخيلات والمحسوسات والموهومات
يا فاطر الارض والسموات وناصب القبلة بين الجهات وارزقني من العلوم الشريفة
العلية الالهية المتعلقة بالعلوم الازلية الابدية ونزه ارادتي ان تدور حول الحظوظ
البشرية التي ترجع الى لذة الشهوات البهيمية وطهر نفسي حتى ما يبعدك عن دنس
المخالفات وقلبي بنسيم بذلك عن الرغبة في الدنيا الا في حسن المعاملات واطلعني على
سر من خفيات لطفك واضمم الي قربة انس لا اكون من حزبك المفلحين واغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

سورة الحشر ۝ بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من
اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف
في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا
ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من
لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وما افاء الله على رسوله
منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على
كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ۝ التفسير
قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هذه
السورة مدنية في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية ۝ ووجه المناسبة اول هذه
لاخر سابقتها ان اخرها ذكر حزب الله واولها في تسبيح كل المخلوقات لله قوله سبح لله
ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره والكلام عليه ۝ قوله تعالى
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم نزلت في بني النضير
وبنو النضير قوم من المدينة لتدانيها منها وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد
له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فاخبر جبريل عليه السلام الرسول
بذلك فامر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان اخاه من الرضاعة وكان عليه الصلوة
والسلام قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم في دية المسلمين الذين قتلهما عمرو بن
امية الضمري منصرفه من بير معونة فهموا بطرح الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصمه الله وقصتهما ان عمرو بن امية قتل رجلين من المشركين من بني صعصعة

كان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعهما وعمرو لا يعلم بامرهما فلما لقيهما قتلهما اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال بئسما صنعت قد كان لهما منا امان قال ما
شعرت به فارسل الى عامر بن الطفيل بديتهما فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
بني النضير وكانوا حلفاء لبني عامر يستعينهم في ديتهما فتوامروا بنو النضير في اغتياله
وكان قاعدا في نفر من اصحابه تحت ظل جدار فارادوا اليهود ان يطرحوا عليه صخرة فعلم
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه الى المدينة من غير ان يخبرهم بذلك فنهض
كانه يريد حاجة فلما ابطا عليهم تبعوه فلم يلحقوه الا بالمدينة فاخبرهم بذلك ودعا
محمد بن مسلمة وقال اذهب الى يهود بني النضير وقل لهم اخرجوا من بلدي فابوا واستعدوا
له فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وارسل اليهم المنافقون
فقالوا انا معكم ان قوتلتم وعلينا نصركم فلم يمكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتال
في دورهم وحصونهم وامر بالادنى فالادنى من دورهم وحصونهم ان تهدم وبالنخل ان
تقطع وتحرق والقى الرعب في قلوبهم فكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم مما يليهم
بايديهم والمسلمون يخربون ما يليهم حتى وقع الصلح واجلاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم على انهم يحملوا من اموالهم ما استقلت كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاءوا من المتاع
وهو قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان
يخرجوا قال محمد بن اسحاق جلاء بني النضير كان مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد
وكان فتح بني قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكان اجلاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة اهل ابيات على بعير واحد ما شاءوا وما تركوا فلرسول
الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب اي
سلط رسوله عليهم وعلى اخراجهم من ديارهم لاول الحشر قيل ان الناس يحشرون
في الاخرة الى ارض الشام فكان حشر اليهود اليها الان وقيل هم اول من حشر واخرج
من جزيرة العرب ۝ قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد
كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
هادنهم واعطاهم عهدا وذمة على ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي
كان بينهم وبينه فاجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم واخرجهم من حصونهم كعبينة

التي ما طمع فيها المسلمون فظنوا أنهم لن يخرجوا منها ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم
مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ بعد أن دربوا على الأزقة وحصنوها
ثم أجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخرج في ثلاثين من أصحابك
ويخرج منا ثلاثون ليسمعوا منك فإن صدقوك آمنا كلنا ففعل فقالوا كيف نفهم
ونحن ستون اخرج في ثلاثة ونخرج في ثلاثة من علمائنا ففعل فاشتملوا على الخناجر
وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة منهم ناصحة إلى
أخيها وكان مسلما فأخبرته بما أرادوا فأسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فساره
بخبرهم قبل أن يصل إليهم فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فلما كان من
الغد غدا عليهم فحاصرهم إحدى وعشرين يوما ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وأيسوا من نصر المنافقين لهم وطلبوا
الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا فجلوا إلى الشام
إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فلحقوا بخيبر
ولحقت طائفة بالحيرة وقبض أموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة
وثلاثمائة وأربعين سيفا وكان ابن أبي رأس المنافقين قد قال لهم معي ألفان من قومي
أمدكم بهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان وكانوا بنو النضير
قبيلة عظيمة توازي في القدر والمنزلة بني قريظة ويقال لهما الكاهنان لأنهما من ولد
الكاهن بن هارون نزلوا قريبا من المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم
فكان من أمرهم ما قصه الله في كتابه ه قوله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾
أي فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام وعنى بذلك بصائر القلوب وذلك الاعتبار أي
فاعتبروا بما نزل بهؤلاء اليهود الذين قذف في قلوبهم الرعب وهم في حصونهم ثم
قال ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ
النَّارِ﴾ وكان ابتداء قذف الرعب في قلوبهم قتل سيدهم كعب بن الأشرف والذي قتله محمد
ابن مسلمة رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاعة وخبره مشهور في السيرة قال
أهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر وقد قرأ بإثباته فيه وهذه الآية تدل

علان

٣٤ على أن الأمور كلها من الله تعالى لأن الآية دلت على وقوع ذلك الرعب صار سببا في إقدامهم
على بعض الأفعال وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب
وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله تعالى فكانت الأفعال بأسرها مستندة إلى الله
بهذا الطريق فصار وأن شدة الرعب الذي حصل يخربون بيوتهم بأيديهم ه قال
قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا عليهم واليهود يخربون
من داخل ما أن [illegible] ما يخربونها بأيدي المؤمنين [illegible] لما عجزوا لذلك
وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه ه قوله ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾
الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها
وقوله يا أولي الأبصار قال ابن عباس يريد أهل العقل والبصائر ه وقال الفراء [illegible]
من عاين تلك الوقائع [illegible] الاعتبار هنا أنهم اعتصموا بالحصون من الله فأنزلهم الله
منها [illegible] خربوا بيوتهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين ومن لم يعتبر بغيره
اعتبر بنفسه [illegible] قبل ما وجد أجلاهم ولولا فعل معهم كما فعل بغيرهم من بني
قريظة وغيرهم من [illegible] قتلهم وسبي ذراريهم بل أجلاهم ومكنهم من بعض أموالهم
[illegible] الله تعالى لما علم منهم أن منهم من أتى بعد ذلك ومنهم من ولد له من آمن
بالله ورسوله وغير ذلك مما علم الله منهم أنهم لا يؤمنوا ولا ذريتهم فلهذا كان الحكم فيهم
بالقتل إلا من أمرهم [illegible] ثم قال ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ استحقوا ذلك
لما قال تعالى بعد ذلك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي عادوه وخالفوا أمره
أي فعلنا العذاب بهم [illegible] شاقتهم لله ورسوله ثم قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [illegible] هو من الآية الزجر لأن الله جل وعلا شديد عقابه لمن
خالفه ويخالف رسوله طرا وعدوانا وهذه سنة الله فيهم ه قوله تعالى ﴿مَا
قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾
قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن
سليمان بن موسى عن جابر عن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد
عليهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو
علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الآية ه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد [illegible]

ثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وقريظة فاجلى بني النضير واقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم واولادهم واموالهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنهم واسلموا واجلى يهود المدينة ولهما ايضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع فانزل الله عز وجل فيه ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وللبخاري بسنده عن نافع عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة وفيها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وهان على سراة بني لؤي ، حريق بالبويرة مستطير

فاجابه سفيان بن الحرث يقول

ادام الله ذلك من صنيع ، وحرق في نواحيها السعير

لم يروه البخاري ولم يذكر ابن اسحق وقال محمد بن اسحق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب بن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور ، كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب ، عظيم امره امر كبير
وقد اوتوا معا فهما وعلما ، وجاءهم من الله النذير
نذير صادق ادى كتابا ، وايات مبينة تنير
فقالوا ما اتيت بامر صدق ، وانت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد اديت حقا ، يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ، ومن يكفر به يجز الكفور
فلما اشربوا غدرا وكفرا ، وجد بهم عن الحق النفور
ارى الله النبي براي صدق ، وان الله يحكم لا يجور
فايده وسلطه عليهم ، وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا ، فذلت بعد مصرعه النضير
بامر محمد اذ دس ليلا ، الى كعب اخا كعب يسير
فماكره فانزله بمكر ، ومحمود اخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء ، ابادهم بما اجترموا المبير
غداة اتاهم في الزحف رهوا ، رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه ، على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا ، وحالف امرهم كذب وزور
فذاقوا غب امرهم وبالا ، لكل ثلاثة منهم بعير

واجلوا عامدين لقينقاع ، وغودر منهم نخل ودور

قال ابن اسحق كان [illegible] النضير بعد احد وبعد بئر معونة وحكى البخاري عن الزهري عن عروة انه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة اشهر قوله تعالى ما [illegible] منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب [illegible] يسلط رسله على من يشاء يقول تعالى مبينا لما الفيء وما صفته وما حكمه فالفيء كل مال اخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كاموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يعني الابل اي لم يقاتلوا الاعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل اولئك من الرعب الذي القى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فافاءه الله على رسوله ولهذا يتصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى في هذه الايات و [illegible] لا مانع بل هو الفاصل لكل شيء [illegible] الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين اراد واقسم الفيء بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين ان الغنيمة هي التي اتعبتم انفسكم فيها حتى حصلتم عليها والفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ابل فكان الامر فيه مفوضا الى النبي صلى الله عليه وسلم يقسم فيه حيث شاء وقد فهم بعض السلف ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما ثم صولحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيء السؤال الذي ذكر المفسرون هنا وجوابه الاول ان هذه الاية نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثاني في فدك لان اهلها انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال التي في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حرب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات ادعت فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحلها فدك فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز ان احكم بذلك فشهدت ام ايمن ومولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز شهادته في الشرع فلم يكن فاجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول عليه الصلوة والسلام ويجعل ما بقي في السلاح //

والكراع ولذلك عمر رضي الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى ورد ذلك
في اخر عهد عمر وقال ان بنا غنية وبالمسلمين حاجة وكان عثمن رضي الله عنه يجريه كذلك
ثم صار الى علي رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجرى والايمة الاربعة اتفقوا على ذلك ٥
والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين كثير خيل ولا
ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كبيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة
ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب
غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلك الاموال ثم روي انه قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا
الا ثلثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال بعض
العلما لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ
كالغنايم فبين الله تعالى انها فيء وكان قد جرى بعض القتال لانهم حوصروا اياما
وقاتلوا ثم صالحوا على الجلا ولم يكن قتالا على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى
الحصار فخص الله تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وقال مجاهد
اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله
يسلط رسله على من يشا من اعدايه وفي ذلك بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم دون اصحابه ٥ قوله تعالى وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا قبل تكلم العلما في هذه الاية والتي قبلها هل معناهما واحد او مختلف
والاية التي في الانفال فقال بعضهم ان قوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى
منسوخ باية الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في
اول الاسلام تقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شي وهذا قول
يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك وقال قوم ما غنم بصلح من غير ايجاف
خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله فيها فيا والاول للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا
اخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين ٥ وقال معمر الاولى للنبي صلى الله عليه

وسلم والغنايم

والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورين فيه والثالثة الغنيمة في سورة الانفال
للغانمين ٥ وقال الامام الشافعي وبعض العلما ان معنى الايتين واحد ما حصل من اموال
الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم
لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفي
وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابنا السبيل ٥ واما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فالذي
كان من الفي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى المجاهدين المترصدين للقتال في
الثغور لانهم القايمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وفي قول اخر يصرف الى مصالح
المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبنا القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في الاربعة
اخماس الفي فاما السهم الذي كان له من خمس الخمس فهو لمصالح المسلمين بعد موته
بلا خلاف كما قال عليه الصلوة والسلام ليس لي من غنايمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم
وكذلك ما خلفه من غير موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله
عليه الصلوة والسلام انا لا نورث ما تركنا صدقة ولما كان مال الفي للنبي صلى الله
عليه وسلم لقوله ما افا الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان صلى الله عليه وسلم
لا يتمول مالا انما كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين
وقال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات فالاية الاولى وهي قوله
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما
افا الله على رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر رضي الله عنه انها كانت خالصة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى متحد والاية
الثالثة قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدا
غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة ولا شك في انه معنى اخر
لمستحق اخر فيكون للاية الاولى والثانية معنيان وان كانت واحدة منهما قد تضمنت شيا
افاه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت اية الانفال
انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى
عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا منها الخلاف لان فما استطابه من طايفة

والكراع ولذلك عمر رضي الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى وردّه ذلك
في آخر عهد عمر وقال ان بنا غنية وبالمسلمين حاجة وكان عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك
ثم صار الى علي رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجرى والائمة الاربعة اتفقوا على ذلك ٥
والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين كثير خيل ولا
ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كبيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة
ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب
غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتلك الاموال فروي انه قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا
الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال بعض
العلماء لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ
كالغنايم فبين الله تعالى انها فيء وكان قد جرى بعض القتال لانهم حوصروا اياما
وقاتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى
الحصار فخص الله تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وقال مجاهد
اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء من اعدائه وفي ذلك بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم دون اصحابه ٥ قوله تعالى ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا﴾ قيل تكلم العلماء في هذه الاية والتي قبلها هل معناهما واحد او مختلف
والاية التي في الانفال فقال بعضهم ان قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
منسوخ باية الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في
اول الاسلام تقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول
يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك وقال قوم ما غنم بصلح من غير ايجاف
خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله فيها فيئا والاول للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا
اخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين ٥ وقال معمر الاول للنبي صلى الله عليه

حكم الغنايم

والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورين فيه والثالثة الغنيمة في سورة الانفال
للغانمين ٥ وقال الامام الشافعي وبعض العلماء ان معنى الايتين واحد ما حصل من اموال
الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وسهم
لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء
وسهم للمساكين وسهم لابنا السبيل ٥ واما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فالذي
كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى المجاهدين المترصدين للقتال في
الثغور لانهم القايمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وفي قول اخر يصرف الى مصالح
المسلمين في سد الثغور وحفر الانهار وبنا القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في الاربعة
اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من الخمسة اخماس فهو لمصالح المسلمين بعد موته
بلا خلاف كما قال عليه الصلوة والسلام ليس لي من غنايمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم
وكذلك ما خلفه من بعده غير موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله
عليه الصلوة والسلام انا لا نورث ما تركنا صدقة ولما كان مال الفيء للنبي صلى الله
عليه وسلم لقوله ما افاء الله على رسوله فاضافه اليه مع انه كان صلى الله عليه وسلم
لا يتمول مالا انما كان ياخذ منه قدر حاجته وعياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين
وقال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات اما الاية الاولى فهي قوله
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما
افاء الله على رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر رضي الله عنه انها كانت خالصة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى متحد والاية
الثالثة قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدا
غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة ولا شك في انه معنى اخر
باستحقاق اخر فيكون للاية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئا
افاءه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت اية الانفال
انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فمن ههنا نشا الخلاف فقالت طايفة هي ملحقة

بالاولى وهو ما الصلح كله ونحوه وقالت طائفة هي ملحقة باية الانفال وهو لا اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم او محكمة قال القرطبي الحاقها بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فائدة ومعنى وقيل ان سورة الحشر نزلت بعد الانفال ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله قال السدي ما اعطاكم الرسول من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه ثم قال ان الله شديد العقاب حكم هذه الاية عام يدخل فيه قسمة ما افاء الله والغنايم وغيرهما حتى انه قد استدل بهذا العموم على تحريم الخمر وحكم الواشمة والمتوشمة وتحريم المخيط للمحرم ومن الغريب في الاستنباط ان الامام الشافعي رحمه الله قال سلوني عما شيتم اخبركم به من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن محمد بن هرون ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وحدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور انتهى يعني في الاحرام بين انه يقتدي بعمر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان امر بقبول ما يقول رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا جواب في نهاية الحسن بجواز قتل الزنبور في الاحرام بجواز ذلك مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله وسئل عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار في سورة النساء في قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ٥ وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت وقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه فقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فقد نهى عنه الحديث ٥ فقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء بلفظ الايتا وهو

المناولة

المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر بدليل ما تقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ٥ وقوله واتقوا الله اي اتقوا عذاب الله انه شديد على من عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب ختم الاية بالتحذير من شدة عقاب الله ٥ قال الفيء ايضا للمهاجرين الذين هاجروا الرسول الله وخرجوا من ديارهم واموالهم لنصرة دين الله ٥ وهو قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون تفسيره قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم المناسبة ظاهرة لان القصة واحدة والمعنى قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم والله تعالى اخرج رسوله من الفقرا بقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ولكن يكون للفقراء المهاجرين وبقوله وينصرون الله ورسوله وانه جل وعلا يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وتعظيما لله جل وعلا بقوله ولذي القربى الاية قال الامام ابو حنيفة لا يستحق ذو القربى الغني من الفيء انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقير في ذي القربى شرط فيه وفسره الزمخشري على مذهب الامام ابي حنيفة واما الامام الشافعي فيرى ان سبب الاستحقاق هو القرابة فيا خذ ذو القربى الغني والفقير بقرابته وقوله

الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم في الاية دليل لاصحابنا ان الكفار يملكون اموال المسلمين
بالاستيلا عليها فان الله سمى المهاجرين فقرا مع انه كانت لهم ديار واموال بعد ما اخرجوا
من ديارهم واموالهم اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل
والمهاجرون هم من هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة
هولاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان حبا لله ورسوله حتى
كان الرجل منهم يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة
في الشتاء ما له دثار غيرها وقوله يبتغون اي يطلبون فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا
في الاخرة اي يطلبون مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد هو كما قال تعالى
عنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم
الصادقون في فعلهم المحققون اقوالهم بافعالهم والمعنى انهم لما هجروا اللذات الدنياوية اي اولئك هم الصادقون م
وتحملوا شدايدها لاجل الدين ظهر صدقهم في دينهم والذين تبوؤوا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم اي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين قال تعالى
مادحا للانصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وايثارهم مع
الحاجة اي سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين وامنوا قبل كثير منهم قال عمر واوصي الخليفة
بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم واوصيه بالانصار خيرا
الذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم وقوله يحبون
من هاجر اليهم اي من كرمهم وشرف انفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم باموالهم
وروي ان عمر رضي الله عنه خطب خطبة وقال فيها من اراد ان يسال عن القران فلياتي
ابي بن كعب ومن اراد ان يساله عن الفرايض فلياتي زيد بن ثابت ومن اراد ان يساله
عن الفقه فلياتي معاذ بن جبل ومن اراد ان يسالني عن المال فلياتني فان الله تعالى
جعلني له خازنا وقاسما الا واني بادي بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم
بالمهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا وروى القرطبي
عن ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق فقال ان المدينة
تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوؤوا
الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم

حاجة مما اوتوا [illegible] الحاجة هنا
من بابها من الاحتياج لا انها ...قعة موقع المحتاج اليه والمعنى ان الحاجة هنا
من الحسد قال الحسن لا يجدون حسدا وحزازة وغيظا مما اوتوا المهاجرون دونهم
واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجة
فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية وكان المهاجرون في دور الانصار
فلما غنم عليه السلام اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين
في انزالهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني
النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم
وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ
بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا
يا رسول الله فقال رسول الله اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول اله
المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين تقدم ذكرهم وقد انذرهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على
الحوض وقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ان شيتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم
وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم
لكم من الغنيمة شيا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونوثرهم
بالغنيمة فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية وقد ذكر المفسرون انواعا
من ايثار الانصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف وروى
الترمذي عن ابي هريرة ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت
صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك
فنزلت هذه الاية وخرجه مسلم ايضا وخرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه
فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله
فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل

عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج
وذكر الحديث ۝ وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله
وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو المتوكل فلم يكن عند
ابي المتوكل الا قوته وذكر نحوه ۝ وقال القشيري اهدي لرجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه
اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى
اولئك فنزلت ويوثرون على انفسهم الايه ۝ وذكر الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل
من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس في سبعة
ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت الاية ۝ والايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها
الدنيا رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشا عن قوة اليقين فالانصار اثروا على
انفسهم لا عن غنى بل مع احتياجهم من ذلك قصة الانصاري مع ضيف الرسول صلى الله
عليه وسلم حيث لم يكن له الا ما ياكل الصبية فاوهمه انه ياكل معه حتى اكل الضيف
قال له الرسول عجب الله من فعلك البارحة ۝ قوله تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وجه المناسبة ان الله تعالى لما مدح الانصار على صنيعهم
لان منهم من كان ايثاره بالنفس وهو فوق الايثار بالمال فان قيل قد صح في الخبر
النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء قلنا [illegible] انما كره ذلك في حق من لم يوثق منه
الصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسالة اذا افتقر فيندم فاما الانصار الذين اثنى الله
عليهم بالايثار على انفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال تعالى والصابرين في
الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك
لمن لا يصبر ويتعرض للمسالة اولى وقد قدمنا ان الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال
ومن الامثال السائرة والجود بالنفس اقصى غاية الجود ۝ ومنها الجود على حماية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة تترس على النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف
يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى شلت يده ۝ وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي

ومعي

ومعي شي من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار
براسه ان نعم فاذا رجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا
هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول اه اه فاشار هشام
ان انطلق اليه فجيت اليه فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات ثم رجعت
الى ابن عمي فاذا هو قد مات ۝ وقال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني شاب
من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا
اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت ما حد الزهد عندكم
قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا ۝ وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع
عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع
جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام
بحاله لم ياكل احد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه ۝ ثم قال تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون اعلم ان الشح اشد من البخل لان البخيل يبخل على غيره والشحيح
يبخل على غيره وعلى نفسه ۝ وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح
بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع ۝ والشح اللوم
وهو كزازة النفس على ما عندها من الحرص على المنع قال الشاعر
يمارس نفسا بين جنبيه كزة ۝ اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
واضيف الشح الى النفس لانه غريزة فيها قال تعالى واحضرت الانفس الشح وفي
الحديث من ادى الزكوة المفروضة وقرى الضيف واعطى في النائبة فقد بري من
الشح ۝ وقال انس وابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذاك الشحيح ۝
وقال ابن زيد من لم ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يمنع شيا امره الله باعطائه فقد
وقاه الله شح نفسه ۝ وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من ادى الزكوة وقرى
الضيف وادى في النائبة فقد بري من الشح ۝ قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها ۝ وقال ابن الهياج الاسدي رايت
رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له لم ماذا انت
تقتصر على هذا فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل ما لا يرضا الله

ورسوله فإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبي ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم
اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعنبي
عن داود بن قيس ه وروى الأعمش وشعبة بسندهما عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فإن الله لا
يحب الفحش ولا التفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا
وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا رواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة
والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة ه وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن
سهيل بن صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ه قوله تعالى
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا أمروا أن يستغفروا لمن سبق
هذه الأمة من مؤمني أهل الكتاب ه وقيل أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين
من المهاجرين والأنصار ه وقال ابن عباس أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وهو يعلم أنهم سيفتنون وقالت عائشة رضي الله عنها أمرتم بالاستغفار
لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول
لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها رواه البغوي ه وقال ابن عمر رضي الله عنه
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعن الله
شركم ه وقال العوام بن حوشب أدركت هذه الأمة يقولون اذكروا محاسن أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تأتلف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا
الناس عليهم ه وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة
سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل
ملتكم فقالوا أصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد أمروا
بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا
يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم

الادحاض

وإدحاض جهنم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
أو حسدا أو بغضا ربنا إنك رءوف رحيم وختم الآية بهذين الاسمين من أسماء الصفات
الجليلة لأن الرأفة أبلغ الرحمة أو أنها تعالى في الرأفة أخص والرحمة أعم ولهذا وصف
الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه رءوف رحيم وما وصف أحدا من أنبيائه بالرأفة
والرحمة غيره وفي هذا وجهين من التفضيل أحدهما أنه صفة بالرأفة دون غيره والثاني أنه
جمع له بين صفتين من صفات نفسه دون غيره ه قوله تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون
لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن
قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون هذه الآية سيقت للتعجب من اغترار
اليهود بوعد المنافقين أنهم ينصرونهم وهم يعلمون أنهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا وهم
عبد الله بن أبي سلول وعبد الله بن أبي أو عبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد وأوس بن قيظي
كانوا من الأنصار ثم نافقوا ومن تابعهم في النفاق قالوا لليهود وقوله يقولون لإخوانهم
الذين كفروا يحتمل وجوها أحدها الأخوة في الكفر لأن اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم
الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الأخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة
وثالثها الأخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن
أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم وأكدوا بقولهم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا يعنون محمدا
صلى الله عليه وسلم أي لا نطيعه في قتالكم وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم من جهة علم الغيب لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم
كما قال تعالى والله يشهد إنهم لكاذبون أي في قولهم فما قولهم الذي كذبوا فيه لا
نطيع فيكم أحدا أبدا وفعلهم أنهم قالوا لننصرنكم فما فعلوا شيئا فكذبوا في وعدهم
لهم ولم ينفع شيئا مما قالوه ه قوله تعالى لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون اعلم أن الله
تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها أخبر تعالى عما كتب في أزله أن هؤلاء اليهود
لئن أخرجوا فالمنافقين لا يخرجون معهم وكان الأمر كذلك لأن بني النضير لما أخرجوا لم
يخرج معهم المنافقون ولما قوتلوا وحصروا فلم ينصروهم ولهذا أخبر تعالى أنهم لا يخرجون
معهم وتقدير إن خرجوا لا ينصرونهم ولنظير هذه الآية قوله تعالى ولو علم الله فيهم

خيرا لا سمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ثم قال تعالى لأنتم أشد رهبة
في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون اي يخافون منكم اكثر من خوفهم
من الله كما قال تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية والمراد بذلك
بانهم قوم لا يفقهون اي لا يفقهون لسوء تمييزهم ولو تدبروا الامور بعقولهم لعلموا ان الله
احق بان يهاب ويخاف لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر
بأسهم بينهم شديد يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا
كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب والحيطان التي تمنعهم منكم او من وراء جدار اي
من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم لانهم لا يقدرون على مواجهة جيش
الاسلام بالمبارزة والمقاتلة بل اما في حصون او من وراء جدار محاصرين يقاتلون للدفع عنهم
ضرورة قال تعالى بأسهم بينهم شديد اي اذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديدا
اما اذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس لان من حارب اولياء الله كان الله خاذلهم ثم قال تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون اي تحسبهم مجتمعين على راي واحد
واغراضهم مختلفة لا يتفقون في الباطن لاختلاف اهوائهم فلا يبالي المنافق بهلاك
الكافر ولا يبالي الكافر بهلاك المنافق واهواؤهم متفرقة ولذا قال المخذولين
لا تستقر اراؤهم على شيء واحد موجب ذلك الشتات لانهم ليس لهم دين جامع
لاتفاقهم ولهم فهم كالبهائم لا يتفق بعضهم مع بعض على حالة واحدة لكنهم مجتمعون
في عداوة اهل الحق فهؤلاء بطلة الكتاب بانهم محجوبون وهم عن حقائق الاسرار
الالهية مطرودون ثم انه مثلهم بمن قبلهم الذين ذاقوا وبال امرهم بقوله تعالى
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
اصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي

لا اله الا هو

لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم التفسير قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم قال ابن عباس رضي الله عنهما مثل هؤلاء اليهود والمنافقين المراد يهود بني قينقاع
امكن الله منهم قبل بني النضير وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة
وقال مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة اشهر
فلذلك قال قريبا وقيل هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد
صلوات الله عليهما وقوله ذاقوا وبال امرهم اي جزاء كفرهم وهم بنو قريظة وكان وبال
امرهم اي جزاء كفرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذراري
وهو قول الضحاك ومن قال المراد بنو النضير يكون وبال امرهم الجلاء والنفي ولهم عذاب
اليم في الاخرة قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
[illegible] العالمين لما مثل اليهود من قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقون كالشيطان
وبنو النضير كالانسان كما ان الشيطان ورط الانسان في المعصية ثم تبرأ منه كذلك
اغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو
النضير خذلهم المنافقون وتركوهم في اسوء حاله وقيل المراد استغواء الشيطان
قريشا يوم بدر وقوله لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم
والتمثيل بالشيطان لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له
الشيطان اكفر راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان
وطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فاخرجوها
فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له ان ينجيه منهم فسجد له
فتبرأ منه ذكره القاضي اسمعيل وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن
عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبره مطولا وذكر
ابن عباس في قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر قال كان هذا انسان راهبا
في بني اسرائيل يعبد الله تعالى فيحسن عبادته وكان له ثلاثة اخوة كانت لهم اخت حسنة

من احسن الناس وابهاهم وارادوا ان يسافروا وكبر عليهم ان يذروها ضايعة فجعلوا يأتمرون ما
يفعلون بها فقال احدهم انا ادلكم على من تتركونها عنده فقالوا من قال راهب بني اسرائيل ان ماتت
قام عليها وان عاشت حفظها حتى ترجعوا اليه فعمدوا اليه فقالوا انا نريد السفر ولا نجد
احدا اوثق في انفسنا ولا احفظ لها منك فان رايت ذلك جعلنا اختنا عندك فانها
ضايعة لا شريك لها وجع فان ماتت فقم عليها وان عاشت فاصلح امرها حتى نرجع
فقال اكفيكم ان شاء الله تعالى ذلك فتركوها وانطلقوا فقام عليها فداواها حتى برئت وعاد اليها
حسنها وجمالها فنظر اليها فوجدها بارعة في الحسن فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع بها
فحملت منه فقدمه الشيطان وزين له قتلها وقال ان لم تفعل افتضحت فلم تكن لك معذرة
فلم يزل به حتى قتلها فلما قدم اخوتها من سفرهم سالوه ما فعلت فلانة قال ماتت
فدفنتها فقالوا احسنت ثم اتى الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب
الصومعة فاجر احبلها ثم قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما اصبحوا قال
رجل منهم والله لقد رايت البارحة رويا فما ادري اقصها عليكم ام اتركها فقالوا لا بل
قصها فقال الاخر وانا والله لقد رايت ذلك وقال الاخر وانا والله لقد رايت ذلك
فقالوا والله ما هذا الا لشيء فذهبوا الى المكان الذي قال لهم عليه الشيطان
فحفروه فوجدوا اختهم مقتولة فاستعدوا الملك على الراهب فاتوه فانزلوه ثم
انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال له انا الذي اوقعتك في هذا ولن ينجيك مما منه م
اوقعتك فيه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وانا انجيك مما اوقعتك فيه قال فسجد
له فلما اتوا به ملكهم تبرا منه واخذ فقتل وكذا روي عن طاوس ومقاتل ابن حيان
واشتهر ذلك عند كثير من الناس ان هذا العابد هو برصيصا وهذه القصة مخالفة
لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امراة وادعت ان حملها منه ورفعت امرها
الى ولي الامر فامر به فانزل من صومعته وخربوها فقال لهم ما لكم فقالوا يا عدو الله فعلت
بهذه المراة كذا وكذا فقال جريج اصبروا ثم اخذ طفلها وقال يا غلام من ابوك فقال ابي المراه
الراعي فلما رات بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا فقالوا نعيد صومعتك
من ذهب قال بل اعيدوها من طين كما كانت * قوله تعالى فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين اي وكان عاقبة الشيطان والانسان

الذي

الذي اطاعه انهما خالدين في النار وذلك جزاء الظالمين اليهود والمنافقين وكل كافر ما
ظالم وانه مخلد في النار * قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما
قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اي يا ايها الذين امنوا بالله وجميع
رسله ولم يفرقوا بين احد منهم تفرقة اليهود ولم يكفروا كفر اولئك المنافقين ولينظر كل
واحد منكم ما قدم ليوم القيمة وسماها غدا لانه مستقبل ولانه قريب قال
قتادة ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد والعرب تكني عن المستقبل بالغد
وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقول القايل وان غدا للناظرين قريب * وقوله
ما قدمت اي من خير او شر ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره * وقال الامام احمد بسنده
عن المنذر بن جرير عن ابيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار
فجاء قوم حفاة عراة متقلدو السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فامر بلالا
فاذن واقام الصلوة فصلى ثم خطب فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها الى اخر الاية وهي ان الله كان عليكم رقيبا وقرا هذه الاية يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد * تصدق رجل من ديناره من درهمه
من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة
كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رايت كومين من طعام وثياب
حتى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كانه مذهبة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كانت عليه وزرها
ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء انفرد باخراجه مسلم من حديث شعبة
باسناده مثله * وقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي حاسبوا انفسكم قبل ان تحا سبوا
وانظروا ماذا ادخرتم لانفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم
واتقوا الله تاكيد ثان اي خافوه في اوامره فلا تخالفوها وفي نواهيه فلا تركبوها
وقوله ان الله خبير بما تعملون اي عالم بجميع اعمالكم واحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وقوله
تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون

اي لا تكونوا كالذين نسوا ذكر الله فانساهم انفسهم اي انساهم العمل الذي ينفعهم في
معادهم وقال مقاتل نسوا الله تركوه فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا
وقد نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه
فانساهم انفسهم بالعذاب ان يذكر بعضهم بعضا قاله ابن عيسى وقال سهل بن
عبد الله التستري نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة وقيل انساهم
انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لا يرتد اليهم
طرفهم وافيدتهم هوا وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
ونسب تعالى فعل النسيان الى نفسه في انسائهم اذ كان ذلك بسبب امره ونهيه
وقيل نسوا الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدائد اولئك هم الفاسقون قال
ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين
خرجوا عن طاعة الله فهم الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال
الحافظ الطبراني بسنده الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال في خطبته اما تعلمون انكم
تغدون وتروحون لاجل معلوم فمن استطاع ان ينقضي الاجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل
ولن تنالوا ذلك الا بالله عز وجل ان قوما جعلوا اجالهم لغيرالله فنهاكم الله ان تكونوا
مثلهم قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اين من تعرفون من اخوانكم
قدموا على ما قدموا في ايام سلفهم وخلفوا بالشقوة والسعادة اين الجبارون
الاولون بنوا المداين قد صاروا تحت الصخر وهذا كتاب الله لا تفنى عجايبه فاستضيئوا
منه ليوم ظلمة واستضيئوا بسنائه وبيانه ان الله تعالى اثنى في كتابه على زكريا واهل بيته فقال كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين لا خير في قول لا
يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه
ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم هذا اسناد جيد رجاله ثقات وقد روي لهذه
الخطبة شواهد من وجوه اخر قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
اي لا يستوي هولاء وهولاء في حكم الله يوم القيمة كما قال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما

يحكمون

يحكمون وقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار ولهذا قال اصحاب الجنة هم الفايزون اي الناجون من عذاب الله قوله تعالى
[illegible] اي لا يستوون
في الفضل والرتبة لارشاد المومنين الى ما هو مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد وتهديد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين بهذه الاية
الفرق بين الفريقين واعلم ان الفرق بينهما معلوم بالضرورة وانما ذكر الفرق في مثل هذه
المواضع للتنبيه على عظم ذلك الفرق قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل
[illegible] هذا حث على تامل مواعظ القران وبين
انه لا عذر في ترك التدبر تعظيما لامر القران بينا علو قدره وانه ينبغي ان تخشع له
القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الاكيد فاذا كان الجبل
في غلظه وشدته لو انزل عليه هذا القران عليه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل
فكيف يليق بكم ايها البشر ان لا تلين قلوبكم عند سماعه وهذه الاية امتنانا عظيما
على النبي صلى الله عليه وسلم حيث ثبته لنزول هذا القران عليه الذي لو انزله الله
عز وجل على الجبل لخشع وتصدع من هيبته وانتم ايها الخلق لا يلتفتون لا عجايبه
ولا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده والله تعالى لو انزل هذا القران الجبال
لتصدعت من خشيته قال تعالى [illegible] يتفكرون
اي هذه الامثال التي يضربها الله عز وجل للعباد تنبيها لهم ليتفكروا فيها فينقادوا الى
الحق قوله تعالى هو الله [illegible] وجه المناسبة لما وصف الله تعالى
القران بصفة العظمة ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح
عظمته فقال هو الله الذي لا اله الا هو اعلم ان هو معناها هو الموجود الذي ليس لوجوده
ابتدا وهو عبارة عن غيب الهوية المجردة المنزهة عن الاعتبارات بل الاعتبارات
المعقولية مستهلكة في هويتها لقوة بقايها وفنا ما عداها اذ في المرتبة الهوية
حقيقة كل شي في علم الحق ولهذا نفى الالوهية عن ساير المخلوقات الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم فقوله هو الله لانه الاله القديم التام الذي
[illegible] سواه فهو صنعه فمنه المبدا واليه المنتهى وهو الغالب الذي لا يغلب والاله

الذي لا اله الا هو احتجب عن الابصار، واجاد الشاعر حيث قال

لا اله ربي عز اسمه تجلى لا يوطرا ، فهو الله لا يرى ويرى هو

هو الله الذي لا اله الا هو فاطلبوه واقصدوه ووحدوه واعبدوه

عالم الغيب والشهادة اذا عرفت انه الله عالم الغيب والشهادة فاعلم انه القديم التام القدرة قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام من رفض الدنيا وجميع ما فيها ولم يلتفت الى شي منها ولم يشتغل قلبه بها وفرغ قلبه لذكري واختارني على جميع خلقي وانقطع الى عبادتي كشفت الحجاب بيني وبينه نظر بقلبه الى نظر الناظرين الى رؤيته كرامتي في كل ساعة ان جاع اشبعته وان عطش رويته واذا فعلت ذلك به اعميت نفسه عن الدنيا واهلها فما شي احب اليه ولا اقرب منه من النظر الي يا داود انا حبيب من احبني وجليس من جالسني ومونس من انس بذكري فارفضوا الدنيا واهلها الى كرامتي ه وقوله الرحمن الرحيم تقدم الكلام عليها وعلى الجلالة الشريفة في بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن واما اسمه تعالى الملك فهو الحاكم الذي يتصرف في ملكه كيف يشا يعز ويذل ويولي ويعزل ويعطي ويسلب فهو المنفرد بالسلطان والقاهر القاضي بين الخصوم الرازق لعباده الذي العرض عليه والعفو والانتقام اليه ليس لاحد عليه سلطان ولا اعتراض ولا احق بالملك القادر على الايجاد والانشا المنفرد بالابداع والاختراع فهو رب كل شي وخالقه ومالكه ومدبره فهو المالك والمليك الذي ملكه تام لا يزول ولا يتحول رب العالمين يا مالك الملك واحكم ملك يوم الدين المنفرد بالتصرف يوم الجزاء والحساب اذ ليس لاحد في ذلك اليوم حكم سواه سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقد تقدم الكلام على هذا الاسم في قوله ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ه اسمه تعالى القدوس الطيب الطاهر المقدس من كل عيب في الحديث ان الله طيب لا يقبل الا طيبا والطيب البري من النقايص وقيل القدوس السبوح وهو المنزه من كل افة وقد سيل النبي صلى الله عليه وسلم في معنى سبحان الله قال تنزيه لله من كل سوء ويقال القدوس الموصوف بصفة الكمال فان قيل ما الفرق بين التقديس والتنزيه فالجواب ان التقديس التطهير من كل افة والتنزيه التبرية من كل نقص وسوء فقولك واحد صمد حي عليم قدير تقديس

فقولك

وقولك ليس له شبه ولا ند ولا احد ولا ضد ولا تاخذه سنة ولا نوم تنزيه فالقدوس الكامل على الاطلاق ه اسمه تعالى السلام ذو السلامة من النقايص ه وقيل السلام الذي سلم من كل عيب وبري من كل نقص وقيل المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم ه وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام واذا علمت ان الله تعالى هو السلام انه السالم من النقايص فاعلم ان كل ما تصور في وهمك وتمثل في فهمك فالله منزه سبحانه عنه ثم ارغب الى مولاك في سلامة قلبك وتصفيته وقلبك فانه لا ينفعك الا ذلك قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فقلب المومن سالم من الافات وان مالت نفسه الى المخالفات وقال القلب السليم السالم من الشرك والكفر والنفاق ثم من البدع المضلة المايلة الى التشبيه والتعطيل واذا عرفت ان الله هو السلام المسلم من الهلاك فارغب اليه في سلامة نفسك في الدنيا من الافات التي تبعدك عن خدمته وفي الاخرة من ابعاده وطرده وخزيه واجتهد في ايصال الخير الى المومنين جهدك فان لم تستطع فكف شرك عنهم وقد ورد في الصحيح المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تايبا عن الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار ه وقيل الذي يغتاب المسلمين فكانما نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا وسمع بعضهم رجلا يغتاب مسلما فقال له غزوت العام الروم قال لا قال فكيف سلم منك اعداوك في الدين ولم يسلم منك اخوك المسلم ه واعلم ان المسلم يكون حظه منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه ه قوله تعالى المومن المهيمن المومن قد ذكرنا ان الايمان اصله في اللغة التصديق والله تعالى على هذا المعنى مومن لانه مصدق عباده في شهادتهم في الوحدانية والالهية قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط ثم صدقهم على هذه الشهادة بتحقيقها فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم ه وقال القتيبي الله مومن لانه يصدق عباده المومنين ما وعدهم من الثواب ويصدق الكافرين ما اوعدهم من العقاب وعلى هذا الوجه يكون المومن من اسمايه المشتقة من افعاله وعلى الوجه الاول ان يكون من اوصافه الازلية على مذهب من قال من اصحابنا ان كلامه كان في الازل امرا وخبرا

وتصديقا لمن كان صادقا فيما لا يزال ٥ وقيل المؤمن من اوصاف الله عز وجل انه امن فساق المؤمنين
من الخلود في النار وامن السابقين في الخيرات من الدخول في النار وامن السابقين في الخيرات
من الدخول في النار كما امن الكافرين الخروج من النار ٥ والمهيمن المتفرد بالعز والجلال المهيمن
الملك الذي يعطي ويمنع ٥ وقيل المهيمن الشاهد الحافظ الذي يعلم السر واخفى ويسمع ويرى
قال الله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يعني
شاهدا بالصدق واعلم ان المتكلمين اختلفوا في معنى هذا الاسم فمنهم من قال انه بمعنى
الشهيد وفسروا قوله تعالى مهيمنا عليه اي شهيدا عليه ٥ وقيل بمعنى الرقيب
ما المهيمن فلان على فلان اذا راقبه فاذا كان بمعنى الشهيد فيكون من صفات ذاته لانه
بمعنى العالم او المخبر وقد يكون بمعنى وصفه بانه شاهد او شهيد من صفات الفعل على معنى
مبين لان الشاهد يبين بشهادته الحكم المختلف فيه واذا كان بمعنى الرقيب فهو من
صفات فعله اي محافظ على العباد ٥ وقيل في معنى المهيمن المصدق وقيل هو
المؤمن في الحقيقة هو شاهد من غيب نقله على مفعوله شهادة تعين شاهده في عين شهوده
فلا غاية عن احاطة علمه ٥ واعلم ان المهيمن جل وعلا هو الذي انطقك بسر الروح
وحركك بسر النور والهمك بسر العقل وصرفك بسر الامر واسمعك بسر
العناية واستعملك بسر الرحمة والهداية واما اسمه عز وجل العزيز
هذا الاسم يحتمل معان في وصفه منها ان يكون بمعنى نفي الذل عنه لاستحقاقه اوصاف
المدح والتعظيم فيكون ذلك يرجع الى نفسه ٥ ويكون بمعنى الممتنع لانه تعالى حصن
عزيز اذا كان منيعا فيكون ذلك بمعنى تنزيهه عن صفات الغير وامتناعه قبول
سمات النقص ٥ ويكون بمعنى الذي لا مثل له فالذي لا مثل له بكل وجه اولى ان يكون
عزيزا وقد اختلفوا في معنى العزة فمنهم من قال هو بمعنى قايم لنفسه ومنهم من
قال عزته استحقاقه لاوصاف الكمال والعزة في اللغة الامتناع والغلبة ولذلك
قال وعزني في الخطاب اي غلبني ٥ والذي يحصل من معنى هذا الاسم انه يحتمل ثلاث
معان ٥ الاول الغالب القاهر وهو الذي ترفع اليه حوايج المخلوقات فهو اولى ان
يسمى بهذا الاسم وليس ذلك الا لله تعالى ٥ الثاني الممتنع الذي لا ثاني له الابدي
ولا تراه العيون ٥ الثالث الواجب البقا فان الحق سبحانه وتعالى يعز بعزة

البقا

البقا وذل غيره بذل الفنا الا انه سبحانه جعل عزة البقا للمؤمنين في الجنة قال سبحانه
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعز رسوله بنور النبوة واختصاص الرسالة وعز
المؤمنين بوراثتهم علم النبوة ومعرفتها وتوزيعهم ميراثهم من الاسرار النبوية فعزة
النبوة في الاصطفا وعزة المؤمنين في اختصاص الايمان بهم فمن تحقق بعزة ميراثه من
العلم النبوي ارتقا الى عزة المرسلين فان حقيقة العزة بالايمان حيوة القلب والنظر
الى الله تعالى حيوة العقل ومناجاة الله حيوة الاسرار ومحبة الله حيوة الارواح م
والقيام بامر الله حيوة الاجسام فاذا استكمل العبد هذه المقامات دعي في ملكوت
السموات عزيزا واما اسمه عز وجل الجبار ورد باطلاق هذا الاسم الكتاب
والسنة فالجبار هو الذي لا ثاني له يحاذيه ولا منازع له ينازعه فيكون من صفات ذاته
لاستحقاقه صفات التعظيم لانه سبحانه لا ثاني له النقايص ولا تلحقه الافات والعوارض
ويقال رجل جبارا اذا كان متكبرا لا ينقاد لاحد ولا يتواضع فعلى هذا يكون التجبر في
صفة الله عز وجل محمود وفي وصف المخلوق مذموم قال تعالى وخاب كل جبار عنيد وقال
تعالى ان فيها قوما جبارين واما اسمه عز وجل المتكبر هذا الاسم جليل يحتمل
وصفه معنيين احدهما ان يكون راجعا الى استحقاقه اوصاف الكمال والثاني ان يكون
معناه انه متكبر عما نسب اليه الجاحدون من صفات النقص وسلب اوصاف الكمال وجاء
في تفسير قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض يعني الملك فعلى هذا يكون التكبر
الملك والتكبر في صفة غيره مذموم وفي صفته محمود فمن عرف علوه سبحانه وكبرياه
لزم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل له فان هتك ستره من جاوز قدره ٥ ،،
فكان من وقع في هذه الخلة فقد عرضها بجهل الحضر فتحقق ان الذم وقع في كتاب الله
للمستكبرين قال تعالى الا المستكبرين في الارض بغير الحق قال عز من قائل ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من
ايمان واذا نودي درجه [illegible] ان لا تحقر ذاتا من مصنوعات الله قلت او عظمت علمت
[illegible] ذلك مندرج تحت [illegible] كبريايه وعظمته [illegible] رداء الكبرياء ظاهرا
نصبه الله [illegible] برداء باطنا نزع من قلبه نور الايمان ٥ قوله تعالى سبحان الله عما يشركون

سبحان مصدر من قولك سبحت الله تسبيحا وسبحانا اي نزهته تنزيها وتبرية ومنه قول الاعشى
اقول لما جاءني فخره ۞ سبحان من علقمة الفاخر ۞ يريد التعجب من فخره والتبرؤ منه ۞
وقيل ماخوذ من سبح في الارض اذا ذهب فيها قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي
ذهابا في حاجتك قوله تعالى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا قيل اراد بالسابحات السفن
وبالسابقات الخيل وقيل اراد بها ارواح المومنين تسبح وتسير بسهولة عند حضور الاجل
وقيل اراد الملايكة تسبح بين السماء والارض في هبوطها وصعودها نزه الله تعالى ذاته عما
نسبه اليه المشركون واجاد عمرو بن نفيل حيث قال

سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له ۞ رب البرية فرد واحد صمد ۞ وقوله
سبحان الله عما يشركون فيه دلالة على ان المخلوقين يتكلمون ويدعون شيئا وكذا الله جل وعلا
والله تعالى ينزه عن شركهم لانهم ناقصون بحسب ذواتهم واد عاويهم الكذب سبحان الله عما
يشركون قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور اسمه عز وجل الخالق ورد
باطلاقه الكتاب والسنة والاجماع واختلفوا في معناه فمنهم من قال انه الموجد
من العدم المخترع للاشياء من العدم فذلك لا يليق الا بوصفه جل وعلا فلا خالق لا
صورة لا الا الله الاصوله تعالى تبارك الله احسن الخالقين وذلك انه عز وجل لما ذكر
نفسه مع غيره واعطى غيره تلك التسمية بقوله الخالقين ثم انه تعالى اخرج التسمية
عنهم بقوله وتخلقون افكا اي يكذبون كذبا وسمي الكذب خلقا على المجاز من حيث
انه يختلقها لا اصل له وقوله عز وجل في حق عيسى بن مريم عليه السلام واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير فعيسى لم يكن في الحقيقة خالقا وانما كان يدعوا الله عز وجل حتى
يخلق فاضيف الخلق اليه مجازا لما كان عقيب دعوته كما اضيف اليه الاحياء والبرء
ولم يكن في الحقيقة محييا ولا مبريا وانما كان الله سبحانه وتعالى يحيي ويبري عقيب
دعوته وقوله سبحانه وتعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض نفى
خالقا غيره يرزقهم من السماء والارض فلما لم يكن من قابل ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون فعظم وصفهم لانفسهم بانهم خالقون وانكر دعواهم له لذلك ۞ ومنهم من قال
الخلق بمعنى التصوير ويحملونه على قوله صوركم فاحسن صوركم وقالوا في قوله يخلقكم في
بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق اي صورة بعد صورة ۞ وقالت القدرية معنى الخلق التقدير

والخلق

والخلق في اللغة بمعنى التقدير فاطلقوا اسم الخالق على غيره حقيقة فان صح في اللغة ان معنى
خالق بمعنى مصور ومقدر يكون من الاسماء التي يوصف بها الباري سبحانه ويوصف بها غيره
وان كان بمعنى المخترع كان ذلك اسما خاصا له سبحانه وتعالى ۞ واعلم ان المراد فيما انك
ربنا في خلقتك كما قال سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ففي الاية سبعة
اطوار متشاكلة وغير متشاكلة تنقلت من سبعة اطوار من النطفة الى العلقة الى المضغة
الى العظام ثم كساها اللحم وشدها بالاعصاب والاوتار ونسجها بالعروق وخلق
الاعضاء وركبها ثم دور الراس وشق فيها السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ فجعل
العين للبصر ومن العجايب تركيبها مبصرة وهو امر يعجز عن شرح سرك معرفته
وركبها من سبع طبقات لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بالمرء فقدت طبقة منها
زال نورها وتعطلت عن الابصار وانظر الى هذه الاشفار المحيطة بها وما خلق منها
من سرعة الحركة لتقي عن العين ما يصل اليها مما يوذيها من غبار وغيره فهي بمنزلة باب
يفتح ويغلق كلما حضر للمكان المقصود من الاشفار جمال العين والوجه جعل شعرها
على قدر لا يزيد بزيادة تضر بالعين ولا تنقص نقصا يضر بها وخلق ما بها ملوحة لاصلاح
ثقل العين لانه من شحم وجعل طرفيها [illegible] نظر يسيرا عن وسطها لينصرف ما يقع
في العين لاحد جانبيه وجعل الحاجبين جمالا للوجه وسترا للعين وشعرهما كشعر
اشفار العين لا يزيد عن مقداره ولا ينقص بخلاف شعر الراس واللحية فان شعرهما قابل
للزيادة فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير نقص به ۞ ثم انظر الى الفم واللسان
وما في ذلك من الحكم فجعل الشفتين سترا للفم كانهما باب يغلق الى وقت ارتفاع الحاجة
الى فتحه مفيد الجمال فلولاهما لتشوهت الخلقة وهما يعينان في الكلام واللسان
للنطق والتعبير عما في ضمير الانسان وله قوة تقليب الطعام والقاية تحت الاضراس
حتى يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه ۞ ثم بقدرته جل وعلا جعل الاسنان متفرقة
فلو كانت عظما واحدا اذا اصابه خلل سلب نفعه وجمع فيها بين النفع والجمال وفي
الاضراس كبر لاجل الحاجة الى درس الغذاء فان القطع هو لمقدم الاول ثم جعل

وانسم مداوة محبوسة لا تظهر الا وقت الحاجة اليها ليبتل بها ما يمضغ من الطعام حتى يسهل
تسويغه فاذا انعدم الاكل عدمت تلك الندواة الزايدة التي خلقت للترطيب وبقي منها
ما يبل اللهوات والحلق لئلا يجف منه رضابه فيهلك الانسان ۝ ثم انظر الى رحمته
ولطفه اذ جعل الله عز وجل حس الذوق في اللسان وغيره من اجزاء الفم ليعرف بالذوق
ما لا يلايمه ويوافقه من المذوقات وذلك راحة في الطعام والشراب اذا دعته
حاجة الى تناوله ۝ ثم ان الله تعالى شق السمع واودعه رطوبة مرة تحفظ بها السمع
من النمل والدود وتقتل اكثر الهوام الذي يلج في السمع وحوط الاذن بصدفة لتجمع
الصوت فترده الى الصماخ وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل اليها مما يؤذيها
من هوام وغيره وجعل فيها تعويجات كثيرة لتكثر حركة ما يدب فيها وتطول طريقه
ثم انظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فاحسن شكله وفتح منخريه وجعل
فيه حاسة الشم لاستنشاق الروايح والاستدلال بها على مطاعمه ومشاربه وليتمتع
بالروايح الطيبة وليستنشق ايضا الهواء الذي هو روح الحياة وغذاء القلب وترويحا
لحرارة الباطن ولو شرحنا بقية ما في يديك وما في باطنك وما في جسدك من يديك
واصابعها ومنافعها ومعاطفها وقبضها وبسطها ورجليك وساقيك وفخذيك
ومفاصلك وما اعده فيها من المنافع والقدرة الجليلة التي تعجز انت بامتداحها
عن ادراك كنهها لطال الكلام وفي انفسكم افلا تبصرون ۝ لكن يكفيك حقيقة
ذلك انك انت العالم الاصغر الذي حوى جميع ما في العالم الاكبر لما خلقك من سبعة
ورزقك من سبعة وهو قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا
وفاكهة وابا وادوا عضائه المكرمة في سجودك له سبعة لقوله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اسجد على سبعة الحديث وخلق السموات سبعا في ذخاير رحمته
جنته لتقديسه وتهليله وهي حجب الانوار ومعارج ارواح الابرار
ومراتب الجنان وانواع النعيم والرضوان والارضين سبعا في خطر ثقة
واكل ارضها مدخرة انواع من العذاب ولات العقاب للكفرة والمشركين
المقودين وانشا البارئ المصور فالبارئ جل وعلا ابدع خمسة

موجد

موجد مبدي منشي مكون مصور فاطر مخترعا على ما شاء فاطر فجميع هذه الاسماء كلها تعود الى
معنى الخالق وان كان لكل اسم خاصية ومعنى يباين به ما عداه فمعنى البارئ جل وعلا بمعنى
الخالق والبرية هي الخليقة واذا امكن ان يجعل لكل اسم خاصية ومعنى يباين به
ما عداه فمعنى البارئ جل وعلا بمعنى الخالق والبرية هي الخليقة واذا امكن ان يجعل
لكل اسم من الاسماء معنى كان اولى من حمل ما يتقارب على معنى واحد مما يراد
ان اسم البارئ وان كان بمعنى الخالق فيما قضى هو لذلك لله الاسماء الحسنى فادعوه
بها فلو كان الاسم بمعنى ما تقدمه او ما ياتي بعده لما كان عليه لما نبه عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتسعة وتسعين اسما فان كل اسمين من المحسوسات لا تقوم منها مقام
الاخرى وان تقاربا فلا بد من التفرقة بينهما بوجه ما فاصل برا من البرا وهو التراب
فمعنى البارئ خالق الخلق من تراب والمصور خالق الصور ومركبها ۝ قوله تعالى
له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم اي الحسنى
في معانيها القايمة بذاته وصفاته جل وعلا والاسماء الحسنى حصرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة
وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه زيادة بعد قوله مائة الا واحدا انه وتر يحب الوتر
من احصاها دخل الجنة وقوله يسبح له ما في السموات والارض فهو جل وعلا اهل
لما نسب اليه من تسبيح ما في السموات والارض وهو العزيز الذي عز بقدرته على
ساير المقدورات الحكيم الذي اتقن بحكمته كل صنعه ۝ لما اخبر سبحانه عن الوهيته
وربوبيته ووحدانيته قال هو الله الذي لا اله الا هو ۝ اي هو الاله الذي لا اله الا هو احتجب
عن الابصار ۝ وعلا عن مداناة الافكار ۝ فهو المتوحد بالجلال والمتفرد بالكمال
والقدم والبقا والصمدية والعز والقهر والالوهية ۝ تولهت العقول حيرة في عظمته
وجلاله ۝ وولهت الارواح طربا وشوقا الى شهود جماله الذي لا اله الا الذي يولد اليه في جميع
المقاصد ويلجا اليه في كشف الشدايد فاذا ذكرنا الرحمن الرحيم طمعت في بره ورحمته ۝
واذا ذكر عالم الغيب والشهادة خشيت من سطوته ونقمته ۝ واذا ذكرت الله استانست
به في الخلوات ۝ وتفردت بذكره في الفلوات ۝ واحسن الانشاد
هو الله كلت السن الخلق كلهم ۝ ولم يبلغوا الوصف الذي هو حقه ۝

في الفم مداوة محبوسة لا تظهر الا وقت الحاجة اليها ليبتل بها ما يمضغ من الطعام حتى يسهل
تسويغه فاذا انعدم الاكل عدمت تلك المداوة المزابية التي خلقت للترطيب ويبقى منها
ما يبل اللهوات والحلق لئلا يجف فاه وجفافه مهلك للانسان ثم انظر الى رحمته
ولطفه اذ جعل للاكل لذة بجعل الذوق في اللسان وغيره من اجزاء الفم ليعرف بالذوق
ما يلايمه ويوافقه من المذوق فيجد بذلك راحة في الطعام والشراب اذا دعته
حاجة الى تناوله ثم ان الله تعالى شق السمع واودعه رطوبة مرة ليحفظ بها السمع
من الذر والدود ويقتل اكثر الهوام الذي يلج في السمع وحوط الاذن بصدفة لتجمع
الصوت فترده الى صماخها وجعل فيها زيادة حس ليحس بما يصل اليها مما يوذيها
من هوام وغيره وجعل فيها تعويجات كثيرة لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه
ثم انظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فاحسن شكله وفتح منخريه وجعل
فيه حاسة الشم لاستنشاق الروايح والاستدلال بها على مطاعمه ومشاربه وليتنعم
بالروايح العطرة وليستنشق ايضا الهوا الذي هو روح الحيوة وغذا القلب وترويحا
لحرارة الباطن ولو شرحنا بقية ما فيك وما في باطنك وما في جسدك من يديك
واصابعها ومنافعها ومفاصلها وقبضها وبسطها ورجليك وساقيك وفخذيك
ومخرجيك وما اعد الله فيها من المنافع والقدرة الجليلة التي تعجز انت بما جبلها
عن ادراك كنهها لما تناهى وفي انفسكم افلا تبصرون فافحص بعقولك حقيقة
ذاتك فانت العالم الاصغر الذي حوى جميع ما في العالم الاكبر لما خلقك من سبعة
رزقك من سبعة وهو قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا
وفاكهة وابا واعطاك الخدمة في سجودك له سبعة لقوله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اسجد على سبعة الحديث وخلق السموات سبعا وهي ذخاير رحمته
ومستقر ملايكته لتقديسه وتهليله وهي حجب الانوار ومعارج ارواح الابرار
وحاملات الكرامات الجنان وانواع النعيم والرضوان والارضين سبعا وهي ذخاير نقمه
ولباب جهنم لكل ارض منها مدخر فيها نوع من العذاب والالات العقاب للكفرة والمشركين
والطغاة والمتمردين واسما البارئ والمصور فالبارئ جل وعلا مبدع مخترع

موجد

موجد بعد ما لم يكن والمصور له على ما هو عليه من صانع فاطر فجميع هذه الاسماء كلها تعود الى
معنى الخالق وان كان لكل اسم خاصية ومعنى يباين به ما عداه فمعنى البارئ جل وعلا بمعنى
الخالق والبرية هي الخليقة واذا امكن ان يجعل لكل اسم خاصية ومعنى يباين به
ما عداه فمعنى البارئ جل وعلا بمعنى الخالق والبرية هي الخليقة واذا امكن ان يجعل
لكل اسم من الاسماء معنى كان اولى من حمله على ما يتقارب على معنى احدهما انفراد
ان اسم البارئ والمصور بمعنى الخالق فيما قدمه قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها فلو كان الاسم بمعنى ما تقدمه او ما ياتي بعده لبطل تعليله لما نبه عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتسعة وتسعين اسما فان كل صورة من المحسوسات لا تقوم مقام
الاخرى وان تقاربا فلابد من التفرقة بينهما بوجه ما فاصل البرا من البراء وهو التراب
فمعنى البارئ خالق الخلق من تراب والمصور خالق الصور ومركبها قوله تعالى له
الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم اي الحسنى
في معانيها القايمة بذاته وصفاته جل وعلا والاسماء الحسنى حصرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة
وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه زيادة بعد قوله مائة الا واحد انه وتر يحب الوتر
من احصاها دخل الجنة وقوله يسبح له ما في السموات والارض فهو جل وعلا اهل
لما نسب اليه من تسبيح ما في السموات والارض وهو العزيز الذي يعز بقدرته على
ساير المقدورات الحكيم الذي اتقن بحكمته كل صنعة لما اخبر سبحانه عن الوهيته
وربوبيته ووحدانيته قال هو الله الذي لا اله الا هو اي هو الاله الذي لا اله احتجب
عن الابصار وعلا عن مداناة الافكار فهو المتوحد بالجلال والمنفرد بالكمال
والقدم والبقا والصمدية والعز والقهر والالوهية تولهت العقول حيرة في عظمته
وجلاله وولهت الارواح طربا وشوقا الى شهود جماله لا اله الا الله الذي يوله اليه في جميع
المقاصد ويلجا اليه في كشف الشدايد فاذا ذكرت الرحمن الرحيم طمعت في بره ورحمته
واذا ذكر عالم الغيب والشهادة خشيت من سطوته ونقمته واذا ذكرت الله انست
به في الخلوات وتفردت بذكره في الفلوات واحسن الانشاد
هو الله كلت السن الخلق كلهم ولم يبلغوا الوصف الذي هو حقه

تكبر وعظموا واعترفوا أن كلما ۞ أتيت به بعض الذي يستحقه ۞

واعلم أن في كل اسم من أسمائه معنى يثمر للعارف وصفا عجيبا ويجد عنده منهلا عذبا صافيا مشربه فغاية ذكرك تعود عليك ۞ وثمرة شكرك ترجع إليك ۞ والله تعالى سبحانه لا ينتفع بذكر الذاكرين ولا يتزين بشكر الشاكرين وإنما ذكره شرف للعارفين وخدمته تقريب للعاملين فهو تعالى وصفهم في كتابه المبين بقوله التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين فهو الذي يمدحهم بما به منحهم وأثنى عليهم بما أودع لديهم، وعلمهم كيف يثنون عليه وكيف ينزهونه عما يقول فيه المشركون فيه قال سبحانه هو الله الذي لا إله إلا هو أي هو الله فاطلبوه، لا إله غيره فاقصدوه لا إله إلا هو فوحدوه واعبدوه، عالم الغيب والشهادة فاخشوه وراقبوه، الرحمن الرحيم فلا تيأسوا من رحمته، الملك فاكتفوا بتدبيره ونصرته، القدوس السلام فنزهوه عما لا يليق بعزته لأنه المؤمن المهيمن فاشهدوا بما شهدت به الملائكة وأولوا العلم من صفات كماله واخضعوا القدر نفسه هيبة جلاله، يا قدوس يا سلام إن نذهب إلا إليك، وعلى من نعتمد إلا عليك ومن نستجير إلا بك وأنت خير مسؤول، وأكرم مأمول، أنت الله لا إله إلا أنت كرمك قد عم البعيد والقريب، وفضلك قد شمل العدو والحبيب وأنت الرحمن الرحيم لا تقصر سعة رحمتك، وكل فضل منك بسعة فمن جرى نعمتك مالك ملكنا نفوسنا حتى تصير مطمئنة، وبلغ كل آمل منا من الخير فوق ما ظنه، وأعتقنا من رق الشهوات والهوى ولا تجعلنا ممن ملكه هواه يا قدوس سبحانك أنت أجل عما تري في فكرنا بوصف خاطر وأجل من مدائحنا التي تبدي وأنت أكرم غافر يا مقدسا عن كل عيب سبحانك من طيب من طاهر، فإذا تعرضنا لوصفك فهو معذرة منا إليك من الثناء القاصر لكن مجد المقل دمعه ۞ ومجدك أعلا وعزك باهر، نزه قلوبنا وعقولنا عن الاشتغال بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك، يا سلام سلمنا من جميع العوارض والآفات، واصرفنا عن الوقوف على حظوظنا، وأيقظنا من الغفلات لأن الغفلة أصل جميع الآفات، أنت السلام المنفرد بالجلال ومنك السلام والسلامة من الأهوال

يا من هو الله السلام وإننا ۞ عند اللقا باسمه نتلاقى ۞

أنت السلام وكلنا لك مسلم ۞ فتبارك اسمك خالقا ورازقا ۞

اللهم سلمنا في ديننا ودنيانا وقلوبنا وأجسامنا من الآفات وارزقنا السلام والسلامة عند لقائك يا رفيع الدرجات يا مؤمن يا مهيمن انفردت بالعز والجلال ولك وصف الكمال بلا زوال، الأمان من فضلك ونعمتك، والأمان من برك وإحسانك ومنتك

۞ يا شاهدا قبل العباد بحمده ۞ ربنا به فهو الحميد المؤمن ۞

۞ أنت الذي أمنتنا فأمننا ۞ بك دائما والمهيمن فتيمن ۞

۞ يا صادقا في وعده ومصدقا ۞ لعباده ومهيمن ومؤمن ۞

ارزقنا الثبات عند الاحتضار على الإيمان وتوفنا على حالة الإحسان وتفضل علينا بالسلامة والأمان وأكرمنا يوم الوفود عليك برحمة منك ورضوان يا عزيز ليس لأحد عليك سطوة ولا تخوف ما تهديد بل إننا نمتنع الفعال لما تريده لا إله إلا أنت عز جلالك فتعاليت وكثر أفضالك فتواليت اجعلنا اللهم ممن تعزز بجنابك فعصم بما جاءك من خطابك، فلا عز إلا في الوقوف ببابك، ولا نعيم إلا على بساط حضرتك بين أحبابك، يا غاية المأمول أنت الرجا والسول

۞ بشرى قلوب أنت غاية شغلها ۞ يا كل مطلبها ومحل كلها ۞

۞ وإذا الرقاب تواضعت وتذللت ۞ منا إليك فعزها في ذلها ۞

اللهم من أعززته بقربك لم يذل، ومن أيدته بنورك لم يضل، ومن نصرته لم يغلب، ومن توليته لم يسلب، أعزنا اللهم بعزك، واجعلنا في حماك وحرزك، وأسكن في قلوبنا هيبتك وتعظيمك وإجلالك، وأعذنا من الفقر والذل إلا لك ۞ يا جبار تمنعت فاحتجبت وتعاليت فاستترت قهرتنا بجبروتك القاهر فلا جبار غيرك وجبرت القلوب المنكسرة فلا جابر سواك، تواضعت الملوك لهيبتك وعنت الوجوه بذلة الاستكانة لعزتك يا من الجبار بطش الجبابرة وأنت جابر القلوب المنكسرة ۞ أسألك بسر الإجبار والجبر والجبروت، واللوح والقلم والعرش والكرسي والملكوت، وما حوى من النعمة، وسعة الرحمة، أن تكسوني هيبة أذل بها كل جبار عنيد، وشيطان مريد، وألقى شر ما أخاف وأحذر بقدرتك، وخطر

الطوارق والمحن من كتايف الطلاع بحمايتك، فانك كاسر الجبابرة وجابر الكسير، بل جبار
يا قدير، يا متكبر خضعت الرقاب لعزتك، وذلت الكلاب لعظمتك، خضعت لك
الملوك، وصار المالك الكبير بعظمتك مملوكا، لا اله الا انت تباركت وتعاليت
عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا، مذلل نواصي الجبارين والطغاة والظلمة
والشياطين، وسبحانك اللهم عما يشركون، لك الكبريا والجبروت، لك العظمة والملكوت
واكسني هيبة من هيبتك لا تصرفني الجبارين بقدرتك، معصوما من الخطا والزلل ٥
مؤيدا في القول والعمل ٥ يا خالق اسالك بالسر الذي اوجدت به الموجودات، وابرزتها
من عالم الغيب الى عالم الشهادة انه ليس منذ خلقت الخلق استفدت اسم الخالق ولا
منذ رزقتهم استفدت اسم الرازق، فانت الخالق ولا مخلوق، والرزاق ولا مرزوق، ومبدع
الخلق من غير حاجة بك اليهم، بل امتنانا منك عليهم، فجعلتهم فرقا، وميزتهم طرقا، فمنهم
شقي ومنهم سعيد، ومنهم غوي ومنهم رشيد، فالشقي والغوي في الجحيم، والسعيد والرشيد
في النعيم، بسر علمك، وصفوة خلقك محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، ان تسعدني
بطاعتك ولا تشقني بمعصيتك، يا احسن الخالقين، تفضلت على الخلق بالايجاد، فتمم
الفضل بالاسعاد، وحسن الزلفى في دار المعاد ٥ يا بارئ النسم، وخالق الامم، وذارئ
النعم، وموجد العدم، وباعث الرمم، اسالك بسيد الامم صلى الله عليه وسلم ان تبقني
سعيدا موفقا للخيرات، وان تحشرني في زمرة اهل الاعمال الصالحات، يا مصور
انت الحي الاله الخالق اجمعين، انت فاعل القلوب والارواح، وجاعل الصور والاشباح،
قد بسطت اليك يد المسكنة، ورغبت فيما عندك من الاجابة، فلا تردني وانت ارحم
الراحمين، ولا تعني وانت اكرم الاكرمين، ولا يضيع رجائي يا من لا يخيب لديه رجاء الراجين،
واغفر لي ولوالدي وللمسلمين، يا من له الاسماء الحسنى والذكر العلي الاسنى، يا عزيز
يا حكيم، اجعلني ممن رضيت عنه وارضيته، وبلطفك الحسن الجميل توليته، وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

سورة الممتحنة ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم

جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم
القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ٥ التفسير
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء هذه السورة
مدنية وهي ثلاث عشرة اية ومناسبة اول هذه السورة لاخر سابقتها ان اخر تلك
السورة تشتمل على الصفات الجميلة الدالة على الوحدانية والالوهية وغير ذلك
وان هذه السورة تشتمل على حرمة الاتحاد مع من لم يعترف بتلك الصفات وايضا
انه تعالى لما ذكر حالة المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد
اليهم واضاف في قوله عدوي تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقابه بهم ٥ وسبب
نزولها روى مسلم بسنده عن علي كرم الله وجهه قال بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم والزبير والمقداد وقال ايتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة فقلنا اخرجي الكتاب
فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها
فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من

المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني
كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان ممن معك
من المهاجرين من له قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من
النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول
الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع
على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما
جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما
اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل قيل كان اسم
المرأة سارة وهي من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا
وحده لظفره الله بكم وانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره ۝ وقيل ان سارة مولاة
ابي عمرو بن صيفي بن هشام ابن عبد مناف اتت مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجهز لفتح مكة قيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
امهاجرة جئت يا سارة فقالت لا فقال امسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت
كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر
وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب
مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب
على اعطائها فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت تريد مكة واتاها حاطب بن ابي بلتعة
حليف بني اسد بن عبد العزى وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا
الكتاب الى اهل مكة فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك

بذلك فبعث عليا والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية عليا والزبير والمقداد ۝
وفي رواية عليا وعمار بن ياسر ۝ وفي رواية عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد
وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها
ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه
اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها
كتاب ففتشوها ومتاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا
ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما
رأت من علي الجد اخرجته من ذؤابتها وقد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا
بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف هذا الكتاب
قال نعم وذكر الحديث وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره
قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء روي ان حاطبا لما سمع
يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان لا تتخذوا المشركين اولياء واما
هذه الاية لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة اي تلقون بمودتكم اليهم
اي كيف تولونهم وقد كفروا بما جاءكم من الحق ولما دعي يا رسول الله ان حاطبا قد خان
الله ورسوله والمؤمنين فدعني لاضرب عنقه قال اليس من اهل بدر وما يدريك لعل الله
اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة فدمعت عينا عمر
وقال الله ورسوله اعلم هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر وقد روي من اوجه
عن علي قال ابن ابي حاتم بروايته عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد ان ياتي مكة
اسر الى ناس من اصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن ابي بلتعة وافشى في الناس انه
يريد خيبر فكتب حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا مرثد وليس منا رجل الا وعنده فرس فقال ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون
بها امرأة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لها

هات الكتاب فقالت ما معي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناه فلم نجده في متاعها فقال
ابو مرثد لعله ان لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله ولا كذب وقلت لها لتخرجن الكتاب او
لاضربن عنقك وشهرت سيفي فلما رات الجد اخرجته من عقاصها وقيل من حجزتها وقيل
اخرجته من قبلها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة
الى اهل مكة فقام عمر فقال خان الله ورسوله ائذن لي في ضرب عنقه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اليس قد شهد بدرا قال بلى ولكنه قد نكث وظاهر اعداءك عليك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فلعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت
لكم الجنة ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فارسل الى حاطب فقال ما حملك
على ما صنعت فقال يا نبي الله اني كنت امرأ ملصقا في قريش وكان لي بها اهل ومال
ولم يكن من اصحابك احد الا وله من يمنع اهله وماله فكتبت اليهم بذلك والله يا نبي الله
اني مؤمن بالله وبرسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق حاطب بن ابي بلتعة
فلا تقولوا لحاطب الا خيرا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
الاية ورواه ابن عباس وعروة ابن الزبير وقالت حملت قرون راسها فاستخرجت الكتاب
منه وهو قول مجاهد وقتادة قوله ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء اي ان يظفروا بكم
هؤلاء الذين تسرون اليهم المودة ايها المؤمنون يكونوا لكم حربا واعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم بالقتال والسنتهم بالشتم بالسوء لما نهى الله تعالى عن اتخاذ
الكفار اولياء وشرع ما به الولاية من القاء المودة اليهم وذكر ما صنع الكفار بهم
ولا من اخراج الرسول والمؤمنين وذكر صنيعهم اخر لو قدروا عليه ان يتمكنوا منه
تظهر عداوتهم لكم ويبسطوا ايديهم بالقتل والتعذيب والسنتهم بالسب ودوا
لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي ودوا لو ارتددتم عن دينكم
الذي هو احب الاشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم وتمنوا ان تكونوا على مثل
الذي هم عليه لما ذكر الله تعالى عداوتهم وبسط ايديهم على تقدير الظفر ولما كان
حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب اليهم ما كتب ليرعوه في قرابته قال تعالى
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم ٥ قوله تعالى يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

نهى الله تعالى الارحام والاولاد عن النفع انما ينتفع بالايمان لانه تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقوله يفصل بينكم اي يفرق بينكم فيصير المؤمن الى الجنة
والكافر الى النار والنصر مال الضمان هو الا بكم اي يحكم بينكم وقوله والله بما تعملون
بصير اي من الخير والشر وهو وعد ووعيد قيل وهذا كله عتاب لحاطب وهو
يدل على فضله وكرامته وصدقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان
المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال الشاعر

٥ اذا ذهب العتاب فليس ود ٥ ويبقى الود ما بقي العتاب ٥

قال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار
قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه وجه المناسبة
لما نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم عليه السلام وان من سيرته التبري
من الكفار اي فاقتدوا به وبمن امن معه في قولهم اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده اي قد كان لكم ايها المؤمنون اسوة حسنة في ابرهيم خليل
الرحمن اي قدوة تقتدون به فيه وفي الذين والذين معه من انبياء الله من هذه الامور التي ذكر
من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم قاله ابن زيد وقيل الذين معه
اي الذين امنوا معه نبه الله تعالى للعرب ان ابرهيم كان اباكم وبه لكم الشرف
والفخر على من سواكم فلكم اقتدوا احسن به وبالذين على دينه اذ قالوا لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون من الاصنام من دون الله وتسمونها الهة وتجعلونها اندادا وقولهم
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء على كفركم بالله وعبادتكم سواه فلا صلح بيننا وبينكم
ولا مودة حتى تؤمنوا بالله وحده فتوحدوه وتفردوه بالعبادة ٥ وقوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك المعنى تاسوا بابراهيم في افعاله جميعها الا في قوله لابيه لاستغفرن
لك فانه هذا مما لا يتاسى به فيه الا انه لما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فكذلك انتم ايها المؤ يقول
تبرؤوا من اعداء الله ولا تتخذوا منهم وليا ولهذا قال وما املك لك من الله من شيء اي
وليس المغفرة لك بيدي ثم بين انه لم يكن ذلك استغفار ابرهيم لابيه عن موالاة الكافر بن
بل اوضحها الله تعالى بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الله عنه

اياه

ها في الكتاب فقالت ما معي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناه فلم نجده في متاعها فقال
ابو مرثد لعله ان لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله ولا كذب وقلت لها ان لم تخرجي الكتاب
لاضربن عنقك وشهرت سيفي فلما رات الجد اخرجته من عقاصها وقيل من حجزتها وقيل
اخرجته من قبلها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة
الى اهل مكة فقام عمر فقال خان الله ورسوله ائذن لي في ضرب عنقه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اليس قد شهد بدرا قال بلى ولكنه قد نكث وظاهر اعداءك عليك [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم فلعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد [illegible]
لكم الجنة ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فارسل الى حاطب [illegible]
على ما صنعت فقال يا نبي الله اني كنت امراً ملصقاً في قريش وكان لي بها [illegible]
ولم يكن من اصحابك احد الا وله من يمنع اهله وماله فكتبت اليهم بذلك [illegible]
اني مومن بالله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق حاطب [illegible]
فلا تقولوا لحاطب الا خيرا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الاية ورواه ابن عباس عن عروة ابن الزبير وقال انها نزلت في قوم من اصحابنا
منه وهو قول مجاهد وقتادة وقوله ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء [illegible]
مولا الذين تسرون اليهم بالمودة ايها المومنون يكونوا لكم حربا واعداء
اليكم ايديهم بالقتال والسنتهم بالشتم بالسوء لما هي [illegible]
الكفار اوليا وشرع ما به الولاية من القاء المودة اليهم وذكر ما [illegible]
ولا من اخراج الرسول والمومنين وذكر صنيعهم اخرا لو تقدروا [illegible]
تظهر عداوتهم لكم ويبسطوا ايديهم بالقتل والتعذيب والسنتهم [illegible]
لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي وددوا الو[illegible]
الذي هو اجل الاشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم [illegible]
الذي هم عليه لما ذكر الله تعالى عداوتهم وبسط ايديهم على [illegible]
حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب اليها بما كتب [illegible]
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم [illegible]
محاماة عليهم ه قوله تعالى يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

ثم

ثم الله تعالى الارحام والاولاد عن النفع انما ينتفع بالايمان قال تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقوله يفصل بينكم اي يفرق بينكم فيصير المومنون الى الجنة
والكافرون الى النار والفصل والفصال سواء كلكم اي يحكم بينكم وقوله والله بما تعملون
بصير اي من الخير والشر وهو وعد ووعيد انتهى وهذا كله عتاب لحاطب وهو
يدل على فضله وكرامته وصدقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان
المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال الشاعر
[illegible] العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •
[illegible] في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقوال
[illegible] حسنة في ابرهيم والذين معه وجه المناسبة
[illegible] قصة ابرهيم عليه السلام وان من سيرته التبري
[illegible] معه في قولهم اذ قالوا لقومهم انا برءاؤ منكم وما
[illegible] بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
[illegible] لكم ايها المومنون اسوة حسنة في ابرهيم خليل
[illegible] الدين وبالذين معه من انبياء الله من هذه الامور التي ذكر
[illegible] وترك موالاتهم قاله ابن زيد وقيل والذين معه
[illegible] تعالى للعرب ان ابرهيم كان اباكم فلكم به الشرف
[illegible] احسن به وبالذين على دينه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤ
[illegible] من دون الله وتسمونها الالهة وتجعلونها اندادا وقولهم
[illegible] على كفركم بالله وعبادتكم سواه فلا صلح بيننا وبينكم
[illegible] فتوحدوه وتفردوه بالعبادة ه وقوله الا قول ابرهيم
[illegible] تاسوا بابراهيم في افعاله جميعها الا في قوله لابيه لاستغفرن
[illegible] لابيه الا انه لما تبين له انه عدو لله تبرا منه فكذلك انتم ايها المو[منون] — مومنون
[illegible] واتخذوا منهم وليا ولهذا قال وما املك لك من الله من شي اي
[illegible] ثم بين انه لم يكن ذلك استغفار ابرهيم لابيه عن موالاة للكافر — بين
[illegible] بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ثم اخبر — الله عنه

اياه

ها في الكتاب فقالت ما معي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناه فلم نجده في متاعها فقال
ابو مرثد لعله معها فقلت ما كذب رسول الله ولا كذب وقلت لها ان لم تخرجي الكتاب
لاضربن عنقك وشهرت سيفي فلما رأت الجد اخرجته من عقاصها وقيل من حجزتها وقيل
اخرجته من قبلها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة
الى اهل مكة فقام ... النبي صلى الله
عليه وسلم ...
النبي صلى الله ...
لكم الجنة ...
ما صنعت ...
ولو كان من اصحاب ...
المومنين ...
فلا تقولوا ...
الاية ...
منه وهو ...
مولا ...
الكفار ...
ولا ...
تظهر ...
الذي هو ...
الذي هو عليه ...
حاطب فقد اعتذر ...
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم ٭ قوله تعالى يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

نفي

تعالى الارحام والاولاد عن النفع انما ينفع بالايمان اي تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقوله يفصل بينكم اي يفرق بينكم فيصير المومنون الى الجنة
والكافرون الى النار والفصل ... اي يحكم بينكم وقوله والله بما تعملون
بصير اي من الخير والشر وهو وعد ووعيد ... وهذا كله عتاب لحاطب وهو
يدل على فضله وكرامته وصدقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه ...
... الامر ... الشاعر
ويبقى الود ما بقي العتاب ٭
... وما ... من الافراد
... ابرهيم والذين معه ... الماسبة
ابرهيم عليه السلام ...
... اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما
... بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ...
المومنون اسوة حسنة في ابرهيم خليل
... الذين معه من انبياء الله ...
... قاله ابن زيد وقيل والذين معه
... ابرهيم ... الشرف
... وما الذين ... اذ قالوا لقومهم انا برآء
... الصنم ...
باالله وحده تكم سواه فلا صلح بيننا وبينكم
وتفردوه بالعبادة ٭ وقوله الا قول ابرهيم
... ابرهيم في افعاله جميعها الا في قوله لابيه لاستغفرن
... الا انه لما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فكذلك انتم ايها المو ... متول
... وما املك لك من الله من شيء اي
... ثم بين انه لم يرد ذلك استغفار ابرهيم لابيه ... بين
... الله تعالى بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها ثم اخبر ... الله عنه

اياه

ها في الكتاب فقالت ما معي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناه فلم نجده في متاعها فقال
ابو مرثد لعله معها فقلت ما كذب رسول الله ولا كذب وقلت لها ان لم تخرجي الكتاب
لاضربن عنقك وشهرت سيفي فلما رات الجد اخرجته من عقاصها وقيل من حجزتها وقيل
اخرجته من قبلها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن بلتعة
الى اهل مكة [illegible] عنقه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] عليك فقال
النبي [illegible] وجبت
لكم الجنة [illegible] ما حاك
بما [illegible] ما
ولو [illegible] الله يا نبي الله
الى [illegible] بالمودة
فلا [illegible] وعدوكم
الابة [illegible] من الحق
منه [illegible]
[illegible] ان يخرجكم
هو [illegible]
[illegible] انحا ذ
الكا [illegible] الكفار بهم
ولا [illegible] يقتلوا ابنه
تقط [illegible]
[illegible] بسبب
[illegible] بينكم
الذي [illegible]
الذي [illegible] اعمال
الذين [illegible] ما كان
حاطب فداء [illegible] فانزل الله تعالى
لن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم وقوله تعالى يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

نبي

ثم الله تعالى ان الارحام والاولاد عن النفع انما ينتفع بالايمان في قوله تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقوله يفصل بينكم اي يفرق بينكم فيصير المؤمن الى الجنة
والكافر الى النار [illegible] اي يحكم بينكم وقوله والله بما تعملون
بصير اي من الخير والشر وهو وعد ووعيد قيل وهذا كله عتاب لحاطب وهو
يدل على فضله وكرامته وصدقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق بانه في
المعاتبة لا يكون الا من محب لحبيب كما قال الشاعر

اذا ذهب العتاب فليس ود ٭ ويبقى الود ما بقي العتاب

قال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار
قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه وجه المناسبة
لما نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم عليه السلام وان من سيرته التبري
من الكفار اي فاقتدوا به وبمن امن معه في قولهم اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده اي قد كان لكم ايها المؤمنون اسوة حسنة في ابرهيم خليل
الرحمن اي قدوة تقتدون به في الدين وبالذين معه من انبياء الله من هذه الامور التي ذكر
من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم قاله ابن زيد وقيل الذين معه
اي الذين امنوا معه يقول الله تعالى للعرب ان ابرهيم كان اباكم وبه لكم الشرف
والفخر على من سواكم فلكم اقتدا حسن به وبالذين على دينه اذ قالوا لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون من الاصنام من دون الله وتسمونها الهة وتجعلونها اندادا وقولهم
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء على كفركم بالله وعبادتكم سواه فلا صلح بيننا وبينكم
ولا مودة حتى تؤمنوا بالله وحده فتوحدوه وتفردوه بالعبادة وقوله الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك المعنى تاسوا بابراهيم في افعاله جميعها الا في قوله لابيه لاستغفرن
لك فان هذا مما لا يتاسى به فيه الا انه لما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فكذلك انتم ايها المو منون
تبرؤا من اعداء الله ولا تتخذوا منهم وليا ولهذا قال وما املك لك من الله من شيء اي
وليس المغفرة لك بيدي ثم بين انه لم يكن ذلك استغفار ابرهيم لابيه عن موالاة الكافر بل
بل وضحها الله تعالى بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الله عنه

اياه

انه لما تبين له انه عدو لله تبرا منه فلا يحل لكم ان تستغفروا للمشركين مع علمكم بشركهم
لا يحل لكم ان تتولوهم ◦ قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا انك انت العزيز الحكيم ◦ يجوز ان
ان يكون هذه الاية من قول ابراهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل
بينهما الاستثنا ويجوز ان يكون منقطعا عما قبله وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال
لهم قولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي المرجع
في الاخرة وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم
على الحق فيفتتنوا وقيل لا تسلطهم علينا فيقتلونا ويعذبونا قال مجاهد لا تعذبنا
بايديهم ولا بعذاب من عندك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة
لهم وقوله واغفر لنا طلب المغفرة لانه جل وعلا هو الذي ارشدنا لطلبها وقوله انك
انت العزيز الحكيم تقدم تفسيره مرات ◦ قوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي في ابرهيم ومن معه اي في التبري من الكفار وقيل
كررت اسوة للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة لان الاول في التبري من الكفار والثاني
في التقرب بهذه الدعوات ولان الاول حث على الاقتدا بهم والثاني بيان ان هذا النفع يقع
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ولان الاول نزل في وقت والثاني نزل في وقت اخر فلم يكن
تكرارا انما التكرار للقصص والامر باقامة الصلوة وايتاء الزكاة في سور ايات ثم قوله لكم مع
قوله لمن كان يرجوا الله لا يتنافيان لوجهين احدهما ان معناه لكم اسوة وهذه الاسوة
حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجوا الله ان يثيبه فيدخله الجنة
يوم القيمة ثم قال تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد اي ومن يتول عن الاقتداء
بهم ورد الى الكفار فان الله غني عنه وعن نصرته ومعونته بل هو وليه وناصر حزبه
وهو حميد المستحق للحمد فلا يستحقه سواه ◦ قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم عسى من الله واجبة الوقوع
فعل الله ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا والله قدير اي ذو قدرة على ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين المودة اذا تابوا منها والله غفور لخطيئتهم رحيم ان لا يعذبه
بعد توبته كانه تعالى يمتن على الانصار فخاصة الاوس والخزرج واذكروا نعمة الله عليكم

اذ كنتم

اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم اي بالايمان فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من
النار فانقذكم منها الاية ولذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم تكونوا ضلالا فهداكم
الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وقال تعالى هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز
حكيم واجاد الشاعر حيث قال

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ◦ يظنان كل الظن ان لا تلاقيا ◦

قوله تعالى والله غفور رحيم يغفر للكافرين كفرهم اذا تابوا منه وانابوا الى ربهم واسلموا
له وهو الغفور الرحيم لكل من تاب اليه من كل ذنب كان وقد قال مقاتل ابن حيان هذه الاية
نزلت في ابي سفين صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة بنت
ابي سفين فكانت هذه مودة ما بينه وبينه وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم تزوج بام حبيبة بنت ابي سفين قبل الفتح وابو سفين انما اسلم ليلة الفتح
بلا خلاف واحسن من هذا ما رواه ابن ابي حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل
ابا سفين بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقي ذا الخمار
مرتدا فقاتله فكان اول من قاتل في الردة ◦ وقال جمهور المفسرين لما نزلت الاية الاولى
عادى المسلمون اقرباءهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة اي من كفار مكة مودة وقد
فعل الله تعالى ذلك فاسلم كثير منهم كابي سفين بن حرب والحارث بن هشام وسهيل
ابن عمرو وحكيم بن حزام وقوله والله قدير والله غفور رحيم اي لا يستحيل عليه وهو على كل شي قدير
وهو رحيم بعباده غفور لما سلف من كفرهم اذا اسلموا وفي هذا تاكيد لما امرهم من
ترك موالاة من عادوا كفارا وتعريف لهم انهم اذا فعلوا ذلك بالصلة جهادكم
فادى ذلك الى ايمانهم وقوله ... دليل على بطلان قول المعتزلة انهم خالقون لافعالهم
قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين قال مجاهد نزلت في قوم
بمكة امنوا ولم يهاجروا فكانوا في رتبة سوى لتركهم فرض الهجرة ◦ وقال
الحسن وابو صالح نزلت في خزاعة وبني الحارث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل من

الحرب كانوا مظاهرين للرسول محبين فيه وفي المومنين وقيل نزلت فيمن لم يقاتل ولا
خرج ولا ظاهر سواء من كفار قريش وغيرهم وقال مرة الهمداني وعطية العوفي نزلت في قوم من
بني هاشم منهم العباس وقال النحاس والثعلبي اراد المستضعفين من المومنين الذين لم
يستطيعوا الهجرة وقيل قدمت على اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما امها قتيلة بنت
عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول لانها مشركة فنزلت
فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها
وفي البحر ان ابا بكر رضي الله عنه طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما فقدمت في
المدة التي فيها المهادنة فاهدت الى اسما شيا فكرهت ان تقبل منها فنزلت ثم قوله تعالى
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قيل الاية مخصوصة
بالمومنين الذين لم يهاجروا لان اول السورة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اوليا ليس من امن ولم يهاجر عدوا لله وللمومنين وقوله ان الله يحب المقسطين اي المنصفين
الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من انفسهم وقال ما معناه انه جل وعلا
لم ينهاهم عن الذين لم يقاتلوهم في الدين من كفار اهل مكة ولم يخرجوهم من ديارهم ولم
يظاهروا اي يعاونوا على اخراجهم ان تولوهم ان تكونوا لهم اوليا ثم قال ومن يتولهم
اي الذين قاتلوكم واخرجوكم من دياركم وتعاونوا على اخراجكم فاولئك هم الظالمون
لانهم لما امر الله به مخالفون ثم امر المومنين ان يمتحنوا المومنات اذا اتوا مهاجرات بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم — يحلون لهن
يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا ذلكم
حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون
يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك

في معروف

في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
[illegible] قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات
فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وجه المناسبة ان الله تعالى لما امر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام
وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النسا ثم قوله تعالى يا
[illegible] علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار وانما قيل ذلك للمومنين لان
العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية
ان يرد المسلمين الى المشركين من جا منهم مسلما فابطل الله ذلك الشرط في النسا اذا
جين مومنات مهاجرات فانه يمتحن فوجدهن المسلمون مومنات وصح ذلك عندهم
فامروا ان لا يردوهن الى المشركين ثم قوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن اختلفوا هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طايفة كان الشرط
ردهن في عقد المهادنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه
في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام
ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طايفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق
العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن
عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات فروج والثاني انهن ارق قلوبا
واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة على شركها فمردودة عليهم وقوله فامتحنوهن قيل
انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك
امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال ابن
عباس رضي الله عنهما كان الممتحن ان يستحلفهن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها
ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته
وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله اذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى
النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها فذلك قوله فان
علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقال

ابن عباس ايضا ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ٥ وروى معمر
عن الزهري عن عايشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن
الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المومنات يبايعنك خرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ٥ قوله الله اعلم بايمانهن هذه الجملة فايدتها بيان انه لا سبيل لكم الى ما
تطمين به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر الله به
قاله الزمخشري اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه متولي السرائر ٥ قوله تعالى
فان علمتموهن مومنات بما يظهر من الايمان وقيل اي علمتموهن مومنات قبل الامتحان
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما وقيل
اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو الحال ما داموا مشركين وهن مومنات
ومعنى الاية لا تحل الله مومنة لكافر وهذا ادل دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة
من زوجها الكافر اسلامها ٥ قوله تعالى واتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا
امسكت المراة المسلمة ان يرد على زوجها المشرك ما انفق وذلك من الوفا بالعهد
لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى لا يقع عليه خسران من الوجهين
الزوجة والمال ٥ قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن
اباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن ازواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن
وبين ازواجهن الكفار ٥ قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال معمر عن الزهري
انزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باسفل الحديبية حين صالحهم
على انه من اتاه منهم رده اليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الاية وامر ان يرد الصداق وحكم
على المشركين اذا جاءتهم امراة من المسلمين ان يردوا الصداق الى ازواجهن وكذلك
على المومنين ٥ وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انما حكم الله بينهم بذلك لاجل ما كان
بينهم وبينهم من العهد اللاتي ارتددن من نسا المهاجرين ولحقن بالكفار ام الحكم بنت
ابي سفيان زوج عياض بن شداد الفهري واخت ام سلمة فاطمة بنت ابي امية زوج عمر
الخطاب فتزوجها معوية وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية وهي ام عبد الله فتزوجها
ابو جهم بن حذيفة بن عامر ردها على شركها وطلق طلحة بن عبيد الله اروى فتزوجها ابو
جهم بن حذيفة بن عامر ردها على بعلها خالد بن سعيد بن العاص ٥ قوله تعالى واسالوا

[illegible] ما انفقتم [illegible] ابي طالب [illegible]
على ازواجكم اللاتي ذهبن الى الكفار وليسالوا هم ما انفقوا على ازواجهم اللاتي هاجرن
الى المسلمين ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر واذا حضر وطالب فمنعناها وغرمنا
فان ماتت قبل حضور الزوج لم تغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا
او خنزيرا لم تغرم شيئا لانه لا قيمة له والاسير بهذا كله حكم الله يحكم بينكم ٥
[illegible] عليم حكيم اي عليم بمصالح عباده حكيم في ذلك [illegible]
[illegible] روي ان
كانت تحت طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام
بينهما فتزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية ٥ وقال الشعبي
كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع اسلمت ولحقت
واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الزهري في قصة زينب هذه كان قبل ان تنزل الفرائض ٥ وقال قتادة
كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين وكان من ذهب
من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال
للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك
نصفا وعدلا بين الحالين ٥ قال ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان
في تلك النازلة خاصة ٥ قال الزهري ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء
ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت
هذه الاية اقر المومنون بحكم الله عز وجل وادوا ما امروا به من نفقات المشركين
على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امروا من نفقات المسلمين فانزل
الله عز وجل وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فلحقن بهم لم
يقر المشركين بما حكم الله عليهم به فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من
مهر مثل ما جاهد فعاقبتم اي اصبتم غنيمة من قريش وغيرهم فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة ٥ وقال الزهري انقطع

هذا يوم الفتح وقوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا وكتب اليهم المسلمون
فرحكم الله عز وجل انه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امراة
منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اليهم اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيا وان كان لنا
عندكم شي فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
اي غنمتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا [illegible]
مومنون اي خافوا الله الذي انتم به مصدقون باداء فرايضه واجتناب معاصيه
قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات [illegible]
[illegible] لا يسرقن ولا [illegible] اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه [illegible]
[illegible] ارجلهن وذلك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء نساء
اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا يشركن قالت عايشة رضي الله عنها والله
ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله عز وجل وما مست
كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد
بايعتكن كلاما وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل
منه فجعل يشترط على النساء البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت
على الصفا فبايعتهن قال ابن العربي وذلك ضعيف انما الصحيح ما في صحيح مسلم
من حديث عايشة المتقدم قالت كان المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمتحنهن بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا
يشركن بالله شيا الاية قالت عايشة فمن اقر بهذا من المومنات فقد اقر بالمحنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم امراة قط غير انه يبايعهن بالكلام ه وقالت ام عطية لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب
فقام على الباب فسلم فرددنا عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا
ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد ه وقال مقاتل بن حيان لما كان يوم فتح

مكة

مكة وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال والنبي صلى الله عليه وسلم على
الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايع النساء بامر النبي صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه
على ان لا يشركن بالله شيا وهند بنت عتبة بن ربيعة متنقبة فيما بين النساء فرفعت
راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام ودين الله تعالى ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال فبايع عمر النساء على ان لا يشركن
بالله شيا ولا يسرقن قالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانه لا يكفيني وولدي
الا ما اخذت منه سرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لهند قالت نعم فقال
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال ولا يزنين فقالت هند اوتزني الحرة
فقال عمر لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امراة منهن قط ثم قال ولا
يقتلن اولادهن قالت هند وبينا هم صغارا فقتلتموهم يوم بدر كبارا فضحك
عمر حتى استلقى ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قالت
هند والله ان البهتان لامر قبيح وما يامرنا رسول الله الا بالرشد ومكارم الاخلاق
ثم قال ولا يعصينك في معروف قالت هند والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا
ان نعصيك فبايعهن عمر للنبي صلى الله عليه وسلم واستغفر لهن النبي صلى الله عليه
وسلم وهذه البيعة يوم فتح مكة ه وقال الكلبي وزيد بن اسلم وقتادة قوله
لا يعصينك في معروف النوح وتمزيق الثياب وحلق الشعر وشق الجيوب وخمش
الوجوه ولا يحدثن الرجال ولا تخلوا امراة برجل غير محرم ولا يسافرن فوق ثلاثة
ايام بغير محرم ه وقال اكثر المفسرين لا ياتين ببهتان يفترينه من بين ايديهن
وارجلهن اي لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهم وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه
بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء ه وقوله ما بين
يديها ورجليها كناية عن الولد لان بطنها الذي تحمل فيه الولد ه وفي صحيح مسلم
عن ام عطية لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف قال كان منه
النياحة قالت فقلت يا رسول الله الا ال بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية
فلا بد لي من ان اسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة

يئس الكفار من اصحاب القبور ختم السورة بما بدا بها وهم المشركون قد يئسوا
من الاخرة اي من كونها والثواب والعقاب فيها فلذلك لا يؤمنون بها ۝ وقوله كما يئس
الكفار من اصحاب القبور قال ابن عباس معنى قوله لا تتولوا اي لا تتولوا اليهود والنصارى وهم
رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا
كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الاخرة من رحمة الله تعالى والذين
غضب الله عليهم هم اليهود والمخصوصون بذكر الغضب قد يئسوا من الاخرة اي من
ثواب الاخرة ومن رحمة الله ومغفرته في الاخرة كما يئس الكفار المشركون المقبورون ۝
لخبث سريرتهم وبغضهم علموا انهم معذبون وهم لمقابلة الحق بالباطل في الجحيم
مخلدون ۝ اللهم اني اسألك بالله ان تحييني ما كانت الحياة خيرا لي وتتوفاني ما
كانت الوفاة خيرا لي اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك ولا الفر
لك ولا ضد لك ولا ولد لك وان كل معبود من لدن عرشك الى قرار فرشك
باطل وانت الحق واشهد ان محمدا عبدك ورسولك وان الجنة حق والنار حق وان الله
باعث من في القبور حنيفا مسلما لا اشرك بك شيئا ولا اتخذ من دونك وليا
ولا اعدل بك احدا ولا اجد من دونك ملتحدا اسألك ان تبلغني برحمتك
التي بنيا لها راجيك ما تمنى ما منزله الاسما الحسنى ارفع درجاتي في عليين واغفر
لي ولوالدي وللمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والحمد
لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب

وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين هذه السورة مدنية في قول الاكثر
وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي اربع عشرة اية ۝ التفسير
قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قال فخر الدين
الرازي مناسبة هذه السورة لما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد
في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي
هذه السورة بين ما على المؤمن ويحثه على الجهاد فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فان قيل ما الحكمة في انه تعالى قال في بعض السور
سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها سبح بلفظ الامر فالجواب
ان الحكمة في ذلك تسبيح الله على الدوام وهذا تعليم للعباد ان تسبيح الله تعالى دائم
لا ينقطع كما ان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل
من الزمان والامر يدل عليه في الحال العزيز هو الغالب على غيره اي شيء كان ذلك
الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره والحكيم هو الذي يحكم على غيره اي شيء كان ذلك الغير
ولا يمكن ان يحكم عليه ذلك الغير ۝ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون روى الدارمي في مسنده قال انبانا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي
كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال

عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا يحيى فقرأها علينا الأوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله ابن رواحة لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليها فنزلت هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالأموال والأنفس فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم الآية فابتلوا يوم أحد ففروا فنزلت هذه الآية تعييرا لهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر وأنكاهم فقتلته فقال رجل يا نبي الله إني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب أما أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك قتلت فلانا فإن فلانا انتحل قتله فأخبره فقال أكذلك يا أبا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الآية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا ۞ وخرج الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به ۞ قوله تعالى كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ نزلت توبيخا للقوم من المنافقين كانوا يعدون المؤمنين النصر وهم كاذبون وقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت أو أقتل شهيدا فكان على ذلك حتى قتل شهيدا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا في غزوة وأمر عليهم زيد بن حارثة

وقال

وقال إن قتل زيد فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة فأخذ زيد الراية فقتل ثم أخذها جعفر فقتل وقطعت يداه ورجلاه فأبدله الله تعالى جناحين يطير بهما مع الملائكة ثم أخذ عبد الله الراية وحمل عليهم حتى استشهد وقوله كبر مقتا قال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه وهذا من أفصح كلام وأبلغه ومعناه قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمؤمنين أن يكونوا عند قتال العدو وهم صفا استدل بهذه الآية على أن قتال الراجل أفضل من قتال الفارس من العجم والفيئة ولا يخرج الفارس من معنى الآية لأن معنى الثبات ولا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسلها الإمام أو منفعة تظهر في المقام ولا بأس بالخروج من الصف للمبارزة وقد كرهها بعضهم وطلب الشهادة وتحريض على القتال ۞ قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وجه المناسبة أن الله تعالى لما ذكر الجهاد بين أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وما كان من النصر والظفر لهما والقيام على ذلك وقوله لم تؤذونني يحتمل ما قال تعالى ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وهو ما دس عليه قارون امرأة تدعي أنه فجر بها وقد تقدمت قصتها ومن الأذى قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وقولهم فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ودعواهم عليه أنه قتل هارون وقد تقدم وأخبر أن الذنب في أذاه مع معرفتهم أنه رسول الله إليهم فإن العلم بتحريم الشيء مما الزواجر فلما كانت الزواجر أكثر كان الذنب في ارتكابه أكبر ۞ قوله تعالى فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أي فلما مالوا عن الحق إلى الباطل خذلهم وحرمهم توفيق الحق واتباعه وهذا دليل على إبطال قول المعتزلة لأن الله تعالى هو خالق أفعالهم حسنها وقبيحها ظاهرها وباطنها وأنه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال ويهدي من علم منه اختيار الهدى وفقه للاهتداء والله لا يهدي القوم الفاسقين قال الزجاج من سبق في علمه أنه فاسق ولما ذكر شيئا من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ذكر أيضا شيئا من قصة عيسى عليه السلام قال تعالى وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ يقول الله

مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام انه قال لقومه لم تؤذونني لم
تصلون الاذى الي وانتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة وفي هذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما اصابه من الكفار من قومه وغيرهم وامر له بالصبر ولهذا قال
رحمة الله على موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وفيه نهي للمؤمنين ان ينالوا من النبي صلى
الله عليه وسلم او يوصلوه اذى كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه
الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم عن الهدى واسكنها
الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة
ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ولهذا قال والله لا يهدي القوم الفاسقين
وقوله عن رسوله عيسى بن مريم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة صدق بما
انزله الله على موسى عليهما السلام وقوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
قال القشيري بشر كل نبي قومه بنبينا عليهم السلام فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء
واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام فقال عيسى وانا مبشر بمن ياتي من
بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي احمد وقد قام في ملا من بني اسرائيل مبشرا
بمحمد صلوات الله عليهما وهو احمد خاتم الانبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة
وما احسن ما اورد البخاري الحديث الذي فيه حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري
قال اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه مسلم من حديث الزهري وقد قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الاية وقال
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقوله اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا
الا اخذ الله عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه واخذ عليه ان ياخذ على امته
لئن بعث محمد وهم احياء ليتبعنه ولينصرنه واسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى قد

سماه قبل ان يسمي نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود
في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى
الحمد كما يقتضيه اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد اي حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك
تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال
له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده
لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه
بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي
في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود
في اهل السماء والارض وفي الصحيح لي خمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو
الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم وقوله تعالى
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل عيسى وقيل محمد صلوات الله عليهما
بالبينات وهي الدلالات التي اتاه الله حججا على نبوته قالوا هذا سحر مبين وقال محمد بن اسحق
يرويه بسنده عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول
الله اخبرنا عن نفسك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي كانه خرج
منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام والقصد ان الانبياء عليهم السلام لم تزل
بنعته وتحليته في كتبها على اممها وامرهم باتباعه ونصرته وموازرته اذا بعث وكان اشتهار
الامر في اهل الارض ابراهيم خليل الرحمن والد الانبياء حين دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا
منهم ولهذا قالوا اصحابه صلى الله عليه وسلم اخبرنا عن بدء امرك يعني في الارض قال دعوة
ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا امي فذكره صلوات الله عليه وقوله فلما
جاءهم احمد المبشر به في الاعصار المتقادمة والقرون السالفة وجاء بالبينات قال
الكفرة المخالفون هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى
الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب
وجعل له اندادا وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال والله لا يهدي القوم
الظالمين وقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو

قره احامر وقال ابن عباس وابن زيد المراد بنور الله القران اي يريدون ابطاله وتكذيبه
بالقول وقال السدي الاسلام يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم
اي يريدون هلاكه وقال ابن جريج حجج الله ودلائله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل
انه مثل مضروب اي من اراد اطفاء نور الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال
الحق وقال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد
اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها اي يريدون الفاسقون الظالمون ان
يذهبوا نور الله الذي ايد محمدا صلى الله عليه وسلم به وهو ما به هدى عباده من دينه
وكتابه بافواههم اي بقولهم بافواههم انه سحر لا يزيدون على ذلك ولا يجدون عليه
حجة وهذا شيء تام او ومنه والله متم نوره حتى يعم الافاق ويظهر في البلاد ويهتدي به
العباد ولو كره الكافرون اي اليهود والنصارى والمشركون وسائر الكفار هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
اي هو الذي ارسل محمدا بالحق والرشاد الذي لا يشوبه باطل من شرك او تفرقة بين الرسل
او تشبيه ونحوه ليظهره على الدين كله بالحجج القاطعة وباليد في القتال وليس المراد
بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام عالين غالبين ومن
الاظهار ان لا يبقى دين اخر سوى الاسلام في اخر الزمان وذلك اذا نزل عيسى بن
مريم لم يبق في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة رضي الله عنه ليظهره على
الدين كله بخروج عيسى عليه السلام وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن
الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها ولتذهبن
الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي
ليطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله هذه الاية نزلت في عثمن بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي طلقت

خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر نهارا ابدا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام وان رهبانية امتي
الجهاد في سبيل الله وخصاء امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام
واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمن والله لوددت يا نبي الله اي
احب الى الله فنتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي ارشدكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وهذا تفسير التجارة فقال تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ففسرت بالايمان والجهاد بالاموال والانفس
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم فكانه قيل هل تجرون
بالايمان والجهاد باموالكم وانفسكم يغفر لكم ان فعلتم ما امرتم به ودللتم عليه يغفر
لكم الزلات وادخلكم الجنات ولهذا قال ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ويحظى
من دخلها بالمساكن الطيبة وهذا هو الفوز العظيم ثم قال واخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين اي اذا قاتلتم في سبيله تكفل الله بنصركم وزيادة
تحبونها وهو الفتح القريب قال تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز وقوله فتح
قريب اي عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الاخرة لمن اطاع الله ورسوله
ونصر دينه ولهذا قال وبشر المؤمنين اي ولكم من فتح قريب اي غنيمة عاجلة قبل
فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المؤمنين رضي الله عنهم قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله
قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين
امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي كونوا حواريي نبيكم ليظهركم الله على
من خالفكم كما اظهر حواريي عيسى على من خالفهم وقيل الحواريون خواص الرسل
قال معمر كان ذلك بحمد الله اي نصروه وهم سبعون رجلا هم الذين بايعوه ليلة
العقبة وقوله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين هم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وهم
اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس وقال قتادة قال الله لعيسى اذا اتيت القرية
فاتى النهر الذي عليه القصارون فاسالهم النصرة فاتاهم عيسى عليه السلام وقال من

انصاري الى الله فقالوا نحن ننصرك فامنوا به وصدقوه ونصروه والمراد كونوا انصار الله
كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله ٥ وقال الزمخشري فان
قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معنا مطابقا لجواب الحواريين
نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة
انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري
من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ٥ وقوله فامنت طايفة من بني
اسرائيل وكفرت طايفة قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام تفرق قومه ثلاث
فرق فرقة قالوا كان الله فرفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله وفرقة قالوا كان عبد الله
ورسوله فرفعه الله اليه وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا
فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت
الفرقة المومنة على الفرقتين الكافرتين وذلك قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم
فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقال زيد بن علي فاصبحوا ظاهرين اي غالبين بالحجة والبرهان
لانهم قالوا فيما روي الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل
والله تعالى لا ياكل قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي الذين امنوا بعيسى على عدوهم
الذين كفروا به فاصبحوا ظاهرين اي قاهرين لهم مستولين عليهم ظاهرين غالبين وقيل
ايدنا المسلمين على الفرقتين الضالتين ايد الله الذين امنوا على عدوهم بالحق فاصبحوا
ظاهرين بالاخلاص والصدق اللهم اني اسالك بما جعلت من الحرمة لابرهيم وموسى وادم
وادريس ونوح وعيسى ان تنصرني على من عاداني بنصرتهم يا ذا الجلال والاكرام وتقوي
قوتي لها بكل قوة يا عزيز ذا الانتقام وان تمطرني من حقايق انوار قوى نفوسهم
الطاهرة وتلقي علي من علومهم ومعارفهم بلطايف سريرتي الباطنة يا مالك الدنيا والاخرة
ما يبهج نفسي بالانبساط الى جنابك والانقباض عن غير حضرتك وحجابك يا من اسمه
الاعظم ومطيعه المكرم ارحمني وانت خير الراحمين واغفر لي ولوالدي وللمسلمين
يا خير الغافرين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين والحمد لله رب العالمين ٥
سورة الجمعة ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث

في الاميين

في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم
ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بيس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا
يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قل ما عند الله خير من اللهو
ومن التجارة والله خير الرازقين ٥ التفسير ٥ قوله تعالى يسبح
لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم اخبر تعالى
انه يسبح له ما في السموات وما في الارض من جميع المخلوقات ناطقها وصامتها فقال
وان من شيء الا يسبح بحمده وهذه السورة مدنية وهي احدى عشرة اية ٥ ومناسبتها
لسابقتها انه في اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح
في المستقبل فقال في اول هذه السورة يسبح لله بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح
في الزمن الحاضر والمستقبل ليدل على التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل واما
تعلق اول هذه باخر سابقتها انه تعالى ايد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار
وذلك على وفق الحكمة المحتاج اليه اذ هو غني على الاطلاق منزه عما يخطر ببال
الجهلة وفي اول هذه السورة ذكر ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته
العالية فمن اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم في تسبيح حضرة الله تعالى فله
الملك ولا ملك اعظم منه ولما كان الملك كله لله فهو الملك على الاطلاق ولما كان
الكل خلقه فهو المالك ولهذا قال الملك القدوس العزيز الذي عز فامتنع الحكيم
الذي انفرد باستحقاق الصفات بكماله ثم قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا

عليهم آياته ويزكيهم لما ذكر تعالى تنزيهه وسعة ملكه ونفوذ قدرته وحكمته
ذكر ما انعم به على هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعثته اليهم وتلاوته عليهم
كتابه وتزكيته لهم فصارت امته غالبة سائر الامم فاهره لمن عاندهم منتشرة الدعوة
كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم وقوله في الاميين الاميون هم العرب الذين لا يقرون
ولا يكتبون رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يقرا دلالة على
انه من الله يخبر لا عن كتاب يأخذ وقوله يتلوا عليهم اي على الاميين آياته اي آيات الله
الذي انزلها عليه وهو القرآن وقوله ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الكفر ويعلمهم الكتاب
والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وذلك ان العرب كانوا متمسكين بدين
ابرهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد
شركا وباليقين شكا وابتدعوا اشياء لم يأذن الله بها وكذلك اهل الكتابين قد
بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها واولوها فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق وفيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون
اليه من امر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم فيما يقربهم الى الجنة ورضى الله عنهم
والنهي عما يقربهم الى النار وسخط الله وهو حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك
والريب في الاصول والفروع وجمع تعالى له جميع المحاسن مما كان قبله واعطاه
ما لم يعط احدا من الاولين ولا يعطه احدا من الاخرين صلوات الله وسلامه عليه دائما
الى يوم الدين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم قال الامام ابو عبد الله
البخاري رحمه الله حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن ابي
الغيث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزلت
عليه سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فلم يراجعهم حتى سال
ثلاثا وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو
كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هولاء ورواه مسلم والترمذي والنسائي
وابن ابي حاتم وابن جرير من طرق ٥ وروى سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في اصلاب اصلاب رجال من امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب
ثم تلا هذه الاية ٥ وقوله وهو العزيز فلا يعترض عليه فيما يفعل الحكيم المصيب

فيما

فيما يفعله قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
[illegible] وجه الامتنان بان بعث نبيا اميا ما هو من ثلاثة اوجه احدها الموافقة
ما تقدم من بشارة الانبياء به الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم
الثالث لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي
تلاها وهذا دليل معجزته وصدق نبوته ٥ قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء حيث
الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل من الله يرتبه من يشاء حيث قال يتفاضل في
الوحي والنبوة ٥ وقيل انه المال ينفق في طاعة الله وقيل انه انقياد الناس لتصديق
النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته [illegible]
[illegible] هذا مثل ضرب لليهود لما تركوا العمل بالتوراة
ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التوراة اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس وقال
الجمهور حملوا من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التوراة وقوله ثم لم يحملوها
لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم واحدها
سفر قال الفراء هي الكتب العظام لانها تسفر عما فيها من المعاني اذا قريت والمعنى كان
الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرون التوراة ولا ينتفعون
بها لانهم خالفوا ما فيها وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه
ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولاء من جملتهم الكتاب الذي اوتوه
عرفوه لفظا لم يعرفوه فهما ولا عملوا بمقتضاه بل اولوه وحرفوه وبدلوه فهم اسوة
حالا من الحمير لان الحمير لا فهم لهم وهولاء لهم فهوم لم يستعملوها وهذا قال تعالى في اية اخرى
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ٥ وقال هاهنا بئس مثل القوم
الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين اي بئس مثل القوم المكذبين
الذين كذبوا بآيات الله بالذي جاء به والله تعالى لا يوفق القوم الذين ظلموا انفسهم
بكفرهم بآياته ٥ وروي انه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة
ليهود خيبر ان اتبعتموه اطعناكم وان خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن ابنا خليل الرحمن
ومنا الانبيا وعزير ابن الله ومتى كانت النبوة في العرب نحن احق بها من محمد ولا سبيل
الى اتباعه فنزلت قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس [illegible]

تمنوا الموت ان كنتم صادقين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود
ان كنتم تزعمون انكم على هدى وانا واصحابي على ضلال ان كنتم صادقين فيما تزعمونه فانكم
ظانين انكم اولياء الله من دون الاميين وغيرهم من ليس من بني اسرائيل فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين في قولكم فان الله لا يعذب اوليآه بل يكرمهم وينعمهم وايضا انتم تشتكوا
من كرب الدنيا وهمومها وتصيروا الى روح الجنان ونعيمها بالموت ۝ قوله تعالى ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين اي لا يتمنون الموت لما قدمت ايديهم
واسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان
قولهم وما ادعوه من الولاية قال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لو
تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب معجزة للنبي صلى
الله عليه وسلم وقد مضى الكلام في هذه الاية في سورة البقرة ۝ قوله تعالى قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وروى الامام احمد عن ابن عباس رضي الله قال قال ابو جهل
ان رايت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى اطأ على عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو فعل لاخذته الملائكة ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا وراوا مقاعدهم من النار ولو
خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا
اهلا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد
الكريم ورواه النسائي والترمذي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما سميت الجمعة جمعة
لانها مشتقة من الجمع وان اهل الاسلام يجتمعون فيه من كل اسبوع مرة وكان
هذه الجمعة اسقطها من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم كعب والد مرة
ابن غالب بن فهر بن مالك بن كنانة وكان كنيته ابو هصيص وسمي كعبا لارتفاعه
على قومه وشرفه فيهم وكان خطيبا بليغا وهو اول من قال في الخطبة اما بعد
واول من سمى الجمعة جمعة لان قومه كانوا يجتمعون اليه فيها فيخطبهم ويذكرهم
وكانت تسمى قبل ذلك العروبة قاله السهيلي وهو اول من سعر من العدنان
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان يذكر في خطبته النبي صلى الله عليه وسلم فكان

يقول

يقول ايها الناس اسمعوا وعوا وافهموا وتعلموا ليل ساج ونهار صاج والارض
مهاد والجبال اوتاد والسماء بنا والنجوم اعلام فصلوا ارحامكم واحفظوا
اصهاركم وثمروا اموالكم هل رايتم من هالك راجع او ميت انشر والدار امامكم
والظن غير ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه فسيكون له نبا عظيم ويخرج منه
نبي كريم ثم يقول
صروف رايت تقلب اهلها ۝ لها عقد ما يستحيل مريرها
على غفلة ياتي النبي محمد ۝ فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها
ثم يقول
يا ليتني شاهد فحواء دعوته ۝ حين العشيرة تبغي الحق خذلانا
وكان كعب يختم خطبته بهذا وكان كعب قد بلغ غاية الشرف في قومه وكان له من
الولد مرة وهصيص وبه تنمى عدي واليه ينسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن
اراد ان يطلع على نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الشريف المنيف فعليه بكتابنا
زهر الربيع في شواهد البديع وان رجعنا الى ما نحن بصدده ۝ قال السائب
بن يزيد كان للنبي صلى الله عليه وسلم اذان واحد على باب المسجد في يوم الجمعة وفي عهد
ابو داود وكان يزيد به على المنبر اذان زاده عثمان لانه على الزوراء ليسمع الناس
فامر الله تعالى المؤمنين عند سماع النداء يوم الجمعة السعي الى سماع الخطبة وترك
البيع والشراء في ذلك الوقت تعظيما لذكره جل جلاله والسعي في الاية ليس هو
الاسراع كما يسعى بين الصفا والمروة ۝ وعن قتادة والحسن ومالك وغيرهم انما
يؤتى الصلوة بالسكينة والوقار فالسعي هو النية والارادة والذكر والعمل فالقيام
والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي الى ذكر الله والمامور بالسعي هو المؤمن
الصحيح البالغ ولا جمعة على مسافر فان حضرها احسن واختلفوا في عدد
[illegible] قال الامام مالك ثلاثة اميال من منزل الساعي الى المنادي وقال
بعض اهل العلم يلزم السعي من خمسة اميال وقال الزهري من ستة اميال وقال
ايضا من اربعة اميال وقاله ابن المنكدر وقال ابن عمر وابن المسيب وابن حنبل يلزم
السعي من سمع النداء ۝ وقال الامام الاعظم ابو حنيفة ولا يلزم من منزله خارج
المدينة ولا يجوز لهم اقامتها لان من شرطها الجامع والسلطان القاهر والسوق
القايمة والذكر هو الخطبة قاله ابن المسيب ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة

على ابواب المسجد يكتبون الاول فالاول فاذا خرج الامام للخطبة طويت الصحف وجلست
الملائكة يستمعون الذكر والخطبة عند جمهور العلماء شرط في انعقاد الجمعة وقال
الحسن هي مستحبة ٥ وروى الامام احمد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا والذي يقول
له انصت ليس له جمعة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلوة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا
فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا ٥ وعن ابي قتادة قال بينما نحن نصلي مع النبي
صلى الله عليه وسلم اذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال ما شانكم قالوا استعجلنا
الى الصلوة قال فلا تفعلوا اذا اتيتم الصلوة فعليكم السكينة والوقار فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا اخرجاه ٥ قوله تعالى فَاِذَا قُضِيَتِ الصَّلوٰةُ فَانْتَشِرُوا
فِي الْاَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اجمع
الناس على ان مقتضى هذا الامر الاباحة وذلك قوله فابتغوا من فضل الله انه
الاباحة في طلب المعاش كما في قوله واذا حللتم فاصطادوا وانما ذكر البيع لانه
اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق اذ يكثر الوافدون من القرى ويجتمعون للتجارة
اذا تعالى النهار فامروا بالبدار الى تجارة الاخرة ونهوا عن تجارة الدنيا ووقت
التحريم من الزوال الى الفراغ من الصلوة قاله الضحاك والحسن وعطاء وقال
غيرهم من وقت اذان الخطبة الى الفراغ والاشارة بذلكم الى السعي وترك البيع
والامر بالانتشار والابتغاء امر اباحة كما تقدم وفضل الله هو ما ستته من حالة
حسنة كعيادة المريض وصلة الصديق واتباع جنازة واخذ بيع وشراء وتصرفات
دينية ودنيوية وامع ذلك ما كان ذكر الله وينبغي ان يكون بقية يوم الجمعة
في عبادة ٥ قوله تعالى وَاِذَا رَاَوْا تِجَارَةً اَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا اِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
قَائِمًا سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب
وكان بالمدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بعير تحمل ميرة وكان عرفهم ان يدخل
العير بالطبل والمعازف والصياح من رآها فدخلت بذلك فانفضوا الى رؤية
ذلك وسماعه وتركوه صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر في اثني عشر رجلا قال

جابر

جابر بن عبد الله انا احدهم ولم يبرز نسبتهم الا اني سمعت انه يقول لهم العشرة المشهود
لهم بالجنة واختلف في كمال عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل عبد الله بن مسعود
وقيل ابن عباس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده
لو تتابعتم حتى لم يبق احد لسال بكم الوادي نارا ٥ قوله تعالى قُلْ مَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ
مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللّٰهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ اي الذي عند الله لهم من الجزا خير
مما ذهبوا اليه والخير الذي عند الله لهم من الدنيا والاخرة ومناسبتها لقوله
والله خير الرازقين لانهم كانوا قد مسهم شيء من غلاء الاسعار كما تقدم في سبب
النزول ولله الحمد والمنة وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
[illegible] انت الفتاح العليم خلقت الخلق بديع صنعك ورزقتهم
بمنك وفضلك ٥ فلا خالق غيرك ولا رازق سواك فليس الكسب بالجهد من نيلك
وعطاياك فكم من مجتهد في سعيه محروم وكم من متوكل منعم مكرم ارجوك
لفاقتي وفقري فارزقني بقوتك فانت الرزاق ذو القوة المتين وارزقني من خيرك
فانت خير الرازقين ها قد قصدتك وبالفاقة اعلمني انك جابر كسري وتوجهت
اليك مضطر العلم انك منتشر فقري بحق السر الذي ناط ما سمك الخلاق خير
خلقي وظني بحق السر الذي ناط ما سمك الرزاق وسع علي ورزقي اللهم اسالك
بفضلك ورحمتك ومنك ورافتك وبمحمد حبيبك وصفوتك ونبيك صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم ان ترزقني رزقا واسعا طيبا يسعفني ويسع من وكلته الي
وترضيني وترضى عني وتقر عيني بطاعتك واعني على القيام بعبادتك واغفر
لي ولوالدي وللمسلمين والحمد لله رب العالمين ٥

سورة المنافقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله انهم
ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم
خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اَنّٰى

يؤفكون وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون
وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله
لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله
خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك
هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب
لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها
والله خبير بما تعملون ۝ التفسير ۝ قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون هذه السورة مدنية وهي إحدى عشرة آية ومناسبة هذه السورة لسابقتها
أنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا من المنافقين واتبعهم
ناس كثير من المؤمنين في ذلك وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة لأنه كان وقت
مجاعة جاء في هذه ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان وأتبعه بقبائح
أفعالهم وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا إذ كانوا هم أصحاب
أموال والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وديارهم مهاجرين لله ورسوله
وسبب نزولها ذكره المفسرون في قصة مطولة ملخصها أن مضمونها أنها نزلت في
غزوة بني المصطلق كانت من عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه فيها أقوال والمعنى أي
إذا جاءك المنافقون قالوا بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في أقوالهم عن أنفسهم وذلك لأنهم لا
يعتقدون رسالة رسول الله ولا يؤمنون به فهم كاذبون في خبرهم وإنما سمي الكفر
كذبا لأنهم قالوا ما لا يعتقدونه فهم كاذبون في الحقيقة وإن كان مطابقا للخارج
فهم لا يعتقدون صحة ما يقولون ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم ۝ قوله تعالى
اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون أي اتخذوا
الحلف الباطل سترة يستترون بها كما يستتر المجن بجنته في الحرب والقتال وسمى الله

شهادتهم

شهادتهم الكاذبة أيمانا [illegible] أي فأعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه وشريعته
التي شرعها لخلقه إنهم ساء ما اتخذوه من أيمانهم الباطلة وأعمالهم الخبيثة ۝ قوله
تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون صوابا
من خطأ ولا حقا من باطل فطبع الله على قلوبهم أي قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان
إلى الكفر واستبدالهم الضلالة بالهدى فهم لا يفقهون لطبع الله على قلوبهم وصانوا
أنفسهم وأموالهم بالإيمان الباطل وتستروا بها كما قال الشاعر

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا ۝ لصون دمائهم أن لا تسالا ۝

قوله تعالى وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم أي حسن
أجسامهم ونضارتها لأنهم كانوا أشكالا حسنة وذوي ألسنة فصيحة ولهم جمال الزي
والخطاب للرسول والسامع إذا سمعهم يصغي إلى قولهم لفصاحتهم وبلاغتهم ۝ قوله تعالى
كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم
أي يكونون شبهوا بالخشب لخلو بواطنهم وفراغ قلوبهم من الإيمان ولم يكتف بتشبيههم
بالخشب لخلوها وصلابتها وفراغ ظهورهم من الإيمان ولم يكتف حتى جعلها مسندة إلى حائط
لا انتفاع بها لأنها إذا كانت في سقف أو حمل عليها ما ينتفع به كسقيفة أو مظلة فكانت
مما ينتفع بها بخلاف أن يكون مهملة مسندة إلى الحيطان أو ملقاة على الأرض أو شبهوا
بالأصنام لأنهم كانوا يسندونها إلى الحيطان ثم وصفهم الله بالجبن والخور وهم
في غاية الضعف والهلع والجزع ولهذا قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
أي يحسبون أن كل صائح صاح وهاتف يهتف عليهم وأنهم هم المقصود ولهذا أخذ
جرير هذا المعنى فقال ۝ ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ۝ خيلا تكر عليهم ورجالا ۝
وقال عبيد بن أيوب ۝ لقد خفت حتى لو تمر حمامة ۝ لقلت عدوا وطليعة معشر ۝
وقال ابن جريج كلما نزل القرآن خشوا أن يكون فيهم وعليهم بما عملوا من الغش والعداوة
للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كلما تفلتت دابة في العسكر أو سمعوا نداء ظنوا أنهم
يرادون ويريد الشاعر في قوله ۝ يروعه السرار بكل أرض ۝ مخافة أن يكون به السرار ۝
وقوله هم العدو أي الأعداء لك ولأهل دينك ثم قال فاحذرهم لأنهم ينقلون الأسرار إلى
الكفار ويحثون على غدرك واغتيالك من أهل الإيمان قوله تعالى قاتلهم الله أنى يؤفكون أي أهلكهم

ولعنهم كيف يصرفون عن الحق مع وضوح دلايله فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا
يبيح به دماهم ويهتك به استارهم ثم وصفهم الله تعالى بالعداوة وقال هم العدو
فاحذرهم قاله عبد الرحمن بن ابي حاتم اى فاحذر ان تثق بقولهم او تميل اليهم قاتلهم الله
قال ابن عباس اى لعنهم وقال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله
ما احسنه وقيل معنى قاتلهم الله اى احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل
معاند وقوله انى يوفكون قال ابن عباس اى يكذبون وقال قتادة انى يعدلون عن الحق
وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم مع هذا الوضوح
والدلايل وهو من الافك * قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول
الله لووا روسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون روى انه لما نزل القران
بصفتهم مشى اليهم عشايرهم فقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا روسهم اى حركوها استهزا وابا قاله
ابن عباس وقال المفسرون سبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم
غزا بني المصطلق على ما يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير
لعمر يقال له جهجاه وحليف لعبد الله بن ابي يقال له سنان فصرخ جهجاه بالمهاجرين
وصرخ سنان بالانصار فلطم جهجاه سنانا فحمل الخبر الى عبد الله بن ابي فقال اوقد
فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فقيل له قد نزلت فيك ايات فاذهب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلعه على ذنبك واساله يستغفر لك فلوى راسه
وقال امرتموني ان اومن فقد امنت وامرتموني ان اعطي زكوة مالي فقد اعطيت فما بقي
الا ان اسجد لمحمد فنزلت ورايتهم يصدون وهم مستكبرون اي يعرضون عما دعوا اليه
وهم مستكبرون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون عن المصير الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين قال عطا بن ابي مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
مقاما خطبة سبقه عبد الله بن ابي الى المقام فيقول للناس هذا رسول الله اكرمكم
الله به فاعزروه وانصروه ووقروه فقال يوما نحو هذا فجبهه المسلمون من كل وجه

وقال لعمر اتحدّه منافق وقام يسعى متوجها نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اين تريد قال اريد هذا المنافق لاقتله فقال صلى الله عليه وسلم احسن جواره
حتى يفارقنا فرجع عبد الله فاستقبله بنو عمه فقالوا له ما اخرجك فقال ابيت
لاشد امره فجبهني اصحابه وقالوا بي عمرو ما قال فقالوا له ارجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستغفره الله يغفر لك رسول الله فقال اما اني لا استغفر له ان لم يستغفر
فانزل الله تعالى سواء عليهم الاية * قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا سبب نزولها ما رواه البخاري عن زيد بن ارقم
قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت لعمي فذكر
عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله
بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني
هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاك المنافقون الى قوله هم
الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها
الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى
الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا
اناس من الاعراب فكنا نبتدر الما وكان الاعراب يسبقونا فسبق اعرابي اصحابه
فملا الحوض وجعل حوله حجارة وجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه فاتى رجل
من الانصار فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الما فرفع
الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنا فقين
فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله
يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام ثم قال
لاصحابه لين رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت
عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذبني فجا عمي الي فقال ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك

وصدق المنافقون فانه وقع من جرايهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد خفقت راسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني
فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما قال لي شيا الا انه عرك اذني
وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا حديث حسن
صحيح ٥ وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ٥ وروى عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت
فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر
واذا خاصم فجر ٥ وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد
انجز واذا ائتمن وفى ٥ قوله تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين
لا يفقهون اي يعلم ان الله لا يغني المؤمنين عن المناصر وسائر الكفار لله جل وعلا
تعبد المؤمنين بالصبر على الضيق وكلف المنافقين الانفاق عليهم ارغاما لهم وتشديدا
عليهم وقوله ولكن المنافقين لا يفقهون اي لا يفقهون وجوه حكمته ٥ قوله تعالى
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون اعلم ان من كانت له خزائن السموات
والارض من شي وبيده مفاتيحها من ذلك لا يقدر احد يعطي احدا شيا الا باذنه
ولا ان يمنع احدا شيا الا بمشيته ولكن المنافقين لا يفقهون فلذلك يقولون
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي لا تطعموا محمدا واصحابه حتى تصيبهم
مجاعة فيتركوا نبيهم ٥ ويروى ان عبد الله ولد عبد الله بن ابي لما سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يتلو سورة المنافقين وقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة
الاية جا الى ابيه فقال انت والله يا ابت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
العزيز فلما دنا عبد الله بن عبد الله بن ابي من المدينة جرد سيفه ومنع اباه

الدخول

الدخول حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما قال له والله لا تدخلها حتى
يقول رسول الله الاعز وانا الاذل ٥ وفي الحديث وكان فيما قال له والله لا تدخلها حتى
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل ٥ وفي الحديث انه قال لئن تقر
لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك قال افاعل انت قال نعم قال اشهد ان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين ثم حبسه عن الدخول حتى جا رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن
له بتخليته ٥ ويروى ان عبد الله بن عبد الله بن ابي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله بلغني انك تريد قتل ابي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني احمل
اليك براسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالده مني واني اخشى ان تامر
به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل ابي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل
النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وكان بعد
ذلك اذا احدث حدثا عنفه قومه وتوعدوه ٥ قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي لا يشغلكم اموالكم بالسعي في نمائها والالتذاذ بجمعها
ولا اولادكم بسروركم بهم وبالنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم عن ذكر الله هذا
عن الصلاة والثناء على الله بالتسبيح والتحميد والتقديس والدعاء وغير ذلك ٥ وقال
الضحاك وعطاء الذكر هنا الصلاة المكتوبة ٥ وقال الحسن جميع الفرائض ٥ وقال
الكلبي الجهاد مع الرسول وقيل القران [illegible]
حيث اثروا العاجل على الاجل خسروا انفسهم باشتغالهم بالفاني عن الباقي قوله
تعالى وانفقوا [illegible]
[illegible] قال ابن عباس قوله وانفقوا
مما رزقناكم يريد زكاة الاموال وقوله من قبل ان ياتي احدكم الموت هذا دليل على تعجيل
اخراج الزكاة ولا يجوز التاخير اصلا وكذلك سائر العبادات اذا دخل وقتها
واعلم ان كل مفرط يندم عند الاحتضار ويسال طول المدة ولو شيا يسيرا ليستدرك
ما فاته وهيهات وكان ما كان وكل يحسب تفريطه ما [illegible] فكما قال تعالى وانذر
الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك

ونبع الرسل او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وقال تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون
فالله جل جلاله قدر لنا اجالا لا نعدوها اذا استوفيناها وهذه حكمة الله البالغة
في سائر خلقه ولهذا قال كل نفس ذائقة الموت وقال كل شيء هالك الا وجهه مما ...
قد قدمت في القول هذه حكمة الله البالغة فما الحكمة في الموت ما ... حكمة الله عز
وجل تعدد الى وجوه عديدة احدها ان الموت قنطرة للاخرة ولا بد للعبور من قنطرة قال
تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الثاني ان الموت دليل على بقاء الله تعالى لانه تعالى قال
كل من عليها فان الثالث انه دليل على قدرة الله تعالى لقوله خلق الموت والحياة
ليبلوكم ايكم احسن عملا الرابع مجازاة كل من الفريقين الخامس قهر الجبابرة
والمتكبرين السادس ... للفقراء ان غيرهم لا ينظم الا بالموت السابع لا يجد طعم
الماء العذب من لم يشرب الملح الزعاق فلذلك الموت لا يجد حلاوة الجنة ولذة الاخرة
الا بمرارة الموت الثامن فيه استراحة نفس المؤمن من الاعمال الشاقة التاسع خلاص
روح المؤمن من السجن العاشر فيه عبرة للاحياء ... فاذا كان في الموت هذه
اللطائف فما وجه كراهتنا للموت له فالجواب ان المؤمن وجد لذة الخدمة في جنانه
فلا يريد ان يفارقها وفي خبر ان الناس بكى عند الموت فاوحى الله اليه وهو اعلم
لم تجزع من الموت قال لا يا رب ولكن غيرة ان يذكرك غيري ولا اقدر على ذلك وايضا
لان الروح الفتها الجثة واستانست بها فيحزن الفراق ويكون السبق للروح الى مولاها
والجثة مشتاقة الى روحها فالكراهة وقعت من جهة تفارقهما لا من جهة الموت
واما العصاة فيكرهون الموت لثلاثة اشياء احدها خجلتهم من الله عند لقائه بما ارتكبوه
من افعالهم الثاني انه لم يجد له من شفيع ولا صديق حميم الثالث خوفه مما هو
لاقيه بعد الموت لانه ما دام في الدنيا فهو آمن فاذا مات فتحت عليه ابواب
الخوف وايضا لانه خرب اخرته وعمر دنياه فهو يومئذ يكره تحوله من العمران الى
الخراب قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون اي
لا انظار بعد حلول الاجل ولا تاخير فاخبر الله تعالى عمن طلب الرجعة ولو ردوا

لعادوا لما نهوا عنه اي لو ردوا لعادوا الى شر ما كانوا عليه ولهذا قال والله خبير
بما تعملونه روى ابو عيسى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من كان له مال يبلغه
حج بيت ربه او تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن
عباس اتق الله فانما يسال الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون
قال الرجل صدق الله العظيم وصدق جبريل عليه السلام وصدق محمد صلى الله عليه وسلم
وصدقت ولهذا القدر كاف ولو بسطنا القول في هذا لطال ... العمر وكان ...
الاجل فارشدنا الى احسن العمل حتى نلقاك وانت راض عنا واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين
وتقبل منا وحقق لنا امالنا ولا تواخذنا بفعالنا وارحمنا اجمعين وصلى الله على
سيدنا محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض
بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا
من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم
الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله
يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
التفسير قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير هذه السورة مدنية في قول الاكثرين وقال
ابن عباس مكية الا ثلاث ايات من اخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثماني عشرة اية وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك
رأسه خمس ايات من فاتحة رأس التغابن ومناسبة هذه السورة لسابقتها لان تلك سورة
السورة اشتملت على حال المنافقين وفي اخرها خطاب المؤمنين فاتبعه بما يناسبه
من قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهذا تقسيم في الايمان والكفر
بالنظر الى الاكتساب عند جماعة من المتأولين كقوله كل مولود يولد على الفطرة
وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال ابو عبد الله الرازي في مناسبتها
ان تلك السورة في المنافقين الكاذبين وهذه السورة للموافقين الصادقين وايضا
فان تلك السورة مشتملة على ذكر النفاق سرا وعلانية وهذه السورة مشتملة على

التهديد

التهديد البالغ لهم عن ذلك وهو قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم
بذات الصدور وأما تعلق الأول بالآخر فلأن في اخر التي قبلها التنبيه على الذكر
والشكر كما تقدم في اخر المتقدمة وفي اول هذه السورة اشارة الى ان في الناس اقواما
يواظبون على الذكر والشكر دائما وهم الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما في السموات
وما في الارض والمعنى اي يسبح له ما في السموات بالتسبيح وما في الارض تعظيما له واجلالا لا
لذاته قوله تعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اي له ملك
السموات والارض فالسموات والارض ملكه وسلطانه ماض قضاؤه نافذ امره فله حمد
كل من فيهما لان جميع من في السموات والارض لا يصل الخير الا منه وليس لهم معبود سواه
فله حمد جميعهم وهو على كل شيء قدير وقدرته تخلق ما يشاء ويميت من يشاء ويغني من
يشاء ويفقر من يشاء ولهذا قال [illegible] فمنكم كافر ومنكم مؤمن اي هو الخالق
لكم على هذه الصفة فلا بد من وجود مؤمن وكافر لهذا قال والله بما تعملون بصير
اي بصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو شهيد على اعمال عباده فان
قيل لم قدم الكافر في الذكر على المؤمن فالجواب ليس في تقديم الكافر على المؤمن
افضلية كما قدمنا في اللفظ الخبر على الاسم ليس تقديمهم تقديم افضلية بل الكفار اكثر
من المؤمنين ودل انه لا تسوية بينهما كما انه ليس بين الجنة والنار منزل ولا بين الطاعة
والمعصية عمل وليس بين الكفر والاسلام اسم اي فمنكم كافر في علم الله في الازل ومنكم
مؤمن في علم الله في الازل والله بما تعملون بصير يجزي كلا على وفق عمله قوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق [illegible] لانه تعالى خلق السموات والارض بالعدل والانصاف
لا بقوله بالحق اي بالحكمة البالغة ثم قال تعالى وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير
يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون قوله وصوركم
فاحسن صوركم اي احسن اشكالكم كما قال تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك وكقوله الذي جعل لكم الارض قرارا
والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات الاية وقوله واليه المصير
اي المرجع والمآب وذكر ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق
الله فرعون في البطن كافرا وخلق يحيى بن زكريا مؤمنا وعن عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر

بالله مؤمن بالكوكب ومؤمن بالله كافر بالكوكب وقدم الكافر لكثرته ولهذا قال وقليل
من عبادي الشكور وحين ذكر الصالحين قال تعالى وقليل ما هم ه وقال الزمخشري فمنكم
آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم
اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد فكان
يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين انتهى وهو على طريقة
مذهبه ه وقوله وصوركم فاحسن صوركم وهذا من تعديد النعم في حسن خلقه
الانسان لان اعضاء بني ادم متصرفة بجميع ما يتصرف به اعضاء الحيوان وبزيادات
كثيرة فضل بها ثم هو منفصل بحسن الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وقيل النعمة هنا انما هي صورة الانسان من حيث هو
انسان مدرك عاقل والحقيقة كالات كثيرة ولا تكاد تعرف الصورة الا بالشكل
لا المعنى القائم بالصورة ثم قد تعالى بعلمه بما في السموات والارض ثم بعلمه بما يسرون
وما يعلنونه ثم قال والله عليم بذات الصدور اي يعلم ما اكنته صدورهم
من خفي الاشياء وكامنها وهذا كله في معنى الوعيد اذ هو تعالى المجازي على جميع
ذلك بالثواب والعقاب ثم قال تعالى الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل يخاطب
مشركي قريش يذكرهم بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابرهيم وغيرهم من الامم
الماضية ممن صرح الله بذكرهم في سورة براءة وغيرها وقد سمعت قريش اخبارهم فذاقوا
وبال امرهم ولهم عذاب اليم وهذا اخبار من الله عز وجل عن الامم الماضية وما
حل بهم من العذاب والنكال في الدنيا لما خالفوا الرسل وكذبوا بالحق فقال تعالى الم
يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل اي خبرهم وما كان من امرهم فذاقوا وبال امرهم وهو
ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ولهم عذاب اليم في الدار الاخرة زيادة على
العذاب المتقدم ثم علل ذلك فقال ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
اي بالحجج والدلائل والبراهين فقالوا ابشر يهدوننا اي استبعدوا ان تكون
الرسالة في البشر وان يكون هداهم على يدي بشر مثلهم كما استبعدت قريش
فقالوا على سبيل الاستغراب فقالوا ابشر يهدوننا وذلك انهم يقولون نحن مستوون

في البشرية

في البشرية فانى يكون لهم علينا فضل حتى يصيرون هداة لنا فكفروا وتولوا اي
كفروا بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء من عباده
[illegible] قوله فكفروا انبئهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره [illegible] قال فخر الدين
الرازي بانهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا
هو التولي وكانهم كفروا وانكروا لو افتروا لا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا ه وقيل
كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة ه قوله تعالى
واستغنى الله [illegible] اي استغنى بسلطانه عن طاعة عباده والله تعالى لم يزل
غنيا ولهذا قال والله الغني الحميد ه قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا يخبر تعالى
عن انكار زعم الكفار ان لن يبعثوا بما فيه تكذيبهم في ابطال الجزاء علما بان المعلوم
انه كاذب منهم بما يكون من الاعادة قل بلى وربي لتبعثن اعلم ان الزعم هو القول بالظن ه
وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلوة والسلام زعموا مطية
الكذب ه وقال القاضي شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ه قيل نزلت في
العاص بن وائل السهمي مع خباب كما تقدم ه قوله تعالى وذلك على الله يسير اي لتخبرن
من جميع ما عملتم وهذه هي الاية الثالثة التي امر الله رسوله ان يقسم بربه عز وجل على
وقوع المعاد ووجوده فالاولى في سورة يونس وهي قوله ويستنبئونك احق هو قل اي
وربي انه لحق وما انتم بمعجزين والثانية في سورة سبا وهي قوله تعالى وقال
الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير اي امنوا بالله
وبرسوله وبالقران الذي يستضاء به من ظلمة الضلالة ويهتدى به لمصالح الدين ثلاثة وقد
في الدنيا وبالدار كم وفي الاخرة العذاب الاليم وقوله والله بما تعملون خبير اي عالم
به يجازيكم عليه يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن اي يوم القيمة يجمع
الله الاولين والاخرين والجن والانس والملائكة اهل السماء واهل الارض وسائر الحيوان ت
ويقتص للجماء من القرناء وقوله ذلك يوم التغابن اي يوم تفاوت الاجور وذلك
لان اهل الجنة واهل النار كلا الفريقين قد اعطوا في الدنيا سلامة الالات فاستعمل
الفريق الواحد قوته فيما استجلب به الجنان واستعملها الاخر فيما اكتسب به النيران

نفسين الاول الثاني كما يخرج الرجلان في سفر للتجارة فيبيع احدهما بوكس وخسران
ويشتري الاخر ما له ما يربح فيه فيقول الخاسر للرابح قد غبنتني فكان التغابن هو
التطاول بما المغبون بها الغابن وقال بعض اهل الرواية والنقل ما من احد الا وله منزل
في الجنة ومنزل في النار فان كان من اهل النار صير منزله في الجنة لغيره وان كان من
اهل الجنة صير منزله في النار لغيره وعلى هذا حمل اهل الرواية اوليك هم الخاسرون
اوليك هم الوارثون والاية عند اهل التحقيق ليس هو على ظاهره ان يكون له ثم يصير
لغيره لكنه يعد كل عبد منزل في الجنة ان امن كان له وان لم يومن لم يكن له ويعد كل عبد
بيت في النار ان كفر كان له وان لم يكفر لم يكن له والله تعالى عالم في الازل من يومن ومن يكفر
لا يبدل علمه ولا يتغير حكمه وانما الاشتباه على خلقه والدنيا متجر ويظهر الربح
والخسران في الاخرة وهو ما ذكره بعده [illegible]
[illegible] جنات تجري [illegible] تحتها الانهار [illegible]
[illegible] وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير
قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك
يوم مشهود وقال تعالى قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم
وقوله ذلك يوم التغابن قال ابن عباس هو اسم من اسماء يوم القيمة وذلك ان اهل
الجنة يغبنون اهل النار وقال قتادة ومجاهد ومقاتل بن حيان لا غبن
ان يدخل هولاء الجنة ويذهب باوليك الى النار [illegible] في معاملة وقعت بينهما
حتى يقع الغبن فيها [illegible] هو تمثيل الغبن في الشرا والبيع كقوله اوليك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة
بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة
اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع
مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار
وقال قتادة التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل
علم علما لم ينفعه بل عمل به فنجي به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح
به وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث وذلك الوارث

لاحساب

لا حساب عليه فعمل فيه الوارث بطاعة ربه فراح الاول الى النار والثاني الى الجنة وان
كان له عبد يعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول الله
تعالى لهما قولا ما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حلال
وحرام وهولاء الخصوم يطلبون ذلك مني ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب وما عسى
ان اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا
وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيومر به الى النار ويومر بها الى الجنة فتطلع عليه
من طبقات الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت به فذلك يوم التغابن
وقد فسر ذلك بقوله ومن يومن بالله ويعمل صالحا الاية تقدم تفسيرها غير مرة
وقوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اوليك اصحاب النار خالدين فيها
وبيس المصير قال فخر الدين الرازي فان قيل قال الله تعالى في حق المومنين ومن يومن
بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير
الكلام ومن يومن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يومن منهم
اوليك اصحاب النار [illegible] قال تعالى من يومن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع
[illegible] ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى فان قيل ما الحكمة في قوله
وبيس المصير بعد قوله خالدين فيها والخلود فيها بيس المصير فالجواب ان ذلك وان
كان في معناه فلا بد من التصريح بما يوكده فقوله وبيس المصير تاكيد له اي خالدين في
الجحيم ابد الابدين حكم عليهم بها الولي القديم بالتابيد فيها وهي بيس المصير ثم اخبر
ان ما اصاب العبد من مصيبة فهو الذي قدرها فيه وقضاها عليه بقوله تعالى
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شي
عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله
لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما
اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا
واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون

تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم
عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۝ التفسير قوله تعالى
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله وجه المناسبة للاية السابقة لما اخبر تعالى عن
المومنين وافعالهم وما آلوا اليه من النعيم في الجنات التي تجري من تحتها الانهار واخبر
ايضا عن الذين كفروا واعمالهم وما الوا اليه من الجحيم والعذاب في النار ذكر هنا ان كلما
اصاب الانسان من مصيبة باذنه وقضائه وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله
والخاص اطلاق المصيبة على الرزية وما يسوء العبد في نفس او مال او ولد او قول او
فعل وخصت المصيبة بالذكر وان كان جميع الحوادث لا تصيب الا باذن الله لانهم بعض
المشركين ان الايمان لو كان حقا لسلم المومنون من المصائب في ابدانهم واموالهم ولهذا
قال تعالى ما معناه ما اصاب العباد من مصيبة الا بعلم الله وبقضائه ومشيئته وقد
يصيب المومنين المصائب استصلاحا لحالهم وامتحانا لصبرهم وتكثيرا لمثوباتهم
ونظيرتها في سورة الحديد ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبراها قوله تعالى ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم اي ومن
اصابته مصيبة وعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله
هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف
عليه ما اخذ منه خيرا منه ۝ وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن يومن
بالله يهد قلبه اي يهد قلبه لليقين الصادق فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وقرا علقمة هذه الاية ومن يومن بالله يهد قلبه فسئل عن ذلك فقال هو الرجل
تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ۝
وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ومن يومن بالله يهد قلبه يعني يسترجع ويقول
انا لله وانا اليه راجعون وقوله والله بكل شيء عليم تقدم تفسيره ۝ قوله تعالى
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين امر بطاعته وطاعة رسوله فيما شرع اي في كل امر ونهي من الايمان والجهاد والهجرة
وغير ذلك وقيل في قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصائب
فليس على الرسول الا البلاغ المبين وقيل ان تكلتم عن العمل فانما عليه ما حمل من
البلاغ

البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة وقال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول
البلاغ وعلينا التسليم الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قال
الزمخشري هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل حتى ينصره على من كذبه
وتولى عنه لانه هو الله لا اله الا هو لا معبود سواه ولا خالق غيره ۝ وقال فخر الدين الرازي
قوله لا اله الا هو يحتمل ان يكون من جملة ما تقدم من الاوصاف الحميدة من قوله له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير فان من كان موصوفا بهذه الصفات فهو الذي لا اله الا هو ۝ قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن
عباس نزلت في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله
وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن
كلها بمكة الا هولاء الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد فاذا اراد الغزو بكوه ورققوه فيرق فيقيم
فنزلت هذه الاية الى اخر السورة بالمدينة ۝ وروى الترمذي عن ابن عباس انه سئل عن
هذه الاية فقال هولاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا المهاجرة فابى ازواجهم واولادهم
ان يدعوهم يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس
قد تفقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله هذه الاية حديث حسن صحيح قال وجه
ابن العربي هذا يبين العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته وانما كان عدوا بفعله
فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد
وبين الطاعة ۝ وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتومن وتذر دينك ودين ابايك فخالفه
فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر
ثم قعد له على طريق الجهاد فقال اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساوك ويقسم مالك
فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما
ما يكون بالوسوسة والثاني ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال
تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ۝ قوله تعالى
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم امر الله تعالى بالعفو والصفح والغفران

للاهل او الولد المنبسطين وفي الاية في الازواج والاولاد الذين هم لنا ردوهم عدوا له
يلحقه في الدين ولذلك قال من ازواجكم واولادكم بكلمة من وهي للتبعيض والمؤمنون
خارجون عن هذا الوصف قوله تعالى
عنده اجر عظيم اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم
في معصية وقال الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء
ولم يذكر من في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال
القلب بهما وروى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى
الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما
اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت
حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته قوله تعالى والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فلا
اعظم اجرا منها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا قال قتادة
والربيع بن انس والسدي وابن زيد هذه الاية ناسخة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته قال جاء امر شديد ومن يعرف قدر هذا ويبلغه فلما علم الله تعالى ان ذلك
قد اشتد عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاية فقال اتقوا الله ما استطعتم
وقال ابن عباس الاولى محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده
ولا تاخذن في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابائهم وابنائهم
فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر بالتقوى حق
تقاته مطلقا من غير تخصيص ولا مشروط بشرط والامر باتقائه بشرط الاستطاعة
... ان قوله فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه
فيما جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب
لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم تستطيعون
وذلك ان الله تعالى قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر
انه قد عفى عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك

معنى قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم
واولادكم ويدل على صحة هذا قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التاويل ان هذه الايات
نزلت بسبب قوم ابوا وتاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم
اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله فاتقوا الله ما
استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله اتقوا الله حق تقاته اشتد
على القوم فقاموا حتى تورمت اقدامهم وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا
عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا
النقل لان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها وقوله
واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا ما تؤمرون به وتنهون عنه
وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع
واطيعوا الرسول فيما امركم او نهاكم وقيل معنى واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون
وعبر عنه بالسماع لانه فائدته قوله تعالى ... قال ابن عباس
هي الزكاة وقيل هي النفقة في النفل وقال الضحاك هي النفقة في الجهاد وقال
الحسن هي نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قائل هذا قوله لانفسكم
وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقة على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وكل ما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه
والصحيح انها عامة وقوله خيرا لانفسكم اي وابذلوا ما رزقكم الله على الاقارب
والفقراء والمساكين وذوي الحاجات واحسنوا الى خلق الله كما احسن الله اليكم
يكن خيرا لكم في الدنيا والاخرة ...
تقدم تفسيره في سورة الحشر ولله الفضل والمنة قوله تعالى ...
... وتقدم تفسير
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم في سورة البقرة والحديد وقوله ويغفر
لكم والله شكور تقدم معنى الشكر في سورة البقرة والحليم الذي لا يعجل وقال
بعضهم القرض الحسن هو التصدق من الحلال وقيل التصدق بطيب النفس والقرض

هو الذي يرجى بدله ۞ قوله تعالى عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ومناسب
قوله والله شكور حليم لهذه الآية ان الشكور يجزي على القليل بالكثير والحليم يصفح ويغفر
ويتجاوز عن الذنوب وقوله عالم الغيب والشهادة تقدم تفسيره غير مرة وآخر في سورة
التغابن والحمد لله وحده ۞ اللهم انت الشكور شكرت عبادك على ما وفقتهم ۞ ورضيت
بقليل طاعتهم مع جزيل ما منحتهم فجازيت بيسير الطاعات علو الدرجات ابتدأت
بالنعم وتركت حقك بالكرم وتممت بفضلك عظيم النعم يا حليم تطرف فتستر
وقدرت فامهلت فحلمك حاف بالعصاة والطائعين وعفوك ورحمتك تسع جميعها
جميع المذنبين فالسعيد من بالحلم الذي امسكت به غضبك ثم تغفر له
والشقي من امهلته بحلمك ثم اوردته دار عقوبتك اسالك اللهم ان تصلي على
محمد وعلى آل محمد وان تغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين

سورة الطلاق بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله
ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي
عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن
لكم فآتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع
له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ۞ التفسير قوله

تعالى

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله
ربكم هذه السورة مدنية وهي اثنتا عشرة آية عند الجميع الا البصري فانه عدها
احدى عشرة آية ۞ ومناسبتها لسابقتها انه تعالى لما ذكر الفتنة بالمال والولد اشار
الى الفتنة بالنساء وانهن قد يعرضن الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصا منها الا بالطلاق
فذكر تعالى انه ينفصل منهن على الوجه الجميل وقال فخر الدين الرازي رحمه الله ووجه مناسبة
ان تعلق هذه السورة باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في آخر التي قبلها الى كمال علمه بقوله
عالم الغيب والشهادة وقال في اول هذه السورة على علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة
بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات انتهى ۞ وقال النسفي في مناسبته ان
الله تعالى ختم تلك السورة بثناية وافتتح هذه السورة بندائه لنبيه صلى الله عليه وسلم
وانتظام السورتين في ذكر الازواج والرجال وختمها بدلائل التوحيد انتهى ۞ وقيل في
خطابه جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم لان هذه السورة مفتتحة بخطابه خوطب
بلفظ الجمع تعظيما له ۞ الثاني انه خطاب له ولامته فالخطاب له قوله يا ايها النبي
والخطاب لامته قوله اذا طلقتم النساء ۞ والثالث انه خطاب لامته فقط بعد ندائه
عليه الصلوة والسلام وهذا من تلون الخطاب خاطب امته بعد ان خاطبه ۞ الرابع
انه على اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم ۞ الخامس قال الزمخشري خص
النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال
لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه
مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو
وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم انتهى وهذا كلام حسن ۞ وروى ابن ماجه عن
ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة
ثم راجعها ۞ وعن انس رضي الله عنه قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة
رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري
والثعلبي وزاد القشيري ونزل في خروجها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ۞ وقال
الكلبي سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر

ابنها حدثنا فاطهرته لعاينته وطلقها تطليقة فنزلت ٥ وقال السدي نزلت في عبد الله
بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها
فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وقيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان
فنزلت الاية فيهم ٥ وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق ٥ وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا
ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش ٥ وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات
وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف
به الا منافقا ٥ وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شياء
ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثناء له
واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناوه ولا طلاق عليه ٥ وعن معاذ بن جبل ان شا الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق
واستثنى فله ثنياه ٥ وقال ابن المنذر اختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت
طايفة بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال اصحابنا وبه قال حماد الكوفي والامام الشافعي
وابو ثور ٥ وقال الامام ملك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق والعتق ٥ وقال قتادة
لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة ٥ وقال ابن المنذر وبالقول الاول اقول ٥ وروى الدارقطني
عن ابن عباس انه قال الطلاق على اربعة اوجه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال
فان يطلقها طاهرا من غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها
حايضا او يطلقها حين يجامعها لا يدري ايشتمل الرحم على ولد ام لا ٥ وقوله فطلقوهن لعدتهن
واحصوا العدة يقتضي انهن اللاتي دخل بهن الازواج لان غير المدخول بها خارجة بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها والاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه ففي

قوله

قوله لعدتهن اي لطهورهن ٥ ومن طلق في طهر جامع فيه بعد طلاقه واخطا السنة ٥
وقوله واحصوا العدة اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق وامر باحصا العدة لتفريق
الطلاق على الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة ومراعاة امر
النفقة والسكنى وفي المخاطب بالاحصا اقوال احدها انهم الازواج والثاني هم الزوجات
والثالث هم عامة المسلمين ٥ قوله واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه فيما امركم به ٥
قوله تعالى [illegible] والمعنى
ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن فبينا الطلاق فان
شاء ردها وان شاء اعرض عنها لتكون حباة للتزويج وهذا الطلاق ادخل في السنة
ذكره الامام ابو حنيفة ما زاد على الطلقة الواحدة في طهر واحد فاما متفرقا في الاطهار
فلا وقال الامام ملك لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكره الثلاث مجموعة او متفرقة
وقال الامام الشافعي لا باس بارسال الثلاث لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة
وهو مباح وراعى في السنة الوقت فقط وابو حنيفة التفريق والوقت وملك الواحدة
والوقت والخطاب في واحصوا العدة للازواج اي اضبطوها بالحفظ وفي الاحصا
فوايد مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى وتوزيع الطلاق على الاقرا اذا اراد
ان يطلق ثلاثا والعلم بانها قد بانت فيتزوج باختها او بارع سواها ونهى تعالى
عن اخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدة ونهاهن ايضا عن خروجهن واضاف
البيوت اليهن والاسكان على الزوج ان كان ملكه او بكرا ان ذاك وان كان ملكها
فلها عليه اجرته وسوا في ذلك الرجعية والمبتوتة ولا تبيت عن بيتها ولا تخرج منه
نهارا الا لضرورة وذلك لحفظ النسب ٥ وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة
وهي الزنا عند قتادة [illegible] والحسن والشعبي وزيد بن اسلم والضحاك وعكرمة
وحماد والليث وروا مجاهد عن ابن عباس فيخرجن للحد وعن ابن عباس البذا على
الاحما فتخرج وتسقط حقها من السكنى وتلزم الاقامة في مسكن تتخذه الزوج حفظا
للنسب وعنه ايضا جميع المعاصي من سرقة او قذف او زنا او غيره لكن واختاره
الطبري وتسقط حقها من السكنى وعند ابن عمر والسدي وابن السايب هي خروجها
من بيتها خروج انتقال فتسقط حقها في السكنى وعند قتادة ايضا نشوزها عن الزوج

مطلق بسبب ذلك فلا يكون عليه سكنى واذا اسقط حقها من السكنى تمت العدة
قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي هذه الاحكام المبينة احكام الله على العباد
وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوزها فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك
قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يقلب الله قلبه من بغضها الى
محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها
وقال جميع المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض
على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على
الفراق فلا يجد للرجعة سبيلا وربما تظهر انها مشتملة على حمل فتزداد الندامة
اكثر واكثر ه قوله تعالى [illegible] اجلهن [illegible]
[illegible] اي قاربن انقضا العدة كقوله تعالى اذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن
فامسكوهن بمعروف اي المراجعة بالمعروف من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا
لعدتها كما تقدم في سورة البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن
فيملكن انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضا
العدة اذا ادعت ذلك على ما تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان
يكتمن ما خلق الله في ارحامهن وقال بعض العلما وقوله فامسكوهن بمعروف او
فارقوهن بمعروف كقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان لان الزوج له حق
في بدن المراة ولها حق في بدنه وذمته فكل منهم له دين في ذمة غيره سوا كان
مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او منفعة او صداق او نفقة او بدل اوضمان
مغصوب فعليه ان يؤدي ذلك الحق الواجب عليه باحسان وعلى صاحبه الحق ان
يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان ولذلك الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة
ونحو ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب يودي باحسان ه قوله تعالى [illegible]
[illegible] منكم [illegible] الشهادة [illegible] وهذا امر بالشهادة على الاطلاق وقيل على الرجعة
وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه

عند ابي حنيفة لقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الامام الشافعي واجب في الرجعة
مندوب اليه في الفرقة وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد ولئلا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية والاشهاد على الرجعة ندب عند الجمهور
وقال الامام الاعظم واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذا النظر
الى الفرج رجعة ه وقال الامام الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة ه
وقيل وطيه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب الامام احمد بن حنبل
واليه ذهب الليث وبعض المالكية ه وقال القرطبي وكان الامام مالك يقول اذا وطي
ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود الى وطيها حتى يستبريها من مائه الفاسد
وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليس له رجعة في هذا الاستبرا واوجب الاشهاد
في الرجعة [illegible] في احدى الروايتين عنه والامام الشافعي لظاهر الامر ه
وقال [illegible] حنيفة ومالك [illegible] احمد في القول [illegible] الرجعة لا تفتقر الى القبول
فلا تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق ه وقوله واقيموا الشهادة لله اي تقربا الى الله
في اقامة الشهادة على وجهها وهذا امر الله للشهود اي اقيموا الشهادة لوجه الله
خالصا لا للمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة الحق ه قوله تعالى
[illegible] اي ذلكم اشارة الى من كان يومن
بالله واليوم الاخر واما غير المومن فلا ينتفع بهذه الموعظة [illegible]
[illegible] اي اذا ترك نساه كما امره الله عوضه الله خيرا منه
من حيث لا يظن وهذا في اقامة الشهادة وفي مراعاة احكام الطلاق والامساك
بالمعروف والتسريح بالاحسان جميعا وعن بعضهم من يجعل له مخرجا ان ندم بالرجعة
ويرزقه ما يطمئن اليه بمفهوم الشرط اذا لم يتق الله فبت الطلاق وندم لم يكن له
مخرج وزال عنه رزق زوجته ه وقيل ان قوله ومن يتق الله متعلق بامر ما سبق من
احكام الطلاق وروي انها في غير هذا المعنى لانه قيل ان هذه الاية نزلت في عوف بن
مالك الاشجعي وذلك ان المشركين اسروا ابنا له اسمه سالم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان العدو اسر ابني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم استكثر من
قول لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله ه وفي رواية فقال له اتق الله واصبر وكان لا

نستعجل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب فخرج اليه فرآه ومعه مائة من الابل في
رواية الكلبي وقال مقاتل ابن حيان ومعه اغنام فاتى عوف النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ان ابني جاد بكذا وكذا فهل يحل لي ان آكل منه قال نعم وكان عوف رجلا فقيرا
فانزل الله ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شدائد الدنيا وسكرات الموت واهوال القيامة
ويرزقه من حيث لا يحتسب كان رزق عوف من مالك وابنه ○ قوله تعالى ومن يتوكل على الله [illegible]
[illegible] اي ومن يفوض امره الى الله فهو كافيه اي ومن فوض امره الى الله ووثق
بما يدبره من الاحوال فالله حسبه ومدبر لامره وفي ذلك ما يدعوا الى اقامة الشهادات
فلا يخاف غير الله وقيل ومن يتوكل على الله واجتنب معاصيه فله ما يعطيه الله في
الآخرة من ثوابه وكرامته ○ وقال القشيري قوله فهو حسبه من عجيب الاختصار
لا يجري على قول القائل فهو يرزقه ويعافيه وينصره ولا يشمت به اعداءه وهو
حسبه في كل ما يتولاه ○ ان الله بالغ امره قال مسروق لابد من نفوذ امر الله ومضي قضاه
في خلقه وذلك ان الله بالغ امره بكل حال توكل عليه العبد اولم يتوكل نحو ما
روي عن مسروق والشعبي وابن مسعود ○ قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا
اي كل شيء عنده بمقدار وقيل مقدارا هو بالغ امره وقيل اي جعل لكل شيء
اجلا ينتهي اليه بلا تاخير ولا تقديم وقيل هو راجع الى كل ما ذكر من اول السورة الى
هنا من حدود الطلاق والعدة ويريد لك اخبر ان لكل من ذلك من شرايعه واحكامه
عنده له مقدار اي حدا الزموه ولا تتعدوه ○ قوله تعالى [illegible]
[illegible] ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة
وهي التي قد انقطع حيضها فعدتها ثلاثة اشهر قوله تعالى [illegible] واولات
[illegible] ان يضعن حملهن روي ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان
لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قالوا يا رسول الله فما
عدة من لا قرء لها من صغر او كبر فنزلت هذه الاية وقال قائل فما عدة الحامل فنزلت
واولات الاحمال وهذا اسم لكل ما في البطن من الولد واحدا كان او اكثر تنقضي عدتها
بذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة
قروء قال معاذ بن جبل يا رسول الله لو كانت المراة آيسة لا تحيض كيف تعتد فنزل

واللائي

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فقام رجل آخر فقال لو كانت صغيرة كيف عدتها فنزل
واللائي لم يحضن فقام آخر فقال لو كانت حاملا فكيف عدتها فنزل واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن واما الحامل المتوفى عنها زوجها فكذلك تنقضي عدتها بوضع حملها لما
روي ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين يوما فمر بها ابو
السنابل فقال لها اتريدين ان تتزوجي فقالت نعم فقال لا حتى يأتي عليك اربعة اشهر وعشر
فاتت النبي صلى الله عليه وسلم واخبرته فقال لها حللت ○ وعن ابن عمر وعمر وابن
مسعود وجماعة من الصحابة عدتها تنقضي بوضع الحمل وقال عمر لو وضعت ما في بطنها
والزوج على سريره قبل ان يدلى في حفرته لانقضت عدتها وحلت للازواج ○ وقال
ابن مسعود من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان سورة النساء القصرى نزلت
بعد الاية التي في سورة البقرة فكانت ناسخة لذلك ○ قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي ومن يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في توفيقه
للطاعة ذلك امر الله [illegible]
يريد ما علمكم من حكم المعتدات وهذا كله من اول السورة الى هنا امر امركم الله به
وانزله في القرآن على رسوله ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سيئاته فان قيل
لم تكرر قوله ومن يتق الله [illegible] اذا كان الزوج المطلق قد ينسب الى مطلقته
بعض ما يشينها به وينفر عنها خطابها ويوهم انه انما فارقها لامر ظهر له فلذلك
تكرر قوله ومن يتق الله اي ومن يتق الله في العمل بما انزله من هذه الاحكام ويحافظ على
الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات وغير ذلك
مما يلزمه رتب الله تكفير السيئات واعظام الاجر وهذا اعظم سائر الامور وليس
هو مقيد باحكام هذه السورة فقط ○ قوله تعالى اسكنوهن من حيث
سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال فخر الدين الرازي في قوله
اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف
نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن اي مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
وهو امر الله لعباده اذا طلق احدهم المراة ان يسكنها في منزله حتى تنقضي عدتها
فقال اسكنوهن من حيث سكنتم اي عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد

وغيره واحد الوسع الطاقة حتى قال قتادة ان لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه
وقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي
منه بمالها او تخرج من مسكنه وقال الثوري عن منصور عن ابي الضحى ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن قال يطلقها فاذا بقي من عدتها يومان راجعها ثم يطلقها بعد الرجعة
قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن [illegible]
[illegible] جمهور [illegible] وان كن اولات حمل لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها
بتت او لم تبت وان كانت متوفى عنها فالاكثر على انها لا نفقة لها وعن علي وابن مسعود
تجب نفقتها في التركة فان ارضعن لكم اي ان ولدن وارضعن الولد وجب لها النفقة
وهي الاجرة والكسوة وساير المؤن على ما قرر في كتب الفقه ولا يجوز عند الامام الاعظم
واصحابه الا الاستيجار اذا كان الولد منهن قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته قيل الخطاب
للاباء والامهات اي وليأمر بعضكم بعضا بمعروف في الارضاع والمعروف الجميل مع
تسامح الام ولا يماكس الاب لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق
عليه وقال الكسائي وائتمروا تشاوروا ومنه قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وقوله
وان تعاسرتم وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في اجرة الرضاع كثيرا ولم
يجبها الرجل الى ذلك او بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها
فلو رضيت الام بما استوجر عليه الاجنبية فهي احق بولدها وقوله لينفق ذو
سعة من سعته اي لينفق على المولود والده او وليه بحسب قدرته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما آتاه الله اي لينفق الذي [illegible] اذا كان ذا سعة من المال
اي من سعة ماله وغناه على امرأته المرضعة في اجر رضاع ولده ومن قدر عليه
رزقه اي ضيق عليه فلينفق على قدر ما اعطاه الله على قدر ماله وما اعطي منه
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال عن ابي عبيدة فقيل له انه يلبس
الغليظ من الثياب ويأكل الخشن من الطعام فبعث اليه بالف دينار وقال
للرسول انظر ما ذا يصنع اذا هو اخذها فما لبث ان لبس الين الثياب واكل اطيب
الطعام فجاء الرسول فاخبره فقال رحمه الله تأول هذه الاية لينفق ذو سعة من

سعته

سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما فلينفق
مما آتاه الله ان كان له ما ينفقه من متاع البيت باعه فانفقه لا يكلف الله نفسا
الا ما آتاها اي لا يكلف الله احدا من النفقة على من يلزمه نفقته بالقرابة والرحم
الا ما اعطاه الله ان كان ذا سعة فمن سعته وان كان مقدورا عليه فمما رزقه الله على
قدر طاقته وقال ابن زيد لا يكلف الله ان يتصدق وليس عنده ما يتصدق به ولا يكلفه
ان يزكي وليس عنده ما يزكي عليه قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته روى الحافظ
ابو القسم الطبراني في معجمه الكبير عن ابي مالك الاشعري واسمه الحرث قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار
وكان لآخر عشرة اواق فتصدق منها باوقية وكان للآخر مائة اوقية فتصدق منها
بعشرة اواق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الاجر سواء كل قد تصدق
بعشر ماله قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته هذا حديث غريب من هذا
الوجه قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا هذا وعد منه تعالى ووعده حق
وهو لا يخلفه وهذا كقوله تعالى ان مع العسر يسرا اي سيجعل الله للفقير المال
المقدور عليه رزقه بعد شدة رخاء وبعد ضيق سعة وبعد فقر غنى قال ابو جعفر
بعد عسر يسرا اما في الدنيا واما في الاخرة فارغبوا في فعل الخير [illegible]
[illegible] في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن واحصوا العدة الخطاب لرسول رب العالمين والمراد من امته عامة
المطلقين امرهم اذا طلقوا نساءهم ان يحفظوا عدتهن لان في حفظها صون ماءهم
وطمانينة القلب في الانساب وهو عين الصواب وامرهم ان يتقوه ويتمسكوا
بما امرهم به ولا يخالفوه فامر بمنع اخراجهن اي من بيوتهن ولا يخرجن الا بفاحشة
مبينة توجب الاخراج وهذا امر الله فارتفع الاخراج قال تعالى وتلك حدود الله
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه اي ومن يتعد ما حد الله فقد بلغ نفسه لا تدري
لعل الله ربه يقلب بعد البغض بالمحبة قلبه فاذا انقضت عدتهن فبالمعروف امسكو هن
او به فارقوهن واشهدوا ذوي عدل منكم على اي حالة صدرت عنكم واقيموا
الشهادة لله ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الذي لا حكم فيه

لغير الله ومن يتق الله في امره يجعل له مخرجا من فقره ومن يتق الله عند المصيبة يجعل
له مخرجا الى الجنة ويرزقه من حيث لا يعلم لانه هو الجواد الاكرم ومن يتوكل على
مولاه فهو الذي الفى كله على مولاه ومن توكل على الله ويفوض امره اليه فهو حسبه
وكافيه ما اهمه وما يغلبه والتوكل على الله الرضى بقضاء الله ومن يتوكل على الله فالله
كافيه وهو حسبه في كل ما هو فيه والله اخبر عن نفسه ان من توكل عليه كفاه
ومن استهداه هداه ومن اقترضه بحسن الوفا جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه لباه
واللطلقات اللاي يئسن من حيضهن وذلك لكبر سنهن فعدتهن من الشهور ثلاثة وهذه
عدة الايسات واولات الاحمال عدتهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله من الله يجعل
له من امره يسرا وهذا حكم الله انزله اليكم ليعلمون شرعه فيكم ومن يتق الله يكفر
عنه السيئات ويعظم اجره بارتفاع الدرجات واسكنوا المطلقات في مساكنهن
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف ولا يكون الا مثلها المعروف
موصوف واستاجروا اخرى للرضاعة اذا اختلفتم وان رضيت الام بنفقة من
استاجرتموها فهي اولى بولدها ان انفقتم ولينفق ذو سعة من سعته التي اغناه
الله بها ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لها لا يكلف الله نفسا الا
وسعها ولا يحملها فوق طاقتها سيجعل الله بعد عسر يسرا لان عنده مفاتح الغيب
وقد جعل الله لكل شيء قدرا ثم اخبر عن اهل القرية وعتوهم وخروجهم عن امر ربهم
بقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله
اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات الى النور ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما

التفسير قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله وحذر المناسبة
لما ذكر الله تعالى الاحكام وحذر مخالفة الامر ذكر هنا عتو المخالفين وحلول العذاب
بهم وتقدم الكلام في كاين في ال عمران ونكرا في الكهف وقوله عتت اي اعرضت عن امر
ربها على سبيل التمادي والتكبر قوله تعالى فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها
عذابا نكرا اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل
في الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل بالسيف
والمسخ وساير المصايب وحاسبناها حسابا شديدا قوله تعالى فذاقت وبال
امرها وكان عاقبة امرها خسرا وهذا وعيد لمن خالف امره وكذب رسله وعمل
غير ما شرعه مخبرا عما حل بالامم السالفة بسبب ذلك اعد الله لهم عذابا شديدا
وظاهره ان المعد عذاب الاخرة والحساب التعديد هو الاستقصا والمناقشة فلم
تغتفر لهم زلة بعد ان اخذوا بالدقائق من الذنوب وقيل الجمل الاربعة من الحساب
والعذاب والذوق والخسر في الاخرة ثم انه تعالى لما ذكر ما حل بهذه القرية
العاتية امر المومنين بتقوى الله تحذيرا من عذابه وبنيه على عظم التقوى وهو انزال
الذكر والظاهر ان الذكر هو القران والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو
قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يتلوا عليكم ايات الله مبينات قوله يا اولي الالباب اي يا اهل العقول النيرة والافهام
المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما اصابهم وقوله الذين امنوا اي صدقوا بالله
ورسله قد انزل الله اليكم ذكرا قيل الذكر هنا الشرف كقوله لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف فقال
رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم يتلوا عليكم ايات الله
وايات الله القران مبينات اي في حال كونها واضحة جلية لان الرسول هو الذي بلغ
الذكر وقال الكلبي الرسول هنا جبريل صلوات الله عليه وتبعه الزمخشري وقال
ليجعل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير
مومنين وانما امنوا بعد الانزال والتبليغ قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات الى النور وهذه الاية كقوله كتاب انزلناه اليك

وكان حسابها [illegible]

ليخرج الناس من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقال ابن عباس
نزلت في مؤمني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان انما حصل بطاعته
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ان الاخراج هو
النقل من الكفر الى الايمان في حق من امن بعد كفره والحفظ عن الوقوع في الكفر في حق
من كان مؤمنا ه قوله تعالى خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا اي في الجنة
رزقا واسعا طيبا هنيئا مامونا من التغير والانقطاع من المطاعم والمشارب والملابس
والتمتع بالزوجات الحسان وسائر ما اعد لاوليائه فيها خالدين مؤبدين ان الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه
تاكيدا لما سبق من الوعد والوعيد ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين
القويم ولا اختلاف في ان السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسراء وغيره
وقوله ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا
بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان
من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها منطبقة
بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات وهذا القول يحكم على الضحاك لانها
لو كانت منطبقة من غير فتوق كانت ارضا واحدة لان الاخبار دالة على انها سبع كما
روى البخاري وغيره روى ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان
صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين
وما اضللن ورب الرياح وما اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ
بك من شرها وشر اهلها ومن فيها ه وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيمة من سبع ارضين
قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا
يلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم
السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب
من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهو قول من قال ان الارض مبسوطة والقول

الثاني

الثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وهو قول من قال
ان السماء كرة وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالفلك القريب بالنسبة الى
السماء الثانية ارض وكذا السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذا السماء الرابعة بالنسبة
الى الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض واختلف
القائلون بالتسليم في تفسير المثلية فقيل في العدد وقيل في بعض الاوصاف فان المثلية تصدق بذلك
والاول هو المشهور ه قوله تعالى يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات
السبع الى الارضين السبع وقيل يتنزل الامر بين السموات والارض ينزل الى كل سماء من امره
ما يريد على من فيها من الملائكة وكذلك ينزل امره في الارض بما يريد ان يتعبد به الجن والانس
ومعنى نزول الامر نزول الملائكة بتبليغ الامر وعلى هذا يكون بينهن اشارة الى بين هذه
الارض العليا التي هي ادناها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر هنا القضاء
والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض
السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن
حياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره
فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان ات
على اختلاف انواعها وهيئاتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وعلى هذا
اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وقال قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من سمائه
خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي
من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام
امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته فهو جل وعلا قادر على كل شيء وان
الله قد احاط بكل شيء علما فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته لانه تعالى لما خلق السموات
السبع والارضين السبع على التدبير الذي يجري بينهما بالامر بما يقتضيه كان
عالما بها وبكل شيء سواها لا يخفى عليه ظاهر ولا باطن منها ه ايها الخلق
يا انسان اعمل عقلك في ميدان فكرك لترى مصنوعات الله وحكمته وشيئا من قدرته
المحيطة وعظمته ترى العقل قد رجع من سعة ملكه حائرا ذليلا تحقيقا لقوله
تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا انت لا تدرك حقيقة نفسك فكيف

فسط عما مصنوعات ربك فالى فرد انك تقول العناد وقل ترى منا بابا اناه فقد صح
بالبرهان حصول اليسير وثبت بالشاهد وجود النفس ترى بها انا منها وهل تعرف
الفحص عنها ها انا من بحرها وكرها خائض لجة بحرها ها انا كرسي ممالكها
ها انا سطح مدركها ها انا سر فرشها ها انا مستقر عرشها ها انا صفاتها
الذاتية ها انا انها الصفاتية ها انا موطن لذاتها العالية ها انا محرس سدرتها
العالية لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين وانه لا يحلا التحرين ولا اولي عقبا ولا انقيت
حقبا فنادى منادي التوفيق ان الى ربك المنتهى وان النفس لباب الله الاعظم ه
وحجابه الاقدس لمعظم وانها شرط في حصول المعرفة اذ هي اول صفة الموصوف
والصفة جوهر بسيط روحاني لا جسم الاجسام ان لها وجهان وجه الى الخلق
ووجه الى ما ظهر الى الكون وهذا الانشاد عين الارشاد

وجه للنفس لا يسلك فاسأله ، ما تقابل فرعا دمستفصل
وجه الى الكون بعد الحزن لها ، وجه الى الخلق لا ينفك عن زلل
كلمة طرفاها وتقابلهما ، فهما من الليع ما فيهما من الفصل

فلما انست الكلمات نادت في الظلمات اللهم يا قديرا يا عليم انت الذي لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء انت العالم بحركات الذرة وحادث الظلماء
علمه بما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله في السموات والارض يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون الهي علمك عم جميع المعلومات فانت العالم بسري وجهري وانت
الخبير بحاله سري انت اعلم بما كان من قبل الشكوى وانت القادر على تحقيق الامال
وكشف البلوى يا من بيده مقاليد السموات والارض وهو بكل شي عليم حقق لي
اسنى كرمك واعف عني يا رحيم صل على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ه
واغفر لي ولوالدي وللمسلمين والحمد لله رب العالمين ه

سورة التحريم ه بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه

واعرض

واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير ان
تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ه التفسير قوله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
مناسبة هذه السورة لسابقتها ان الله تعالى لما ذكر في السورة السابقة جملة
من احكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى لبعض زوجات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ه وهذه السورة مدنية وهي اثنتا عشرة اية ه وايضا انه تعالى ختم
سابقتها بالثناء عليه وافتتح هذه السورة بندا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسور
تذكر الازواج والزوجات وختمها ببيان دلايل التوحيد والحث على الايمان والطاعة
قاله صاحب التيسير ه وقال الفخر الرازي تعلق هذه السورة بما قبلها وذلك
لاشتراكهما في الاحكام المخصوصة بالنساء اشتراك الخطاب بالطلاق في اول تلك
السورة ويشترك مع الخطاب بالتحريم في اول هذه السورة لان الطلاق في اكثر
الصور يشتمل على تحريم ما احل الله واما تعلق اول هذه السورة لان الطلاق
وكرنا اخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه
ولما كان خلق السموات والارض وما بينهما من العجايب والغرايب مما ينبي في القدرة
على تحريم ما احل الله ه ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا
قالت فتواطات انا وحفصة ان ايتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها
فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احدهما فقالت له ذلك فقال
بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله
لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصة واختلفت الروايات في المراة التي كان

مكث عندها فقيل زينب بنت جحش وقيل سودة بنت زمعة وقيل حفصة بنت عمر
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل فكان
إذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس عندنا
فسألت عن ذلك فقيل أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت
إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول
لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد
منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط
وسأقول ذلك له وقوليه أنت يا صفية فلما دخل صلى الله عليه وسلم على سودة
قالت سودة والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب
فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله أكلت مغافير
قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قلت جرست نحله العرفط
فلما دخل قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة
قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد
حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية أن التي شرب عندها سودة فنزل
قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية والمغافير بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة
فيها حلاوة وجرست أكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان صلى الله عليه
وسلم يعجبه أن يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك
وقيل إن التي حرم مارية القبطية وكان قد أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية
أم إبراهيم وروى الدارقطني عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له حفصة تدخلها
بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعائشة
فهي علي حرام إن قربتها قالت حفصة وكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها
أن لا يقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لأحد فذكرته لعائشة
فآلى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فأنزل الله تعالى

يا أيها النبي

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية قال القرطبي أصح هذه الأقوال أولها وأضعفها
أوسطها قال ابن العربي أما ضعفه في أنه حرم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب
إلى المعنى ولكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلا وإنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه
شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فحلف أن لا يشربه وأسر ذلك
قوله تعالى [illegible] أي قدر لكم ما تحللون به أيمانكم وقيل قد أوجب
عليكم فمن جعل تحريم الحلال يمينا أوجب فيه الكفارة وهو مذهبنا وكذلك قال
قوم منهم ابن مسعود وطاوس وابن جبير والثوري وأهل الكوفة والكلام في معنى عليكم
لقوله وإن أسأتم فلها أي عليها ومن لم يجعل التحريم كالأيمان وهو قول الإمام مالك
والإمام الشافعي فإنه يقول في تأويل قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي قد بين الله لكم
تحليل أملاككم بأيمانكم قال فيما فرض الله أي تنزل أملاككم حلالا عليكم ولا تحرم عليكم
بيمينكم وعن جعفر بن برقان قال قلت لميمون بن مهران أرأيت قوله تحلة أيمانكم
أتقول إنما فرض الله له فما حللت لكم ما ملكت أيمانكم أم تقول قد فرضت عليكم تحلة
اليمين تكفرون بها عن أيمانكم قال ميمون سمعت كل ذلك في هذا الكفارة جعلت
تحلة لليمين لأنها تحل ما حرمته اليمين على معنى أنه إذا حنث أو كفر صار كأنه لم يحلف
وقال جماعة من المفسرين لما نزلت هذه الآية كفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه
بعتق رقبة وعاد إلى مارية وقيل في قوله لم تحرم استفهام بمعنى الإنكار وذلك
من الله تعالى نهي عن تحريم الحلال مكروه لأن الحلال لا يحرم إلا بتحريم الله [illegible]
قوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يوهم أن هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي
صلى الله عليه وسلم بما في ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم فا [illegible] أن
هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بقوله يا أيها النبي بدأ إقبال تشريف لم تحرم
سوا التلطيف ولذلك قدم قبله يا أيها النبي كما جاء في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم
ومعنى تحرم تمتنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله وإنما هو امتناع لتطييب
خاطر من صدر منه كسر بعض العشرة لا اعتقاد كونه حراما بعد ما أحله الله لأن من اعتقد
أن هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد كفر فكيف يضاف إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل هذا فيكون معنى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم تحليل اليمين كفارتها

اي اذا احنثتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة المائدة فكفارته اطعام
عشرة مساكين قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وقال الحسن لم يكفر لان
النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه
السورة انما أُمر بها الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان
الامة تقتدي به وتقدم عن زيد بن اسلم انه كفر بعتق رقبة وعن مقاتل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وقوله والله مولاكم [illegible]
[illegible] اي الله مولاكم لانه وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم
وبالترخيص لكم في تحليل أيمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة وهو
العليم بمصالح خلقه الحكيم في تدبيره اياهم قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا اي اسر الى حفصة حديث مارية وتحريمها على نفسه وامرها
باستكتامه والمعنى ان حفصة اطلعت على النبي صلى الله عليه وسلم ومارية ام
ابرهيم فقال لا تخبري عائشة فانطلقت حفصة فاخبرت عائشة [illegible]
واظهره الله عليه [illegible] عرف بعضه واعرض عن بعض فلما اخبرت به عائشة واظهر
الله نبيه على فعلها انها قد افشت سره قال تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض
اي سكت عنه قال لها النبي صلى الله عليه وسلم استودعتك سرا فافشيتيه
وهو قوله تعالى فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فطلقها مجازاة على بعضه ولم يواخذها بالباقي
لان الله تعالى اطلع نبيه على جميع ما نبات به غيرها لقوله تعالى واظهره الله عليه
وقال السدي عرف بعضه واعرض عن بعض تكرما وقال الحسن ما استقصى كريم
قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما
قالت لعائشة من حديث ام ولده قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه قال لو كان
في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره جبريل عليه السلام
بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في مشربة
مارية ام ابرهيم حتى نزلت اية التخيير وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها

فانها

فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها قوله فلما نباها به قالت
من انباك هذا يا رسول الله وظنت ان عائشة اخبرته قال عليه الصلاة والسلام نباني
العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء وذلك انه لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرا هية
في وجه حفصة حين [illegible] مع مارية اراد ان يترضاها فاسر اليها شيئين تحريم الامة
على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت وفي
حفصة بذلك عائشة واطلع الله نبيه عليه عرف حفصة بعض ما اخبرت
به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني عن ذكر الخلافة كره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما
اظهره الله عليه قالت حفصة من انباك هذا اي من اخبرك باني افشيت السر
قال نباني العليم الخبير قال الرازي وصفه بكونه خبيرا بعدما وصفه بكونه عليما
لما ان في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم قوله تعالى ان [illegible]
[illegible] هذا خطاب لحفصة وعائشة اي فقد مالت قلوبكما عن الحق ان تتوبا
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصغت مالت وزاغت عن الحق وقال الامام احمد في مسنده
عن ابن عباس قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر عن المراتين من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم اللتين قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر
وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني
فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك
يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هي حفصة وعائشة
ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا
المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال فغضبت
يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله
ان ازواج رسول الله صلى الله ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل قالت فقلت
قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب

رسوله فاذا هي قد هلكت قال لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي ما
بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك يريد عايشة قال وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فياتيني بخبر الوحي وغيره واتيه بمثل ذلك
وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم اتى عشاء فضرب
بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم فقلت وما ذاك اجاءت غسان
قال لا بل اعظم من ذلك واطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد
خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي
ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت لا ادري هو معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن
لعمر فدخل الغلام ثم خرج الي فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا
عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ما يحصى وهم يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم
خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت
الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا
فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قال الامام احمد وحدثنا يعقوب في حديث صالح
قال رمال حصير قد اثر في جنبه فرفع راسه الي وقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله
وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم
فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت
ان تراجعني فقالت ما تنكر ان راجعتك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه
احداهن اليوم الى الليل قلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسرت افتامن احداهن
ان يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم
واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم فقلت استانس يا رسول الله قال

نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت في البيت شيئا يرد البصر فقلت
ادع الله يا رسول الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله
فاستوى جالسا وقال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم
في الحيوة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان اقسم لا يدخل عليهن شهرا من
شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
من طرق عن الزهري واخرج الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن جبير
عن ابن عباس قال مكثت سنة اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله
هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى
الاراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا امير المؤمنين من
اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم هذا لفظ البخاري ولمسلم من المراتان
اللتان قال الله تعالى [illegible] قال عايشة وحفصة ثم ساق الحديث
بطوله ومنهم من اختصره قوله تعالى [illegible]
والملائكة بعد ذلك ظهير ومعنى تظاهرا عليه اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه
وسلم بالمعصية والايذاء في افشاء سره والافراط في الغيرة فان الله هو مولاه اي ناصره
ومعينه ووليه وجبريل راسه وانما جبريل هو امين وحيه واختصاصه بالملائكة
وافرد جبريل بالذكر تعظيما له واظهارا لمكانته عند الله ويكون قد ذكر مرتين مرة
بالنص ومرة في العموم واكتفى صالح المؤمنين جبريل والملائكة تشريفا لهم واعتناء
بهم اذ جعلهم من الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل
في الظهير الا في الولاية ويختص الرسول بان الله مولاه والظاهر عموم وصالح المؤمنين
فيشمل كل صالح وقال قتادة والعلا بن زيد وعكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد
المراد ابو بكر وعمر وزاد مجاهد وعلي ابن ابي طالب وقيل الصحابة وقيل الخلفاء وعن
ابن جبير من يرى من النفاق وقيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه
وسلم في النفقة ولهذا الى منهن شهرا واعتزلهن وروى مسلم عن جابر بن عبد الله
قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا
ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد

النبي صلى الله عليه وسلم جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا قال فقال لأقولن شيئًا أضحك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة
فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي
كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ابو بكر
وكلاهما يقول تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئًا أبدًا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهرًا أو تسعًا وعشرين يومًا ثم نزلت عليه يا أيها النبي قل لأزواجك إلى قوله للمحسنات
منكن أجرًا عظيمًا الحديث ۝ قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا
خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات
وأبكارا في الحديث أن عمر قال يا رسول الله لا تكترث بأمر نسائك والله معك
وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت ۝ وروي عنه أنه قال لأزواج
النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه إن طلقكن أن يبدله الآية فنزلت ۝ وروى
أنس بن مالك أنه قال قال عمر بن الخطاب اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن
قال عمر فاستقريتهن امرأة امرأة أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأقول إن أبيتن بدله الله خيرا منكن حتى أتيت قال حسبته قال
على زينب فقالت يا ابن الخطاب أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأمسكت
فأنزل الله عسى ربه إن طلقكن الآية لأنه إذا طلقهن كان لأنهن لسن على عشرتهن
واللواتي يبدله بهن بهذه الأوصاف يكن خيرا منهن وبدأ في وصفهن بالإسلام وهو
الانقياد ثم بالإيمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية ثم بالتوبة وهو
الإقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وهي التذلل ثم بالسياحة وهي كناية عن الصيام
قاله أبو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وقيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم
فسره بذلك وقاله أيضا الحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وقال
الفراء والقتبي سمي الصائم سائحا لأن السائح لا زاد معه وإنما يأكل من حيث يجد
الطعام ۝ وقال زيد بن أسلم وبمانيها مهاجرات وقال ابن زيد ليس في الإسلام

سياحة إلا الهجرة وقيل ذاهبات في طاعة الله وأما الثيوبة والبكارة فلا
يجتمعان فلذلك عطف أحدهما على الآخر ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى وذكر
الجنسين لأن في أزواجه عليه الصلاة والسلام من تزوجها ثيبا ومن تزوجها بكرا
والثيب الراجع بعد زوال العذرة ۝ قوله تعالى يا أيها [illegible]
[illegible]
[illegible] قال عمر رضي الله عنه يا
رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا قال تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتأمرونهن
بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الأولاد في وأهليكم
وقيل دخلوا في أنفسكم لأن الولد بعض من أبيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي
قال جماعة من الصحابة المعنى قوا أنفسكم وأهلوكم فليقوا أنفسهم وروى علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم
وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم
قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما
فرض الله عليهم وما نهاهم عنه وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد
وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ
عشر سنين فاضربوه عليها هذا لفظ أبي داود ۝ وقال الترمذي هذا حديث حسن
وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك ۝ وقال جمهور الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة
لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله
الموفق ۝ وقوله وقودها الناس والحجارة أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم
والحجارة وقيل الحجارة هي الأصنام التي كانت تعبد لقوله إنكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم ۝ وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي هي
حجارة من الكبريت وهذا أشد العذاب لأن الكبريت إذا التهب يحصل زيادة
وقود إذا احترقا وسنذكر الراجحة التي لا نعتقد بل تقدم الكلام على قوله وقودها

الناس والحجارة في سورة البقرة ۵ وقوله عليها ملائكة غلاظ شداد الآية يعني
الزبانية غلاظ القلوب شداد في القوة لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من
الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم اكل الطعام وشرب الشراب
وقوله شداد اي شداد الابدان قال ابن عباس اقويا ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة
سنة ۵ وقال عليه الصلوة والسلام في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين
المشرق والمغرب ۵ قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون اي
يبادرون الى امر الله لا يتاخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعل ما
يؤمرون به ليس لهم عجز عنه ۵ قوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون هذا نهي لتحقيق الناس لا تعتذروا فان
عذركم ليس بنافع لكم كما قال تعالى فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم والمعنى
عذركم لا يقبل منكم وانما تجزون باعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا فالمعذرة
مستحيلة قبولها وهذا خطاب الزبانية لهم عند دخولهم النار وهي
بيس القرار وقالوا لهم هذا جزاوكم فقد بطل اعذاركم ثم نادى المومنين وامرهم
بالتوبة النصوح ليحصلوا على الفلاح والفتوح بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على
كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
ومأواهم جهنم وبيس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل
ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها
وكتبه وكانت من القانتين تفسير [illegible] يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا وجه المناسبة للايات السابقة ان الله تعالى لما ذكر النار التي

اعدت

اعدت للكافرين وزبانيتها الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون امر المؤمنين هنا بالتوبة النصوح واختلفوا في التوبة النصوح فقيل هي التي لا عودة
بعدها كما لا يعود اللبن في الضرع وهو قول عمر وعبد الله وابي بن كعب ومعاذ ورفعه معاذ الى
النبي صلى الله عليه وسلم ۵ وقيل نصوحا ينصحون بها انفسهم اي يصدقون فيها ولا يعودون
وقال ابن عباس رضي الله عنهما التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع
بالبدن والاضمار على ان لا يعود ۵ وعن علي رضي الله عنه انه دخل المسجد فسمع اعرابيا
يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين
فقال الاعرابي وما التوبة فقال يجمعها ستة اشياء وما هي فقال على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تذيب نفسك في الطاعة كما
ربيتها في المعصية ۵ وقال ابو بكر الوراق التوبة النصوح ان تضيق عليك الارض بما
رحبت وتضيق عليك نفسك كما ذكر الله في الثلاثة الذين خلفوا ۵ وقال رويم المصري
التوبة النصوح ان تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه ۵ وقالت رابعة
توبة لا يحتاج بها الى التوبة منها ۵ وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اتدرون من التائب قالوا لا قال اذا تاب العبد ولم يرض خصماه فليس بتائب ومن تاب ولم
يتعلم العلم فليس بتائب ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير مجالسه
فليس بتائب ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب ومن تاب ولم يغير فراشه فليس
بتائب ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسعه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير طعامه
فليس بتائب ومن تاب ولم يحفظ لسانه فليس بتائب ومن تاب ولم يقدم فضله فليس
بتائب فاذا استبان على العبد هذه الخصال فذلك تائب حقا حقا ۵ قوله تعالى
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ولما ذكر التوبة ذكر بعدها تكفير السيئات قال الحسن التوبة النصوح ان يبغض الذنب
كما احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي ان لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها ۵ وقال
الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع عن الذنب
والعزم على ان لا يعود ۵ ثم ان التوبة من الذنب لا يخلو اما ان يكون حقا لله او لآدمي
فان كان حقا لله كترك صلوة او صوم او تفريط في زكوة فان التوبة لا تصح منها

حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها وان كان قتل نفس بغير حق فان يمكن من القصاص منه
ان طلب به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفي عنه
في القتل بمال فعليه ان يوديه ان كان واجدا له قال الله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك من حدود الله ما كان فانه اذا تاب الى الله
تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين اذا
تابوا قبل القدرة عليهم ولذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف
ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي ان يحدهم ۞ وقوله عسى ربكم ان يكفر عنكم
سياتكم عسى من الله واجبة لان التوبة النصوح تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت
في الصحيح الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وهل من شرط التوبة النصوح
الاستمرار على ذلك الى الممات ثبت في الصحيحين من احسن في الاسلام لم يواخذ
بما عمل في الجاهلية ومن اساء في الاسلام اخذ بالاول والاخر لهذا ذكر بعد التوبة
تكفير السيات ودخول الجنات ۞ قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
تضرع الى الله تعالى في امر امته فاوحى الله تعالى اليه ان شيت جعلت حسابهم اليك
فقال يا رب انت ارحم بهم فقال تعالى اذن لا اخزيك فيهم ۞ وقال الامام احمد حدثنا
ابرهيم ابن اسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة
قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فسمعته يقول اللهم لا
تخزني يوم القيمة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا اول من يوذن له
في السجود يوم القيمة وانا اول من يوذن له برفع راسه فانظر بين يدي فاعرف امتي من
بين الامم وانظر عن يميني فاعرف امتي من بين الامم وانظر عن يساري فانظر امتي من بين
الامم فقال له رجل يا رسول الله وكيف تعرف امتك من بين الامم قال غر محجلون من
اثار الطهور ولا يكون احد من الامم كذلك غيرهم واعرفهم انهم يوتون كتبهم بايمانهم
واعرفهم بسيماهم في وجوههم من اثر السجود واعرفهم بنورهم يسعى بين
ايديهم ومعنى قوله نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي عند الحساب لانهم يوتون
كتبهم بايمانهم وفيه نورهم وخيرهم وقيل يسعى النور بين ايديهم اي في موضع وضع اقدامهم

وبايمانهم

وبايمانهم لا على ايمانهم وشمايلهم طريق الكفرة وفيها نفسهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
[illegible] قال ابن عباس يقولون ذلك عند اطفاء نور المنافقين
وقال الحسن ان الله [illegible] يتم لهم نورهم وقيل ادناهم منزلة من نوره بقدر ما يبصر
موضع قدمه [illegible] يقولون اتمامه [illegible] فاذا كان طلبهم على هذا فما الفايدة
في قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه فالجواب ان فيه افادة الاجتماع ع
بمعنى لا يخزي [illegible] الذين يسعى نوره بين يديه فانه عظيمة اذ الاجتماع بين الذين
امنوا وبين نبيهم [illegible] في حشرهم وتعظيمهم والدعاء لهم بالغفران ممن هو على كل شيء قدير
[illegible] يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس
المصير امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين الكفار بالسلا ح
والقتال والمنافقين باقامة الحدود عليهم وقوله واغلظ عليهم اي يعرف المنافقين
احوالهم في الاخرة ۞ وقال الحسن اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم
كانوا يرتكبون موجبات الحدود وقوله وماواهم جهنم يرجع الى الصنفين وقوله
وبئس المصير اي المرجع ۞ قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات
نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
ضرب الله تعالى المثل لهم بامراة نوح وامراة لوط في انهم لا ينفعهم مع كفرهم لحمة
نسب ولا وصلة [illegible] اذ الكفر قاطع العلايق بين الكافر والمومن وان كان المومن
في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله تعالى لنوح عن ولده انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح كالم ينفع تلك المراتين كونهما زوجتي نبيين في الصلاح ومن
يمتاز به من اصطفاه الله من عباده كما قال في حق ابرهيم صلوات الله عليهم [illegible]
وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي قول يوسف عليه السلام والحقني بالصالحين
وقول سليمن عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ۞ قوله فخانتاهما
انما هو بكفرهما لان امراة نوح كانت تقول عنه لقومها هو مجنون ونميمة امراة
لوط بمن ورد عليه من الاضياف قال ابن عباس لم تكن خيانة زنا ولم تزن امراة
نبي قط ولا ابتلي في نسايه بشيء بالزنا وهذا اجماع من المفسرين في كتاب ابن عطية
وفي كتاب النقاش فخانتاهما بالكفر والزنا وغيره وقال الزمخشري لا يجوز ان يراد

ما الخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار
لا يستسمجونه ويسمون الكفر حقا ٥ وقال الضحاك خانتاهما بالنميمة وكان
اذا اوحي اليهما بشي افشتاه للمشركين وقيل خانتاهما بنفاقهما ٥ وقال مقاتل
اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والعة ٥ وقال الضحاك عن عايشة رضي الله عنها
ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واعلة واسم
امراة لوط والهة ٥ وقوله فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقيل ادخلا النار
مع الداخلين اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما لما عصتا
شيا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار
مكة قالوا ان محمدا يشفع لنا فبين الله تعالى ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا
اقرباء كما لا ينفع نوح امراته ولوط امراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل ادخلا النار مع
الداخلين في الاخرة ويقال ذلك لكفار مكة وغيرهم ٥ وقال يحيى بن سلام قوله
ضرب الله مثلا للذين كفروا وهذا مثل ضربه الله تعالى يحذر به عايشة وحفصة
من المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا
اخر وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة مثل الله تعالى حال المومنين في ان وصلة الكفار
لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم
ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله المدعي الالوهية نجاها منه ايمانها
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
الظالمين قيل دعت بهذه الدعوات حين امر فرعون بتعذيبها لما عرف ايمانها
بموسى وذكر المفسرون انواعا مضطربة في تعذيبها وليس في القران انها عذبت
ولا ما يدل عليه ٥ وقال الحسن لما دعت بالنجاة نجاها الله اكرم نجاة فرفعها
الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم ٥ وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
اريت بيتها في الجنة ٥ وقال ابن عباس في قولها ونجني من القوم الظالمين قال
اهل مصر وقال مقاتل القبط وفي هذا دليل على الالتجاء الى الله عند المحن وسوال
الخلاص منها وان ذلك من سنن الانبياء والصالحين ومريم ابنة عمران التي احصنت

مثلا ... وصدقت بكلمات ربها وكتبه اي وضرب الله
مثلا لمريم ابنة عمران وصبرها على اذى اليهود وقوله التي احصنت فرجها اي عن
الفواحش فنفخ الروح في جيبها ونفخنا فيه اي ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا
اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى عليه السلام وقوله وصدقت بكلمات ربها يعني
الشرائع التي شرعها الله لعباده وقيل صدقت بكلمات ربها اي قول جبريل لها انما انا
رسول ربك الاية وقال مقاتل بكلمات عيسى وانه نبي وانه كلمة الله والمراد بالكتب
التي نزلت على ابرهيم وموسى وداود وعيسى وقيل كانت صادقة بما اخبرت به
من امر عيسى وما اظهر الله لها من الكرامات ٥ قوله تعالى وكانت من القانتين اي
من الراكعين الساجدين ٥ وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا داود بن ابي الفرات
عن علبا عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض
اربعة خطوط وقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم
ابنة عمران واسية بنت مزاحم امراة فرعون ٥ وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة
عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسية امراة فرعون ومريم
ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على
ساير الطعام ٥ واسية بنت مزاحم من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وقال
يحيى بن سلام عن امراة نوح وامراة لوط مثل ضربه الله تعالى يحذر به عايشة
وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما
مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات على الدين
انتهى ٥ واخذ الزمخشري كلام ابن سلام وحسنه وزينه بفصاحته فقال
وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما
من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ
وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين واشارة الى ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المومنتين

وانها لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يغنيهما
الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما
افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل مرموزة في كل
باب بالغة من اللطف والخفا حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره انتهى والحمد
لله والمنة والتوفيق سورة الملك ٦ بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم
عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور
تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه
النشور ٥ التفسير قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على
كل شيء قدير هذه السورة مكية وهي ثلثون اية وتسمى الواقية والمنجية لانها
تقي قاريها وتنجيه من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل
عن صاحبها في القبر ٥ ومناسبتها لما قبلها ان الله تعالى لما ضرب المثل للكفار
بامراة نوح وامراة لوط المحتوم لهما بالشقاوة وان كانتا تحت نبيين مرسلين
والمثل للمومنين باسية بنت مزاحم وان كانت تحت جبار قد ادعى الالهية والمحتوم
لها بالسعادة وكذلك مريم ابنة عمران المحتوم لها بالسعادة وان كان قومها
وقوم ابيها كافرين كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق به قضاوه فقال تبارك

الذي تعالى وتعاظم الذي بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر وكثيرا ما جاء
نسبة اليد اليه جل وعلا كقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله بيدك الخير
وذلك في حقه استعارة لتحقيق الملك اذ كانت اليد في عرف الادميين اله للتمليك
وروى عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سورة في القران
ثلثين اية تستغفر لصاحبها حتى يغفر له تبارك الذي بيده الملك رواه اهل
السنن الاربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن ٥ وقد روى الحافظ ابن عساكر
في تاريخه في ترجمة احمد بن نصر بن زياد ابي عبد الله القرشي النيسابوري الزاهد
الفقيه احد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين
وروى عنه الترمذي وابن ماجة وجماعة سواهم ساق في سنده من حديثه عن
ابن السايب عن الزهري عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رجلا كان ممن قبلكم مات وليس معه من كتاب الله الا تبارك فلما وضع في قبره
اتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وانا اكره شيا
واني لا املك لك ولا له ولا لنفسي ضرا ولا نفعا فان اردت هذا به فانطلقي الى الرب نك
تبارك وتعالى فاشفعي له فتنطلق الى الرب فتقول يا رب ان فلانا عمد الي من بين كتابك
فتعلمني وتلاني افتحرقه انت بالنار وتعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذلك به فامحني من
كتابك فيقول الله لها الا اراك غضبت فتقول وحق لي ان اغضب فيقول اذهبي فقد
وهبته لك وشفعتك فيه قال فتجيء فتزجر الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه
بشيء قال فتجيء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فربما
وعاني ومرحبا بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتونسه في قبره مخافة الوحشة
قال فلما حدث بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير ولا حر
ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية وهذا ضعفه
الامام احمد والبخاري وابن حاتم والدارقطني وقد ذكره ابن عساكر من وجه اخر
عن الزهري من قوله مختصرا وروى البيهقي في كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعود
موقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا ٥ وقال الترمذي عن ابن عباس ضرب بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا انسان يقرا سورة

الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبايي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا انسان يقرا سورة تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه ۞ قوله تعالى تبارك قد تقدم انه تفاعل من البركة وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة ۞ وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشا ويذل من يشا ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع ۞ وقال الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو على كل ما يوجد قدير ۞ وقوله وهو على كل شي قدير وانا سبب الملك ذكر وصف القدرة لان الذي على كل شي قدير هو الملك والمالك للملك قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور

اخبر تعالى بتمجيد نفسه الكريمة وان بيده الملك وهو المتصرف في جميع مخلوقاته بما يشا لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال وهو على كل شي قدير والذي هو على كل شي قدير هو خالق الموت والحيوة ۞ واحتج اهل السنة بقوله وهو على كل شي قدير انه لا مؤثر الا قدرة الله تعالى ۞ وابطلوا القول بالطبايع كقول الفلاسفة ۞ وابطلوا القول بالمتولدات ۞ وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله وهو على كل شي قدير فخلق الموت في الدنيا والحيوة في الاخرة وقدم الموت على الحيوة لان الموت الى القهر اقرب ۞ وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وكان قتادة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حيوة ثم دار موت وجعل الاخرة دار جزا ثم دار بقا ۞ وعن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت ۞ وقيل انما قدم الموت على الحيوة لان من نصب الموت بين عينيه كان اقوى الدواعي له الى العمل ۞ وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل ان الموت والحيوة جسمان فالموت في هيئة كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل عليه السلام يركبها خطوتها مد البصر لا تمر بشي يجد ريحها

الا حيي وهي التي اخذ السامري من تراب حافرها فالقاه في العجل فصار له خوار حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي ۞ عن مقاتل والكلبي خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحيوة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار بشرا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليتعبدكم ويمتحنكم بامره ونهيه فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه ثم قال ايكم احسن عملا ولم يقل ايكم اكثر عملا اي ايكم اخلص عملا واصوبه ۞ وقال الحسن ايكم احسن عملا اي ازهد في الدنيا واترك لها ۞ وقال ابو قتادة الانصاري قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ما عني به قال يقول ايكم اتم عملا واشد خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته ۞ قوله تعالى وهو العزيز الغفور اي المنيع فلا يغالب اذا عاقب المذنب الغفور الذي يستر ذنوب التايب ۞ وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب ۞ قوله تعالى

[illegible]

قال ابو عبد الله الرازي دلت هذه الاية على قدرة الله تعالى من وجوه احدها من حيث بقاوها في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها من حيث ان كلا منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه خص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين في السرعة والبطو الى جهة معينة ورابعها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها الى قادر تام القدرة ۞ وقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت شي شيا فيقع الخلل لعدم استوايها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق ۞ وقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا كان احسن ۞ وقيل من التفاوت الفطور لقوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور

ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع وانه لم يخلقها عبثا ه والخطاب في قوله ما ترى في
خلق الرحمن اما للرسول عليه الصلوة والسلام واما لكل احد وقال الزمخشري قوله
خلق الرحمن تعظيم لخلقهن وتنبيه على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه
بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب انتهى ه ولما اخبر تعالى انه لا
تفاوت في خلقه امر بترديد البصر في الخلق المتناسب لانك ان رجعت البصر وكررت
النظر لطلب تفوق او خلل ارجع البصر اليك مبعدا عما طلبته وهو كالآيس من
كثرة النظر وقوله خاسئا قال ابن عباس ذليلا وقال مجاهد وقتادة صاغرا ه
وقوله وهو حسير قال ابن عباس وهو كليل وقال مجاهد وقتادة والسدي الحسير
المنقطع من الاعياء والمعنى لو كررت البصر مهما كررت رجع اليك البصر خاسئا
اي عن ان يرى عيبا او خللا وهو كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ه قوله
تعالى [illegible]
[illegible] وجه المناسبة ان الاية السابقة على كمال علم
الله وقدرته وذلك ان السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان
وكل فاعل كان فعله متقنا فلابد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى
عالما بالمعلومات فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة
فلما وصفها باحكامها واتقانها ان ليس بها من فطور ذكر في هذه الاية زينتها ه روى
البغوي عن كعب الاحبار انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمر بيضاء والثالثة
حديد والرابعة صفر او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور ه قوله ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح اي السماء القربى لانها اقرب السموات الى الارض والمعنى السماء
الدنيا من الناس بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمي الكواكب مصابيح لاضاءتها
وسماها زينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد
زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح الانوار وجعلناها رجوما
للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر فمن تاولها غير ذلك فقد تكلف

ما لا علم له به ويتعدى طوره وقال الرازي مرة ان السبب في الرجوم ان الجن
كانت تسمع خبر السماء فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورصد
الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض
فيلقيه الى الناس فيختلط على النبي صلى الله عليه وسلم امره ويرتاب الناس ه قال
الرازي ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب مذكور في
كتب الفلاسفة القدماء ه وثانيها ان الجن اذا شاهدوا واحدا منهم يستمعون
فيحترقون فكيف يعودون لذلك ه وثالثها ان ثخن السماء مسيرة خمسمائة
سنة فالجن لا يقدرون على خرقها لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور وتحتها يسمعون
من السمع لاسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم واذا سمعوه من ذلك البعد فلم
يسمعوا كلام الملائكة حال كونهم في الارض ورابعها ان الملائكة انما اطلعوا على
الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او تلقوها من وحي الله
وعلى التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من معرفتها ه وخامسها
ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار فكيف يحرقونها ه وسادسها ان كان
هذا القذف لاجل النبوة فلم بقي بعدها ه وسابعها ان هذه الرجوم
انما تحدث بالقرب من الارض لانا نشاهدها بالعين مع البعد لا نشاهدها
كما لا نشاهد حركات الكواكب ه وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملائكة
عن المغيبات الى الكهنة فلم لا ينقلون اسرار المؤمنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار
بذلك الى الحاق الضرر بالمؤمنين ه وتاسعها لم لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود
الى السماء [illegible] عن الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل بعث
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] انه اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قدر الله
على طائفة منها الحرق لطغيانهم فقيض لها من الدواعي ما يقدمها على العمل المفضي
الى هلاكها [illegible] ثانيها انما يمنع لو ثبت ان الفلك ما ذكروه بل البعد بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة عام [illegible] ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من
اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية

اذا حدث شيء هذا قالوا كذا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلى الله عليه وسلم
انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن الله تعالى اذا قضى امرا في السماء سبحت حملة
العرش ثم سبح اهل السماء وسبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء
ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك
الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء فتخطفه الجن فيرمون فما جاءوا
به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه ان بالرجوم قد تكون اقوى من زمنهم
الجن انه عليه الصلاة والسلام اخبر ببطلان الكهانة فلو لم يرموا
لعادة الكهانة وذلك يقدح في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان البعد كبير مانع من السماء عندنا قوله تعالى اقدرهم على استماع الغيوب
عن الملائكة وعجزهم عن ايصال اسرار المومنين الى الكافرين ان الله
تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ○ قوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير لما
ذكر تعالى منافع الكواكب وذكر من جملة المنافع انها رجوم للشياطين قال بعد ذلك
واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا
عذاب السعير في الاخرة وهو اشد الحريق ○ قوله تعالى
اي يقول اعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبئس المصير وبئس المنقلب وهذا الوعيد لكل من كفر بالله من الشياطين والانس
ثم انه تعالى وصف ذلك العذاب بصفات اولها قوله تعالى
اي
اذا القيت الكفار في جهنم سمعوا لها شهيقا قال ابن عباس الشهيق لجهنم
عند القاء الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير وقال عطاء الشهيق من الكفار
عند القائهم في جهنم ○ وقال مقاتل سمعوا لجهنم شهيقا قال الرازي ولعل المراد
تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو صوت الحمار ○ وقال المبرد هو والله اعلم
تنفس كتنفس المتغيظ قال الزجاج سمع الكفار للنار شهيقا وهو اقبح الاصوات
وقيل سمعوا من انفسهم شهيقا قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق وقد مضى في سورة

هود

هود الكلام على الزفير والشهيق وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

تركتم قدركم لا شيء فيها ○ وقدر القوم حامية تفور

قال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب في القدر عند غليان مايها ○ وقال ابن عباس تغلي
بهم على المراجل وهذا من شدة اللهب والغضب قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
احد النار الا وهو يعلم انه اولى بها من الجنة ○ وقوله تكاد تميز من الغيظ وهذه استعارة
من قولهم يتميز فلان من الغيظ اي انفصل بعضه من بعض من الغيظ ومثله في وصف كلب
اشتد عدوه يكاد يخرج من اهابه قيل لعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلي عند
الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى تكاد تتمزق وقال سعيد بن
جبير تكاد تميز من الغيظ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض ○ وقال ابن عباس والضحاك
وابن زيد تتفرق من شدة الغيظ على اعداء الله ○ قوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير اي ينذركم بهذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذير اليهم وقال
الزمخشري اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وجل ازاح عللهم ببعثة الرسل
وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما امروا به
واوعدوا على ضده انتهى قوله قد جاءنا نذير اريد به الجمع اي اتانا الرسل فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء كان سؤال الملائكة لهم سؤال تقريع فاجابوهم بالصدق حيث
علموا ان لا فائدة لهم في الكذب وقوله قيل هذا جواب
الملائكة لهم اي ما انتم ايها القائلون الا في خطاء عظيم والبيان حال سوء الكافر
عند اقراره على نفسه بالتكذيب لمن جاءه ونسبته اياه الى ضلال كبير مع الاعتراف بانه
لو عمل بما سمع ما صار الى عذاب السعير ○ قوله تعالى
قيل احتج بهذه الاية من قال ان الدين لا يتم
الا بالتعليم لانه قدم السمع على العقل فدل على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد
ثم يترتب عليه تامل السامع فيما تلقفه من العلم واجيب بانه انما قدم السمع لان
الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعي فان المراتب انه يسمع كلامه ثم يتفكر فيه
فلما كان السمع مقدما على التعقل لاجرم قدم عليه في الذكر ○ واحتج ايضا بهذه
الاية في فضل السمع على البصر قالوا لانه جعل للسمع مدخلا في الخلاص من النار والفوز

بالحسة والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون السمع افضل من البصر ه وقيل احتج ايضا بهذه
الاية من قال ان معرفة الله وشكره لا يجبان لا بعد ورود الشرع قالوا لانه تعالى انما عذبهم
لانهم اتاهم النذير فدل على انه لو لم ياتهم النذير لم يعذبوا فالسمع اذا من هذا
الوجه افضل من البصر ه قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي بعدا للمومنين رحمه الله ومن كراماته قال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد
في جهنم يقال له السحق وقيل هو على الدعاء وقيل هو تعليم من الله تعالى لعباده ان
يدعوا عليهم به ه قوله تعالى [illegible]
تقدم الكلام على يخشون ربهم بالغيب في قوله من خشي الرحمن بالغيب والمعنى
ملخصا اي يخافون الله ويخافون عذابه الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيمة وهذا
اخبار عمن خاف مقام ربه فيما بينه وبينه اذا كان غايبا عن الناس فينكف عن
المعاصي ويقوم بالطاعات لانه لا يراه احد الا الله تعالى له مغفرة واجر كبير
اي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين سبعة يظلهم
الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجلا دعته امراة ذات منصب
وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما
تنفق يمينه ه قوله تعالى [illegible]
[illegible] اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر اي ان اخفيتم كلامكم في امر محمد
صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بما في القلوب من الخير والشر
قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم
فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لا يسمعكم رب محمد فنزلت ه
وقيل انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم
على اي سبيل وجد فالحال واحدة في علمه بها فاحذروا من المعاصي سرا كما
تحترزون منها جهرا فان ذلك لا يتفاوت بالنسبة الى علم الله تعالى انه عليم
بذات الصدور [illegible] اي ما خلق ودل
على ان الله خالق افعال العباد ظاهرها وباطنها والمعنى الا يعلم الخالق مخلوقه
ويدل عليه قوله وهو اللطيف العالم بدقايق الاشيا الخبير العالم بحقايق الاشيا

فاللطيف

فاللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ومعنى الاية الا يعلم السر من خلق
السر يقول تعالى انا خلقت السر في القلب افلا اكون عالما بما في قلوب من خلقت قال اهل
المعاني ان شيت جعلته من اسما الخالق عز وجل ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شيت
جعلته من اسما الخالق عز وجل ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شيت جعلته من اسماء
المخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه ه وقال
ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل
اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ه وقال ابو اسحق الاسفرايني من اسما صفات الذات ما هو
للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون
قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص
بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شي ومنها الحافظ ويختص بانه
لا ينسى شيا ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل اشتداد الريح
وتساقط اوراق الشجر فيعلم عند ذلك اجزا الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو
الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ه ووجه المناسبة انه تعالى
لما قال انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه عالم فقال الا يعلم من خلق الاية والمعنى
ان من خلق لا بد ان يكون عالما بما يخلقه لان الخلق هو الايجاد والتكوين على سبيل
القصد والقاصد الى الشي لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية ه
وقال الرازي نقول لو كان العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها
وهو غير عالم بتفاصيلها ه قوله وهو اللطيف الخبير قيل هو العالم بالاشيا اللطيفة
التي يخفى علمها على اكثر العالمين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيب ويراد
به دقايق تدبيره لهم وهذا اقرب والا كان ذكر الخبير بعده تكرارا ه قوله تعالى
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه
النشور وجه المناسبة ان الله تعالى لما بين الدليل لكونه عالما بما يسرون وما يعلنون
ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اسا اليه سرا
يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها لك وكل هذا

الخبز الذي هيأناه لك ولاتا من يا ديني فكانه تعالى يقول يا ايها الكفار انا عالم بسركم
وجهركم وضمائركم فخافوني فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم ولو شئت خسفتها بكم ٥
وقيل الاية منة منه تعالى بقوله الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد الذي يذل
لك اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالغلظة والحزونة فامشوا في مناكبها
اي فسافروا حيث شئتم من اقطارها وترددوا في اقاليمها وارجائها في التجارات وانواع
المكاسب واعلموا ان سعيكم لا يجدي عليكم شيئا الا ان ييسره الله لكم ولهذا قال كلوا
من رزقه واليه النشور اي المرجع يوم القيامة ٥ وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي مناكبها اطرافها وفجاجها ونواحيها ٥ وقال ابن عباس وقتادة
ايضا مناكبها الجبال ٥ وقال ابن ابي حاتم سالت عمرو بن حكام الازدي حدثنا شعبة
عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب انه قرا هذه الاية فامشوا في مناكبها
فقال لام ولد له ان علمت ما مناكبها فانت عتيقة قالت هي الجبال فقال لابي الدرداء
ما مناكبها فقال هي الجبال ٥ وقوله فامشوا في مناكبها امر بالتصرف فيها
والاكتساب وهو امر اباحة وفيه اظهار الامتنان والله اعلم ٥ ثم اخبر
عن توبيخه اياهم وسواله سوال التهكم لازدرائهم ٥ وهو قوله تعالى
[illegible]
ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
[illegible]
ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو
ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
[illegible]
ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت
[illegible]
اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن

امنا

امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
[illegible]
[illegible] وجه المناسبة للاية السابقة ان الله تعالى
بمنه ورحمته لما سخر لهم الارض وذللها لهم وهيا فيها منافعهم ومواضع مزدرعها نعم
ونمادهم وسهل طرقاتها للاسفار والتجارات وجعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب
بما جعل فيها من الجبال الرواسي فيها من العيون وهيا فيها من المنافع وامر بالمشي في مناكبها
فسافروا حيث شئتم من اقطارها وترددوا في اقاليمها وارجائها وفجاجها ونواحيها
وقوله وكلوا من رزقه وهو ما هيأه لكم من الاغذية الدسمة من الحيوان والنبات
والثمار والفواكه ولما فرغ من طرد نعمه عليهم من تذليل الارض لهم وما عسى ان تسرد
نحن من النعم التي اوجدها لنا في الارض بين في هذه الاية امنتم من في السماء وهذه الاية
فيها اشكال كبير وهو ان الله تعالى ليس بمتحيز في جهة من الجهات تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا بل يكون المعنى امنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض فهو تعالى
لما سرد في تلك الاية نعمه التي هياها في الارض اتبع ذلك بتهديد الكفار الذين
يا كلون نعمه ويكفرون به وقيل في الاية بمعنى على اي على السماء كقوله تعالى ولاصلبنكم في
في جذوع النخل اي على جذوع النخل وانما احتيج الى ان في بمعنى على ان اعتقد ان من
واقعة على الباري وهو الظاهر وقد ثبت بالدليل القطعي ان الله جل وعلا ليس
بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك وان كانت على بابها المراد الملائكة
سكان السموات الذين يتولون بامر الله الرحمة والنقمة وقيل المراد جبريل عليه
السلام لانه الموكل بالخسف وغيره من العذاب ٥ وقيل هذه الاية لا يمكن اجراؤها
على ظاهرها باتفاق المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب
فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش
وهو باطل بالاتفاق وامنتم من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته
وخص السماء بالذكر لانها مسكن ملائكته ثم علاها كرسيه وعرشه واللوح المحفوظ
ومن السماء ينزل قضاؤه وكتبه وامره ونهيه والاجماع منعقد على انه تعالى ليس في السماء

بمعنى الاستقرار واما المشبهة والمجسمة قالوا انه على العرش لا في السماء ﴿ه﴾ وقوله ان يخسف
بكم الارض وهو ذهابها سفلا فاذا هي تمور اي تذهب وتموج كما يذهب التراب في الريح
وقد يكون المعنى أأمنتم من في السماء اي خالق من في السماء ان تخسف بكم الارض كما خسفها
بقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب بالذهاب والمجيء كقوله

رمين فاقصدن القلوب ولن ترى دما مائرا الا جرى في الحيازم

الحيزوم وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقيل ان الله
تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون
فيها والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل السافلين والاخبار في هذه الاية كثيرة
صحيحة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها
توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالتحيز والمكان
والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعاء الى السماء لانها مهبط
الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع اعمال
العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة وانه خلق
الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان وهو
الآن على ما عليه كان ﴿ه﴾ قوله تعالى [illegible]
[illegible] قال ابن عباس اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب
الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب
فيها حجارة وقوله فستعلمون كيف نذير النذير ههنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله
عطاء عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين لا ينفعكم
ذلك وقيل انه بمعنى الانذار فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسل
ويعلمون انه لا خلف لخبري ولا مانع لعذابي ﴿ه﴾ قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي كذب من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الذين تقدموهم
فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم ثم [illegible]
[illegible] ووجه المناسبة ان الله تعالى
لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر في هذه الاية البرهان على كمال قدرته وهذه تنبيه على

الاعتبار بالطير وما احكم من خلقها ودل على عجز آلهتهم عن شيء من ذلك وناسب ذلك
الاعتبار بالطير اذ قد تقدم ذكر الحاصب وقد اهلك الله اصحاب الفيل والحاصب
الذي رموا به ففيه اذكار قريش بهذه القصة وانه تعالى لو شاء اهلكهم بحاصب
يرمى به الطير كما فعل باصحاب الفيل صافات اي باسطة اجنحتها صافتها حتى كانها
ساكنة ويقبضن يضممن الاجنحة الى جوانبهن وهاتان حالتان للطائر اي تارة يصففن
اجنحتهن في الهواء وتارة يجمع جناحا وينشر جناحا ما يمسكهن اي في الجو الا الرحمن
اي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه انه بكل شيء بصير اي بما يصلح كل شيء من
مخلوقاته وهذا كقوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿ه﴾ وقال الزمخشري صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمهن صفا ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن [illegible] لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات
لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء
والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن
صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى ﴿ه﴾ وملخصه
ان الغالب هو البسط فكانه هو الثابت فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر
عنه بالفعل ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وقوله انه بكل شيء بصير اي كما هيأ للطير
الهواء هيأ للناس الارض لولا انه الذي هيأ لكل ما يصلحه ﴿ه﴾ قوله تعالى [illegible]
[illegible] قال ابن عباس
جند لكم اي حزب ومنعة ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم الرحمن من
العذاب ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذي هو جند لكم وهذا
استفهام انكار اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من سوى ال
الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب [illegible]
[illegible]
ابن عباس جند لكم اي حزب ومنعة ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم

الرحمن من العذاب ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذي هو جند
لكم وهذا استفهام انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من سوى
الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب
[illegible] اي ان كفار مكة
كانوا يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه الصلوة والسلام معتمدين على
شيئين احدهما قوتهم بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم وعددهم والثاني
اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات
فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الاية ورد عليهم
الثاني بقوله امن هذا الذي يرزقكم الاية والمعنى من هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم
منافع الدنيا من المطر ان امسك الله رزقه عنكم وهذا لا ينكره ذو عقل وهو
انه تعالى ان امسك اسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق
سواه فعند وضوح هذا الامر قال تعالى بل لجوا في عتو ونفور اي تمادوا
واصروا في عتو اي طغيان ونفور اي تباعد عن الحق واعراض عنه قوله تعالى
افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى [illegible]
قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيمة وان الكفار يمشون فيها على وجوههم
والمؤمنون يمشون على اقدامهم مستقيمين القامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم
كيف يمشي الكافر على وجهه فقال ان الذي امشاه في الدنيا على رجليه قادر ان يمشيه
في الاخرة على وجهه فالمشي على قول قتادة حقيقة وقيل هو مجاز ضرب مثلا
للكافر والمؤمن في الدنيا وقال المفسرون من يمشي مكبا على راسه لا ينظر امامه
ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا
ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله وانما التابيد لقول قتادة ان الكافر لما
اكب على معاصي الله في الدنيا يحشره الله يوم القيمة على وجهه وقال ابن عباس
والكلبي الذي يمشي مكبا على وجهه ابو جهل والذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل نزلت في ابي جهل وقيل هو عام في الكافر والمؤمن لان الكافر لا يدري
على حق ام على باطل اي اهذا الكافر اهدى ام المسلم الذي يمشي سويا معتدلا

اي مستقيم

وقيل

وقيل ان الكافر في اضطرابه وتعسفه في عقيدته وتشابه الامر عليه كالماشي في
انخفاض وارتفاع كالاعمى يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه واما المؤمن فانه لطمانينة
قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح البصر مستويا على طريق واضح
الاستقامة نظره صحيح ومسلكه لا صعوبة فيه ولهذا قال وهو على صراط مستقيم
وهو الاسلام قوله تعالى [illegible]
[illegible] امر الله تعالى نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع
اعترافهم ان الله خلقهم وجعل لهم السمع والابصار والافئدة اي القلوب ثم امر
الله تعالى نبيه ان يقول للذين يكذبون بالبعث ان الذي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة تسمعون وتبصرون وتعقلون قادر على بعثكم وانتم ما تشكرونه على هذه
النعم التي انعم بها عليكم وعدم الشكر انهم ما يستعملون هذه الجوارح في طاعته
وفي امتثال اوامره وترك نواهيه
اي قل هو الذي ذراكم اي براكم في اقطار الارض وارجائها مع اختلاف السنتكم
في لغاتكم والوانكم وحلاكم واشكالكم واليه تحشرون بعد فنائكم محكم كما
بداكم ثم انه تعالى اخبر ايضا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه
[illegible] وكانوا يقولون ذلك على وجه السخرية
والاستهزاء وكانوا يقولون فيه ايها الا للضعفة ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال
فقال [illegible] اي قل لهم يا محمد علم قيام الساعة
عند الله فلا يعلمه غيره ونظيره قل انما علمها عند ربي الاية وانما انا منذر لكم ومبين
حالكم في ذلكما اليوم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد فقال
[illegible] اي اذا راوا العذاب الذي وعدوه
في المحشر قريبا منهم سيئت وجوههم اي وردت عليهم منه ما ساءهم واخزاهم
وخص الوجوه بالذكر لان الوجه هو الذي يظهر عليه اثر المسرة والمساءة وقيل
لهم الملائكة والانبياء هذا الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا وتجتمعون على الدعا
به كقوله امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وكقوله عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب قال مجاهد ارادوا به العذاب في الدنيا وهو ما حل بهم يوم

[illegible]

يدرون وقال ابن عباس سيئت اي اسودت وعلتها الكآبة والقترة يقال
ساء الشيء يسوء اذا قبح فمعنى سيئت وجوههم اي قبحت وبان عليها الكآبة
وغشيها الكسوف والقترة ٥ وقال الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك
العذاب وظهر على وجوههم سيمة تدل على كفرهم وقالت لهم الزبانية
هذا الذي كنتم به تدعون ٥ قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله
الجاحدين لنعمه وهم مشركوا مكة كانوا يتمنون موت النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم ان اهلكنا او رحمنا
فاخرنا فمن يجيركم من عذاب الله فلا حاجة لكم بالتربص بل اعملوا على خلاص
انفسكم فانه لا منقذ لكم من عذاب الله الا بالتوبة والانابة والرجوع الى دينه
ولا ينفعكم وقوع ما تتمنونه لنا فسوا اعذبنا الله او رحمنا فلا مناص لكم من نكاله
وعذابه الاليم الواقع بكم ٥ قوله تعالى [illegible]
[illegible] وجه المناسبة انه تعالى لما امر نبيه ان يقول
لهم ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجيركم من العذاب الذي سببه كفركم
بالله فلما قال او رحمنا قال في هذه الآية هو الرحمن ثم ذكر ما به النجاة وهو الايمان
والتفويض الى الله بالتوكل عليه ولهذا قال فستعلمون من هو في ضلال مبين اي
منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ثم قال
[illegible] وجه المناسبة لما امر الله نبيه ان يقول لهم قل
ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا الآية وقد قدمنا ان الكفار كانوا يدعون
على نبينا صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله
قل ارايتم ان كان الذي تتمونه لنا جرى فينا او ارايتم ان رحمنا الله بنصرنا
عليكم ولم يهلكنا فمن ينقذكم من العذاب الذي وجب لكم لكفركم بل الذي امنا
به هو الرحمن الذي توكلنا عليه هو الذي يريكم عاقبة امركم ومن هو في طريقة
الضلال المبين ثم في هذه الآية هددهم بتغوير ماءهم الذي هو حيوة انفسهم
ان اصبح غائرا في الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فيقال

لهم

لهم فلم تشركون به من لم يقدر على ذلك ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن
والحمد لله على ما من علينا به من نعمة الايمان وعلمنا بفضله كتابه القرآن ٥ اللهم
يا مجيب دعوة المضطرين ٥ وكاشف الضر عن المؤمنين خفضت قوما بجحودهم
للحق ورفعت قوما بركونهم الى الصدق ٥ فمن ذكرته في الازل بالطرد والاهانة
خفضته ٥ ومن ذكرته بالرحمة والكرامة رفعته ٥ اسألك بنبيك المصطفى ورسولك
المجتبى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تنصرني على اعدائي واعدائك وتلقني
بخفية من ستر اسمائك ارفع بها من خفض جناحه لاوليائك واهل بيتك واخفض
بها من عتر وارتفع بغيرك لا بغيرها حسب تصريف في الوجود يا مالك يا معبود ٥
انت المحسن الكريم والفتاح العليم ٥
ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا
غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو
[illegible]
لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال
[illegible]
الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك
وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم
[illegible]
وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال
اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل
[illegible]
ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ٥ التفسير قوله تعالى [illegible]
هذه السورة مكية ولا خلاف

فمنها انا ان وحسبون اية ومناسبتها لسابقتها ان الله تعالى ذكر في التي قبلها اشياء من
احوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شاء
لخسف بهم او لارسل عليهم حاصبا تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي
وكان الكفار مرة ينسبونه الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدا الله
تعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه وعظم اجره على صبره على
اذاهم وبالثناء على خلقه وقال ابن عباس نون اسم للحوت الذي على ظهره الارضون
وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى ابو ظبيان عن ابن عباس انه
قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون
فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر
على الارض وقد اكثر المفسرون فيه الكلام واختلفوا اختلافا بينا والاسلم فيما
قالوه عظيم امر لهو حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام في حروف الهجاء في
اول سورة البقرة وما جرت بقول فيها ساير المفسرين وارجوا من الله الكريم ان
اكون انا الصايب في ذلك القول وبحر القول فيه بما اغنى عن اعادته وقد الحقتها
بلاحقة ومن جملتها ان يكون سابقة في اول سورة آل عمران في التفسير المختصر بانشاء
اللسان ما ورد من فتح الرحمن وهو انشاء الخاطر في الوقت الحاضر تجده عقب
وضعي بالاحمر الاشارات اللطيفة بالعبارات المنيفة بالخط هناك ما وضعته
تتفقه فيما قلته واعلم ان قوله نون كقوله ص وق ونحو ذلك من الحروف المقطعة في اوائل
السور واما المراد بقوله نون حوت عظيم على تيار الماء العظيم وهو حامل الارضين
السبع كما قال الامام ابو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفين الثوري
حدثنا سليمان هو الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم قال
اكتب قال وما اكتب قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى يوم قيام
الساعة ثم خلق النون ورفع بخار الماء فخلق منه السموات وبسطت الارض على ظهر
النون فمادت فثبتها بالجبال ولذلك الجبال تفخر على الارض كذا رواه ابن ابي حاتم
عن احمد بن سنان عن ابي معاوية عن الاعمش كذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع
عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس واما القلم المقسم به ففيه قولان احدهما

ان المراد

ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى
خلق الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب
والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم ثم
قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة من اجل وعمل
ورزق وغير ذلك ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال وهو قلم
من نور طوله كما بين السماء والارض هذا رواية مجاهد وقد تقدمت الاخرى قال اكتب
القدر فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة وانما اجرى الناس على امر قد فرغ منه والمراد منه
ان الله تعالى اجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه
ليس هناك امر ولا تكليف بل مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا
مدافعة ثم خلق الله العقل وانه كالاصل لجميع المخلوقات والدليل عليه ما روي
في الاخبار ان اول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال
الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولا
انقصنك فيمن ابغضت ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس
عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة
فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من
الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان
القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد والا لحصل
التناقض وقوله وما يسطرون اي وما يكتبون من بعد الملايكة يكتبون اعمال
بني ادم وقيل ما يكتبون الناس ويتفاهمون به ويحتمل ان يكون المراد به المسطور
والمكتوب فان حمل القلم على كل قلم في مخلوقات الله تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما
يكتب بكل قلم وقيل المراد وما يسطرون الحفظة الكرام وان حمل على القلم المعين
فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي وما يسطرون اي وما يسطرون فيه وهو
اللوح المحفوظ وانما [illegible] وقوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم
ويكون المراد ذلك الاشيا التي سطرت فيه من جميع الامور الكاينة الى يوم القيمة

وقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون قد تقدم الكلام على نظيره في سورة الطور في قوله فما انت
بنعمة ربك بكاهن وهو رد لتكذيب مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لمجنون
فاكذبهم الله واظهر ان قولهم عليه بهتانا وعدوانا لان الله تعالى انعم عليه بوفور العقل
واستكمال خصال الخير ما لم ينعم على احد من خلقه بمثله ❁ قوله تعالى وان لك لاجرا
غير ممنون اي بل لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغك
رسالة ربك الى الخلق وصبرك على اذاهم ومعنى غير ممنون اي غير مقطوع ❁ وقال
مجاهد غير ممنون اي غير محسوب [illegible] ولا مدح فوقه فيما وصف الله
تعالى بالعظم ومن [illegible] نهايته وهو منزه له عن كل عيب يكون في الاخلاق ووصفه بالتحلي
بكل محاسن الاخلاق وسئلت عايشة رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت كان خلقه القران يعني ما ادبه القران وامره الله تعالى به وامرهم به
اهل الايمان من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لامره والتشدد على اعدائه
والتذلل لاوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم واكرامهم على حاجاتهم والاحسان
لاداهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خير الدارين والتعفف عن اموالهم
والحلم عن جهالهم وخفض الجناح لهم لم يتغير ذلك في حال من الاحوال ❁ وروي
ان سعد بن هشام سال عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الم
تقرا القران قال بلى قالت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القران ❁ وقال قالت
عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة عن سعيد بن هشام قال سالت عايشة
رضي الله عنها فقلت خلقه القران هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الامام
مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله ❁ ولما مدح الله تعالى الانبياء وصف
كل نبي بصفة ثم قال له فبهداهم اقتده ففعل فصار مستجمعا لكل خصال الخير وكان
كل واحد منهم مخصوصا بخصلة نوح بالشكر وابرهيم بالحلم وموسى بالاخلاص
واسمعيل بصدق الوعد وايوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى
بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل ولما نزل جبريل بقوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين قال لقد اتيتك بمكارم الاخلاق صل من قطعك واعط من حرمك
واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وكانت تقول له خديجة رضي الله عنها

ذا لا

فلما نزل اليه جبريل وخاف ذلك قالت له انك لتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب
المعدوم وتصل الرحم وتعين على نوائب الحق واعلا ذلك كله ما كان في ليلة
المعراج حيث وصفه الله تعالى بقوله ما زاغ البصر وما طغى وغدا يقول كل رسول
نفسي نفسي وهو يقول امتي امتي فهذا خلقه وقوله وانك لعلى خلق عظيم سمي عظيما
لاجتماع مكارم الاخلاق فيه من كرم السجية وبراعة القريحة والملكة الجميلة
وجودة الضرائب وما دعاه احد الا قال لبيك وقال ان الله تعالى بعثني لاتمم
مكارم الاخلاق ووصى ابا ذر فقال وخالق الناس بخلق حسن وعنه صلى الله عليه
وسلم ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم
احبكم الى الله احسنكم اخلاقا ❁ قوله تعالى فستبصر ويبصرون بايكم المفتون
وهذا وعد له ووعيد لاعدائه اي فستبصر انت ويبصر هؤلاء الذين يجحدون
نبوتك وينسبونك الى الجنون بايكم المفتون اي المبتلى بالجنون لانه لا يفكر
في عاقبة امره ولا يحسن النظر لنفسه سيظهر في العاقبة ان هذه الصفة التي
وصفوك بها انما هي صفتهم لان قوله بايكم المفتون اي بايكم المجنون وقيل بايكم
المفتون [illegible] الترداد بين امرين معلوم نفي الحكم عن احدهما وهو ان
[illegible] ليس بمفتون [illegible] مفتون وكان [illegible] المفتون بمعنى الفتنة
والمفتون [illegible] وهذا ايضا راجع الى الجنون فان المفتون ليس له عقل ولا عقد
[illegible] ❁ وقال مجاهد بايكم المفتون الشيطان لانه مفتون في دينه ومعناه بايكم
الشيطان الذي يكون منه مس الجنون ❁ قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا وعيد للمصرين على الخيبة حيث كانت
لهم عقول لم ينتفعوا بها ولا استعملوها في اتباع ما جاءت به الرسل والمعنى ان
الله هو العالم بمن حاد عن سبيله نزلت هذه الاية في بني المغيرة منهم الوليد بن
المغيرة وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة وابو حذيفة بن المغيرة وعبد الله بن عمرو
بن مخزوم وعثمان بن نوفل ابنا عبد الله بن المغيرة ❁ قوله تعالى فلا تطع المكذبين
[illegible] فيه نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الي

ان تلطف عنهم ليلطفوا عنه فبين الله تعالى ان ما يلقيهم كفروا في قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا ٥ وقيل فلا تطع المكذبين مما يدعونك اليه من دينهم
الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى دين آبائه والمكذبين هم الذين كذبوا
ما انزل الله عليك من الوحي وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء مما دعوه اليه من تعظيم آلهتهم
وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس لو تكفر فيكفرون وقال ابن عباس ايضا
والضحاك وعطية والسدي لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس لو تلين فيلينون وقال
ابن عباس ايضا والضحاك وعطية والسدي لو تدهن لو تكفر فيتمادون في الكفر وعنه
ايضا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون
معك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم وقال الربيع بن
انس لو تكذب فيكذبون وقال ابو جعفر لو تضعف فيضعفون وقال الكلبي والفرا
لو تلين فيلينون وقال ابان بن ثعلب لو تحابي فيحابون وقالوا غير هذا من الاقوال
وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل اهل اللغة ٥ قوله تعالى ولا تطع
كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم
قوله لا تطع كل حلاف مهين قال السدي والشعبي وابن اسحق يعني الاخنس بن شريق
وقال مجاهد يعني الاسود بن عبد يغوث وعبد الرحمن بن الاسود ٥ وقال
مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان
يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير
الحلف والمهين تقدم في سورة الزخرف ٥ وقال مجاهد هو الضعيف القلب ٥
وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين ٥ وقال الحسن وقتادة هو
المكثار في الشر ٥ وقال الكلبي المهين الفاجر ٥ وقال عبد الله هو الحقير ٥
وقال ابن بحر هو الذليل ٥ وقال الرماني هو الوضيع لاكثاره من القبيح وذلك
لضعفه ومهانته انما يتقي بايمانه الكاذبة التي يجتري بها على اسماء الله واستعمالها
في كل وقت في غير محلها ٥ وقوله هماز مشاء مبالغة من الهمز اي عياب
وقاع في الناس ٥ وقال ابن عباس مغتاب ٥ وقوله مشاء بنميم يعني الذي يمشي

بين

بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين ٥ وقد ثبت في الصحيحين
من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين
فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما
الاخر فكان يمشي بالنميمة الحديث واخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات يعني نماما ٥ وقيل ان رجلا
جلس الى حذيفة فقيل ان هذا يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم او قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات ٥ وقوله مناع للخير
معتد اثيم صفتان مبالغة والظاهر ان الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير
وقيل الخير هنا المال يراد مناع للمال عبر به عن الشح معتد متجاوز الحد في الظلم
وفي حديث شداد بن اوس قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما العتل الزنيم قال
الرحيب الجوف الوثير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم ٥ وقال الزمخشري
جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على
كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها والزنيم الملصق
في القوم وليس منهم قاله ابن عباس وغيره ٥ وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال
وعن ابن عباس ايضا الزنيم الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة ٥ وروي ان الاخنس
بن شريق كان بهذه الصفة ٥ وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم هو الذي يعرف
بالشر كما تعرف الشاة بالزنمة وعنه ايضا انه المعروف بالابنة وعنه ايضا انه
الظلوم ٥ وعن عكرمة هو اللئيم وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب انه ولد
الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ادعاه ابوه بعد ثمان
عشرة سنة من مولده ٥ والذي يظهر ان هذه الاوصاف ليست لمعين الا ترى الى قوله
كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع النهي عن طواعية من هو بهذه الصفات قال
ابو حيان والثابت ان الزنيم الدعي الملحق في قوم ليس منهم ٥ قال حسان بن ثابت
زنيم تداعاه الرجال زيادة ٥ كما زيد في عرض الاديم الاكارع
وقال آخر زنيم ليس يعرف من ابوه ٥ بغي الام ذو حسب لئيم
وقال ايضا حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ٥ وانت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقيل ان الوليد دخل على امه فقال ان محمدا اعني يعتبر خصال وجدت تسعة في نفسي واما الزنيم فلا علم لي به فان اخبرتني بحقيقته والا ضربت عنقك قالت له اسكن ولا صدقنك وتامل الا نفعك بما اقول لك والا فعافني اعلم ان اباك كان عنينا وخفت ان يموت فينقطع نسبه ويصرف ماله الى غيره فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي وقال اهل العلم ان الوليد الملعون عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه خلة واحدة وهي الجنون فاجابه الله تعالى عنه والزمه وسما مجتمعا اسما صدق مذمومة وهي فيه تجمعها هذه الاية فاذا كان من عدل الله جل وعلا ان كذب من سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم كذب بعشرة اسماء [واحدة] صدق قبيحة كان من فضله جل وعلا ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا ه قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين يقول الله تعالى لهذا مقابلة ما انعم الله عليه من المال والبنين كفر بايات الله واعرض عنها وزعم انها كذب ماخوذ من اساطير الاولين كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر وقال الله تعالى سأصليه سقر وقال هنا سنسمه على الخرطوم قال ابن جرير سنبين امره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وقال السدي عن ابن عباس سنسمه على الخرطوم فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف في القتال ه وقال اخرون سنسمه سمة اهل النار يسود وجهه يوم القيمة وعبر عن الوجه بالخرطوم ولا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والاخرة ه وقيل المعنى سنسم هذا الكافر سمة لا تفارقه ابدا ونلحق به عارا لا يفارقه دنيا واخرى ه وفعل ذلك بما انزل الله تعالى في القران من ذكر خصاله هذه عرفه بها الاولون والاخرون فكان ذلك سببا باقيا عليه وخصوص ذكر الخرطوم لان ذلك مما لا يتكتم كما يكتم ما في سائر البدن ه قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة يريد اهل مكة اي اختبرنا هولاء المشركين بما نعطيهم من الاموال والاولاد ليشكروا

ولا يطغوا ويمنعوا خيره فلما بطروا وعاندوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة كانت هذه بارض اليمن في قرية يقال لها ضروان وقيل صوران على فراسخ من صنعاء كانت بالقرب من اهل مكة وقد عرفوا امرها وكان لرجل يؤدي حق الله فيها ويواسي عباده منها فلما مات صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله تعالى فقال كذلك هولاء وهذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش حيث من الله تعالى عليهم ببعثة الرسول اليهم فقابلوه بتكذيبهم له وعنادهم فقابلهم الله بالجوع والقحط وشبههم باصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى وكانوا من بني اسرائيل وكانوا بخلاء وكان فيها انواع الثمار والفواكه اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون اي حلفوا فيما بينهم ليجذوا ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ولا يستثنوا فيما حلفوا به ولهذا حنثهم الله في ايمانهم فقال فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والمعنى ليجذوا ثمرها اذا دخلوا في الصباح قبل خروج المساكين اليها على عادتهم مع ابيهم ولم يستثنوا مما عزموا عليه من منع المساكين وقال مجاهد معناه لم يقولوا ان شاء الله بل عزموا على ذلك عزم من يملك امره وقال الزمخشري متبعا لقول مجاهد ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يودي مودى الاستثناء من معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد انتهى قوله فطاف عليها طائف اي هلاك او بلاء والطائف غلب في الشر طائف منهم فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف ه وقال ابن عباس طائف امر من ربك ه وقال قتادة عذاب من ربك وقال ابن جريج عنق من نار خرج من وادي جهنم فاصبحت كالصريم والصريم رملة باليمن لا تنبت فشبه جنتهم بها ه وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع ه وقال الثوري صارت كالزرع المحصود ه وقيل كالرملة انصرمت من معظم الرمل والرملة لا تنبت شيئا ينتفع به ه وقال الاخفش صارت كالصبح اذا انصرم من الليل والصريم النهار ينصرم هذا عن ذلك وذاك عن هذا قوله تعالى فاصبحت كالصريم

فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين اي تداعوا لـ
بعضهم لبعض ان اغدوا على حرثكم اي بعد اذا التمام وقطف الاعناب والزرع ولذلك قال
صارمين لانهم ارادوا واصرموا ثمارها من غير ان يعطوا الفقراء والمساكين منها بشيء وقيل
صارمين اي قاطعين حادين ماضين في العزم من قولك سيف صارم قوله فانطلقوا وهم
يتخافتون اي ينتشاورون فيما بينهم ويخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد وهذا
بخلاف ما كان ابوهم عليه لانه كان يخبر الفقراء والمساكين ليحضروا وقت حصاد الصرام
وقوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين اي اسرعوا قبل ان يحضر المساكين وقوله ان لا
يدخلنها وغدوا على حرد قادرين عليها فيما يزعمون ويرمون فلما راوها قالوا انا لضالون
اي جنتهم فلما وصلوا اليها راوها محترقة لا شيء فيها شكوا فيها وقال بعضهم لبعض
انا لضالون اي ضللنا الطريق وقالوا انا لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع
المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا خيرها ولكن الذي اخطانا
ولا اصبناه قوله تعالى قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن انس والضحاك وقتادة
اوسطهم اي اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي لولا تستثنون وكان
استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جريج هو قول القائل ان شاء الله وقيل
معناه وقال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي فلا تسبحون الله ولا تشكرونه على
ما اعطاكم وانعم به عليكم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قال مجاهد وكان هذا
الاوسط امرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وكان افضلهم واعقلهم قال ابو صالح
كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم
وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان
شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شيء الا بمشيئة الله وقيل التسبيح هنا ذكر
تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود لوجب وجود النقص لقدرة الله
جل وعلا فقولك ان شاء الله يزيل ذلك النقص فكان ذلك تسبيحا فكان
المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من نيتكم وذلك ان القوم لما

عزموا على منع الزكاة واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية
قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب وهو احتراق جنتهم ذكروا كلامه الاول وقالوا
الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة وقالوا سبحان ربنا اي نستغفر ربنا
من ذنوبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا الفقراء والمساكين اعترفوا بالذنب واشتغلوا
بالتسبيح فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي يلوم
بعضهم بعضا على ما كانوا اصروا عليه من منع المساكين الفقراء من حق الله الذي يجب
عليهم فما كان جواب بعضهم لبعض الا الاعتراف بالخطيئة والذنب قالوا يا ويلنا انا
كنا طاغين اي تعدينا وجاوزنا الحد حتى اصابنا ما اصابنا عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون اي رغبوا في بدلها لهم في الدنيا قال ابن كيسان طغينا
نعم الله فلم نشكرها كما شكرها ابونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا ربنا خيرا منها
لنصنع كما صنع ابونا فتضرعوا الى الله فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير
منها وقولهم انا الى ربنا راغبون اي طالبون منه الخير راجون لعفوه قال جمهور
المفسرين ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقلع ارض تلك الجنة المحترقة
فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها قال ابن مسعود
ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم ابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب
يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت
كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون
لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف
في كونهم مومنين وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
قال لقد كلفتني تعبا بل الاكثرون يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري رحمه
الله قوله تعالى كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون هذا خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم في امر قريش قال ابن عطية والاشارة بذلك الى الجنة التي
نزل بها العذاب الذي ينزل بقريش بغتة ثم عذاب الاخرة بعد ذلك اشد عليهم
من عذاب الدنيا وقيل العذاب النازل بقريش المماثل للجنة هو الجدب الذي
اصابهم حتى راوا الدخان واكلوا الجلود انتهى وقال الزمخشري مثل ذلك

العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اشد
واعظم منه انتهى ٥ وتشبيه بلا قريش ببلا اصحاب الجنة هو ان اصحاب الجنة عزموا
على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فقلب الله عليهم وحرمهم وكذلك قريش حين خرجوا
الى بدر حلفوا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه واذا فعلوا ذلك رجعوا
الى مكة وطافوا بالكعبة وشربوا الخمور وضربت على رؤوسهم القينات بضرب الدفوف
فقلب الله عليهم ما نووه بان قتلوا واسروا والما عذبهم به ذلك في الدنيا قال والعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون لكنهم بطغيانهم يعمهون وله الحمد والمنة ٥
الوبال الكبير لمن فقد التدبير ٥ وعاند مولاه ٥ وجحد ما به اولاه ٥ ثم انه تعالى
بعد ذكر احوال المخالفين ذكر ما اعده عنده للمتقين فقال تعالى
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف
تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة
الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين
ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر
للعالمين ٥ التفسير قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم
وجه المناسبة للاية السابقة لما ذكر الله تعالى بلا كفار قريش وشبه بلاهم ببلاء
اصحاب الجنة اخبر بحال اضدادهم وهم المتقون اي الذين اتقوا الكفر فقال
تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اضاف جنات الى النعيم لان النعيم لا يفارقها
اذ ليس فيها الا السرور لا يشوبه كدر كما يشوب جنان الدنيا وقال مقاتل لما نزلت هذه
الاية قال كفار قريش للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلابد ان يفضلنا

عليكم

عليكم في الاخرة وان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله تعالى عن كلامهم
بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون لان
التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة ثم وبخهم بقوله ما لكم كيف تحكمون اي هذا
الحكم الاعوج اكان امر الجزاء مفوضا اليكم تحكموا فيه بما شئتم فقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين
اي نساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ولهذا قال ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب
فيه تدرسون اي الكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه متضمن
الاحكام مهذب الشريعة ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم
القيمة ان لكم لما تحكمون اي لكم فيه لما تختارون من النعيم ام لكم ايمان اي اقسام علينا
بالغة اي متناهية من التوكيد وقوله بالغة اي تبلغ الى يوم القيمة وتنتهي اليه ان لكم
لما تحكمون اي بينكم عهود ومواثيق موكدة ان لكم لما تحكمون اي انه يحصل لكم ما تريدونه وما
تشتهونه ٥ قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم يا محمد هؤلاء المتقولين على
ايهم كفيل بما تقدم ذكره والزعيم الكفيل والضمين قال ابن عباس زعيم كفيل
وقال قتادة ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فلما بطل ما
طلبوا به من انه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فليأتوا بشركائهم
والمعنى ام لهم شركاء في قولهم يحتجون معهم فليأتوا بهم حتى تكون الحجة على جميعهم
او كذا اي حتى يرى اهل عصرهم ان يبصر وينفع او لا لتبين صدقهم من كذبهم يوم
يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون قال ابن عباس كرب
وشدة وعن مجاهد شدة الامر وروى مجاهد عن ابن عباس قال هي اشد ساعة في القيمة
وقيل اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه فاستعير الساق والكشف
عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق
الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فيظهر حقائق الامور واصلها وقيل يكشف
عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وروى ابو بردة عن ابي موسى قال حدثني ابي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما
كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم وما يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم
ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه

اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون انه لا شبيه له فيكشف
الحجاب فينظرون الى الله فيخرون له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون
الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا روسكم فقد
جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار وقال ابو بردة فحدثت بهذا
الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف
له ثلاث ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا ه قوله تعالى
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ
وجه المناسبة للايات السابقة لما ذكر تعالى ان للمتقين عنده جنات النعيم بين تعالى
متى كان ذلك كائن وواقع فقال يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم الاية يعني يوم القيمة وما يكون فيه من الاهوال والشدائد والامتحان
والامور العظام وقال البخاري ههنا حدثنا ادم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن
سعيد بن ابي هلال عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مومن
ومومنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا ريا وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا
واحدا وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله الفاظ وهو حديث
طويل مشهور وقد قال عبد الله بن المبارك عن اسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس
يوم يكشف عن ساق قال هو يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثني ابو زيد عمر
ابن شبة حدثنا هرون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابو سعيد روح
بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون له سجدا ورواه ابو يعلى قوله
تعالى خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة اي في الدار الاخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا
فعوقبوا في الاخرى بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا الى السجود في الدنيا فامتنعوا منه
مع صحتهم وسلامتهم لذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الاخرة اذا تجلى الرب
عز وجل فيسجد له المومنون لا يستطيع احد من الكافرين والمنافقين ان يسجد بل يعود

ظهره

ظهر احدهم طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا
بخلاف ما عليه المومنون ثم قال تعالى فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ يعني القران
وهذا تهديد شديد اي دعني واياه وهذا كقول القائل لمن يتوعده ورجل اخر دعني
واياه اي خلني واياه يعني انه من وراء مساءته لا براح عنه سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون وجه المناسبة للسابقة لما خوف سبحانه الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف
بما عنده من قدرته على القهر بقوله ذرني واياه يريد انكله الي فاني اكفيكه وهذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي انا اعلم به كيف انظره وامده ثم اخذه اخذ عزيز مقتدر
ولهذا قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي وهم لا يشعرون بل يعتقدون
ان ذلك من نفس الامر من الله كرامة وانما هو في نفس الامر اهانة كما قال تعالى
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ولهذا قال ههنا واملي لهم ان كيدي متين
اي واوخرهم وانظرهم وامد لهم وذلك من كيدي ومكري ولهذا قال ان كيدي
متين اي عظيم لمن خالف امري وكذب رسلي واجترا على معصيتي ه وفي الصحيحين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا اخذه
لم يفلته وقرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
والمعنى ان الله تعالى لما انعم عليهم ظنوا ان ذلك الانعام تفضيلا لهم على المومنين
وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم ه ثم قال أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ
عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ اعاد الكلام على ما تقدم من قوله تعالى ام تسالهم
يا محمد هولا المشركين بالله على ما اتيتهم به من النصيحة ودعوتهم الى الحق ثوابا واجرا
فهم من غرم ذلك مثقلون اي من غرم ذلك الاجر مثقلون قد ثقلهم القيام باداية فتحاموا لذلك
قبول نصحك وتجنبوا لعظم ما اصابهم من ثقل الغرم الذي سالتهم لما دعوتهم اليه
من الدين ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ الذي فيه نبا ما هو كائن فهم يكتبون
منه ويجادلونك به ويزعمون انهم على كفرهم بربهم افضل منزلة عند الله من اهل
الايمان به ه قوله تعالى فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ

وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على الذين انهزموا يوم أحد حين اشتد
بالمسلمين الأمر فنزلت فاصبر لحكم ربك وقال الحكم هنا القضاء وقيل اصبر على ما حكم
به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل إنها منسوخة
بآية السيف وقوله ولا تكن كصاحب الحوت يعني ذا النون وهو يونس بن متى حين
ذهب مغاضبا أي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة وقال قتادة إن الله
تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه
السلام وقد مضى الكلام في قصته فأغنى عن إعادته وقوله إذ نادى وهو مكظوم
أي في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقوله وهو
مكظوم أي مملوء غما قاله ابن عباس وقيل كربا قاله عطاء وقال الماوردي والفرق بينهما
أن الغم في القلب والكرب في الأنفاس لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم قيل خرجت دعوة يونس تحت العرش فقالت الملائكة يا رب هذا
صوت ضعيف من بلاد غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون هذا قالوا لا قال هذا يونس
بن متى قالوا يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم قالوا
يا رب ما كان يعمله في الرخاء فنجيه من البلاء فأمر الله تعالى الحوت فألقاه بالعراء
قوله تعالى وهو مذموم قال تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى
يوم يبعثون قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين أي الأنبياء قال ابن عباس
رد الله تعالى إليه الوحي وشفعه في نفسه ولما أمر الله تعالى نبيه بالصبر أردفه
بقوله وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ
إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ أخبر تعالى بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم لأنهم جعلوا أبصارهم
كالآلة المزلقة لك أي يزلقون قدمك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ويكاد
يأكلني وأنشد ابن عباس لما مر بقوم حددوا النظر إليه

نظروا إليّ بأعين محمرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

أي وإن يكاد الذين كفروا يا محمد ليزلقونك بأبصارهم أي ينفذونك بأبصارهم
عند نظرهم إليك غيظا عليك وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم وقالوا
ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد كانوا إذا مرت بهم

الناقة

الناقة السمينة قالوا ايتنا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال
الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر
به الإبل أو الغنم فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فلا يذهب من النهار
إلا قليلا حتى يسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي صلى
الله عليه وسلم بالعين فأجابهم إلى ذلك فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم أنشد
يقول . قد كان قومك يحسبونك سيدا ... وإخال أنك سيد معيون
أي سيد مصاب بالعين فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه هذه
الآية قال قتادة نزلت لدفع العين حين أرادوا أن يعينوه عليه الصلاة والسلام
وقال الحسن دواء من أصابه العين أن يقرأ هذه الآية وقال المفسرون إصابة العين
إنما تكون مع الاستحسان والتعجب وإذا لم تقترن بالاستحسان لم يكن كما أراده
العاين بالإصابة وقال الماوردي إن العرب كانوا إذا أراد أحدهم أن يصيب
أحدا في نفسه وماله تجوع ثلاثة أيام ثم يتعرض له ولماله فيقول بالله ما أرى أقوى
منه ولا أشجع ولا أكثر منه مالا ولا أحسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله قوله
تعالى لما سمعوا الذكر أي حين يسمعون القرآن وما فيه من سبهم وتسفيه أحلامهم
وعجزهم عن معارضته أي كادوا يزلقونك لما سمعوا الذكر وهذا من شدة الكراهة
والبغض ولهذا قال ويقولون إنه لمجنون أي ينسبونك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ
القرآن وإن المراد هو بالنظر إليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين
عداوة حين يهلك أي يعينونك بأبصارهم حسدا لبغضهم إياك لولا وقاية الله
لك وحمايته إياك وفي هذه الآية دلالة على أن العين إصابتها وتأثيرها حق وذلك
بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك أحاديث مروية عن طرق متعددة كثيرة منها
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا رقية إلا
من عين أو حمة أو دم وعن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا رقية إلا من عين أو حمة هكذا رواه ابن ماجة وقد أخرجه مسلم
في صحيحه وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قال الترمذي
وروي هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة والإمام البخاري من حديث حصين

محمد بن فضيل وابو داود من حديث مالك والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن
حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن الحصين لا رقية الا من عين او حمة ۝ وقال مسلم في
صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر
سبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا انفرد به دون البخاري ۝ وقال عبد الرزاق
عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول اعيذكما بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابرهيم يعوذ
اسحق واسمعيل ابرهيم عليهم السلام اخرجه البخاري واهل السنن من حديث المنهال ۝ حديث
ابي امامة اسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ۝ قال ابن ماجة حدثنا هشام بن
عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة
بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم ار كاليوم ولا جلد مخباة فما لبث ان لبط
به فاتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ادرك سهلا صريعا قال من تتهمون
به قالوا عامر بن ربيعة قال اذا راى احدكم من اخيه ما يعجبه فليدع بالبركة ثم دعا
بماء فامر عامرا ان يتوضا فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين وركبتيه وداخلة
ازاره وامر بصب الماء عليه قال معمر عن الزهري وامر ان يكفا الاناء من خلفه
وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن انس كلاهما عن الزهري به
ومن حديث سفيان بن عيينة ايضا عن معمر عن الزهري عن ابي امامة ويكفا الاناء من
خلفه ۝ وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث بسنده الى ابي سعيد
ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال
نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس وعين يشفيك بسم الله
ارقيك ۝ ورواه مسلم واهل السنن ۝ وروى الامام احمد عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فاتاه جبريل عليه السلام فقال بسم الله ارقيك
من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ۝ قوله تعالى وما هو الا ذكر
للعالمين اي وما هو يعني القران الا ذكر وعظة وعبرة للعالمين اي للجن والانس كيف
ينسبون الى الجنون من جاء به وهم قد علموا وتحققوا انه صلى الله عليه وسلم اتمهم

فضلا

فضلا وارجحهم عقلا وانه على الحق وانهم منابذوه بالباطل لينفروا الناس عنه
والمراد بالعالمين العاقلين من الجن والانس اجمعين فهو عظة انزله اليهم وحجة عليهم
لمن اطلق عقله فيه بالتفكر والتامل والتدبر والتذكر تجوهر بنوره ونقله من رتبة
علم اليقين الى رتبة عين اليقين اللهم علمنا ونولنا اليقين وحققنا بحق اليقين ورقنا
الى رتبة عين اليقين امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

سورة الحاقة بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم
سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا
رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم
تذكرة وتعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فيومئذ وقعت
الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول
هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية
في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه
فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان
لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم
ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون ۝ التفسير
قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة هذه السورة مكية
وهي اثنتان وخمسون اية ومناسبتها لسابقتها ان الله تعالى لما ذكر اشياء من احوال
السعداء والاشقياء وقال ذرني ومن يكذب بهذا الحديث ذكر حديث القيمة

وما اعدها الله فيها لاهل السعادة والشقاوة وادرج بينها شيا من احوال الذين كذبوا
الرسل كعاد وثمود وفرعون ولذلك ذكر تعالى في اول هذه السورة الحاقة والمراد بها
القيامة والبعث قاله ابن عباس وغيره لانها تحق لكل عامل عمله وقيل لانها تبدي حقايق
الاشيا وقيل سميت بذلك لان الامر يحق فيها ويجب فيها الجزا على الاعمال وكرر لفظ
الحاقة على سبيل التعظيم ٥ قال ابن عباس الحاقة من اسما القيمة عظمه الله وحذره
عباده وقوله وما ادراك ما الحاقة يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم واي شي ادراك
وعرفك ما الحاقة ٥ وقال ابن زيد في قوله الحاقة ما الحاقة والقارعة والواقعة
والطامة والصاخة هذا كله يوم القيمة وقرا قول الله تعالى ليس لوقعتها كاذبة
خافضة رافعة قال والخافضة خفضها لاهل النار فلا يعلم احدا اخفض من اهل
النار ولا اخزى ولا اذل ورافعة لاهل الجنة فلا يعلم احد اشرف من اهل الجنة
ولا اكرم ٥ قال تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
ذكر الله تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وهي
الصيحة التي اخرجتهم وخلعت قلوبهم من صدورهم والله تعالى لم يقل وما ادراك
ما الحاقة الا مبالغة في التاويل والتهويل الا انها ما لم تدر ولم تحط به وصف
من امورها الشاقة وتفاصيل اوصافها ولذلك القارعة لانها تقرع القلوب
مخافتها وقال الزمخشري تقرع الناس بالاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار
والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها بالشدة ولما ذكرها وفخمها
اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا
لهم من عاقبة تكذيبهم انتهى وانما قال تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل كذبت
بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها ولما
ذكرها وفخمها اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب وذلك تخويفا
لقريش من عاقبة تكذيبهم وابتدا بثمود وهم قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما
بين الشام والحجاز قال ابن اسحق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود
وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واليمن

كلهم وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق وقد تقدمت قصصهم غير مرة وقوله فاهلكوا
بالطاغية قال قتادة بالصيحة الطاغية المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول
كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٥ وقوله واما
عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما قوله بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر
وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقوله عاتية عتت
على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله تعالى
عليهم ٥ وقال عطا عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم فما قدروا على ردها
بحيلة من استناد الى جبل لكانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم ٥ وروى
سفيان الثوري عن ابن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة
من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فان الما يوم قوم نوح طغى على
الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما والريح في يوم عاد عتت
على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ٥ وقيل ان
هذا ليس من العتو الذي هو العصيان وانما هو بلوغ الشي وانتهاوه والتسخير
هو استعمال الشي باقتدار عليه فمعنى سخرها عليهم اي اقامها وادامها بالتسليط
عليهم ٥ وقال ابو عبد الله الرازي وعندي فيه لطيفة وذلك ان من الناس من
قال ان الرياح انما اشتدت لاتصال الفلاك نجومي اقتضى ذلك فقوله سخرها فيه
اشارة الى نفي ذلك المذهب وان ذلك انما حصل بتقدير الله وقدرته فانه لولا هذه
الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب وقوله سبع ليال وثمانية
ايام احتمل ان تكون متفرقة [illegible] المدة فازال هذا الظن بقوله حسوما اي متتابعة
متوالية ٥ وقال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح
وسميت عجوزا لانها عجز الشتا وسميت حسوما لانها حسمت كل خير لهم واهلكتهم
بشرها قال الشاعر ٥ فارسلت ريح دبور عقيما ٥ فدارت عليهم فكانت حسوما ٥
قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقيل في قوله

سبع ليال أي بدت عليهم صبح الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى آخر الأربعاء تمام الشهر
حسوما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو عبيدة تباعا لم يتخللها انقطاع وقال
الخليل شؤما ونحسا قوله فترى القوم فيها صرعى أي في تلك الليالي والأيام صرعى
لأن مرور تلك الليالي والأيام عليهم وهم في العذاب خروا وظلوا ثم هلكوا في اليوم
الثامن ه وقال أبو الطفيل أصول نخل خاوية أي بالية وقيل خالية الأجواف لا شيء
فيها ه وقيل قال الله تعالى في سورة القمر أعجاز نخل منقعر فشبههم بالنخل
التي صرعت من أصلها إخبار عن عظم أجسامهم ويحتمل أن يكون المراد أن الريح قد
قطعتهم حتى صاروا كأصول النخل خاوية لأن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم
كالنخل الخاوية الجوف ه وقال ابن شجرة كانت الريح تدخل من أفواههم فتخرج
من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ه وقال يحيى بن سلام إنما قال خاوية لأن
أبدانهم خوت من أرواحهم كالنخل الخاوية وقال ابن جريج كانوا سبعة أيام في
عذاب وفي اليوم الثامن هلكوا فألقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم
من باقية قيل جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه وتبقى جثته
كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان وقد ثبت في الصحيح نصرت بالصبا
وأهلكت عاد بالدبور ه وقال ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل
موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما
رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت
أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة وقال الثوري عن ليث عن مجاهد في قوله
فهل ترى لهم من باقية أي هل تحس منهم من أحد بقيتها أو من ينتسب إليهم بل
بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخاطئة أي وجاء فرعون والأمم الكافرة التي كانت قبله كقوم
نوح وقد أشار إلى شيء من حديثه قبل هذا والمؤتفكات قرى لوط وإنما سميت
قرى لوط مؤتفكات لأنها ائتفكت بهم أي انقلبت وذكر الطبري أنها خمس
قريات ه صنعه ، وصعده ، وعمره ، ودوما ، وسدوم ، وهي القرية العظمى ه

ومن قبله بالخاطئة قال مجاهد بالخطايا التي كانوا يفعلونها وقال الجرجاني بالخطأ
العظيم ه قوله تعالى [illegible] أي كذبوا
رسول ربهم الذي جاءهم وخالفوه إن كان الضمير عائدا إلى فرعون فرسولهم موسى
عليه السلام وإن كان عائدا إلى المؤتفكات فرسولهم لوط عليه السلام قال الواحدي
والوجه أن يقال المراد بالرسول كلاهما لأن الخبر عن الاثنين بعد ذكرهما بقوله فعصوا
فيكون كقوله إنا رسول رب العالمين ه قوله تعالى فأخذهم أخذة رابية أي عالية زائدة
على الأخذات وعلى عذاب الأمم يقال ربا الشيء يربو إذا زاد والمعنى أنها زائدة في الشدة
على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار ه
وقيل لأن عقوبة فرعون في الدنيا متعلقة بعذاب الآخرة لقوله أغرقوا فأدخلوا
نارا وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا فلهذا كانت تنمو وتربو ثم ذكر قصة
قوم نوح وهي قوله إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية طغى الماء ارتفع وعلا
أي زاد على كل شيء وكل جبل من أعلى الأرض في الدنيا خمس عشرة ذراعا قال
ابن جرير وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا
على حبسه وقال ابن عباس رضي الله عنهما طغى الماء زمن نوح عليه السلام على خزانه
فلم يدروا كم زاد فيه لكثرة ما خرج منه وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده
إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من قصص هذه الأمم ذكر ما حل بهم
من العذاب زجرا لهذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول لأنهم ذرية من
نجا من الغرق بقوله حملناكم في الجارية أي في السفينة وهذا امتنان من الله بأن جعلهم
ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم في السفينة
وإنما هم نوح وأولاده وكل من على وجه الأرض من نسل أولئك والجارية من أسماء السفينة
ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ه قوله تعالى لنجعلها لكم
تذكرة وتعيها أذن واعية أي لنجعل لكم عظة أي هذه التي أنجينا بها المؤمنين
بالله وأغرقنا الكافرين بالله لتتعظوا وأنتم بالفرقة الناجية دون الهالكة وتحفظ
هذه التذكرة أذن حافظة تكون مودعة في صدورهم ه وقال قتادة تذكرة أي
عبرة وآية أبقاها الله تعالى حتى نظرت إليها هذه الأمة أي ألواح السفينة وكم

من سفينة بعد سفينة نوح هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شي وقوله لنجعلها
اي لنجعل فعلتنا لكم تذكرة وعظة وتعيها اي تحفظها صاحب كل اذن واعية وتوديها الى غيره
ولهذا قيل ان وجه التذكير في هذا انجاه قوم من الغرق في السفينة وتغريق من سواهم
يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيته وحكمته ورحمته وشدة قهره ✿ قوله تعالى
[illegible]
فاذا نفخ [illegible]
[illegible]
[illegible] وجه المناسبة للايات السابقة لما ذكر الله تعالى ما فعل بمكذبي الرسل
واهل الشقاوة من العذاب في الدنيا بدا في الاخرة ما يعرض فيها لاهل السعادة ✿
واهل الشقاوة فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهذه النفخة هي نفخة الفزع قال
ابن عباس رضي الله عنهما وهي النفخة الاولى التي حصل عنها خراب العالم ولهذا قال
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ويقال النفخات نفخة الفزع ثم يعقبها
نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم بعدها نفخة
القيام لرب العالمين والبعث والنشور ومنه هي النفخة وقد اكدها هاهنا بانها
واحدة لان امر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج الى تكرار وتاكيد ولهذا قال ههنا
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة اي مدت مد الاديم العكاظي وتبدلت
الارض غير الارض فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيمة وانشقت السما فهي
اي تفطرت وتميز بعضها من بعض وقوله فهي يومئذ واهيه اي ضعيفة بعد شدتها
لتشققها وقيل انشقاقها لنزول الملايكة ولهذا قال ويوم تشقق السما بالغمام
[illegible]
ونزل الملايكة تنزيلا وقال ههنا [illegible]
[illegible] قال ابن عباس في قوله والملك على ارجايها اي على حافاتها
والمعنى قامت القيمة الكبرى فتصدعت السما فتفطرت بنزول الملايكة فهي يومئذ
ضعيفة مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة وقوله
والملك على ارجايها لم يرد به ملكا واحدا بل المراد الجنس الجمع والارجا في
اللغة النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور ورجا هذا يكتب بالالف
عكس رجا لانه من ذوات الواو لا تثنية رجوان قال الشاعر

كان لم

كان لم يرى بي قفرا سيرا مبتدا ولا رجلا يرمي به الرجوان ويقال ذلك
لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه وقيل ان الناس اذا راوا جهنم ندوا كما تند الابل
فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا الملايكة فيها حافظ ابه ✿ وقوله ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله
تعالى وقال ابن زيد ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف
او ثمانية صفوف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة
اوعال فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية خرجه
الماوردي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى العباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم ورواه ثمانية املاك على صورة الاوعال لكل ملك منهم اربعة
اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك
الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة اوعال فكيف سموا اوعالا فالجواب
ان وجه الثور اذا كانت قرونه كقرون الوعل اشبه الوعل وفي الخبر ان فوق السما السابعة
ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سما الى سما وفوق ظهورهن العرش
ذكره القشيري واخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب ✿ وفي حديث
عبد الله بن عمر عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش
انهم ثمانية اوعال ✿ وروى ابن ابي حاتم بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذن لي ان احدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة اذنه
وعنقه مخفق الطير سبعماية سنة ✿ واسناده جيد رجاله كلهم ثقات وقد
رواه ابو داود في كتاب السنة من سننه ✿ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا
يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن الاشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملايكة ✿ وروي عن الشعبي
والضحاك وابن جريج مثل ذلك ✿ وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية اجزا
كل جزء منهم بعدة الانس والجن والشياطين والملايكة ✿ قوله تعالى [illegible]
[illegible] اي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شي
من اموركم ✿ وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن علي بن رفاعة عن الحسن عن

ابي موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما
عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فتطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ
بشماله ه ورواه ابن ماجة عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع وقد رواه الترمذي عن ابي
كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن ابي هريرة ه قوله تعالى

... اخبر الله تعالى عن
سعادة من اوتي كتابه بيمينه يوم القيمة وفرحه بذلك يقول لكل من لقيه هاؤم اقرءوا
كتابيه وقوله لا تخفى منكم خافية قال عبد الله بن عمرو بن العاص لا تخفى المؤمن من الكافر
ولا البر من الفاجر وقوله اني ظننت اي ايقنت وقال ابن زيد ان ظن المؤمن يقين وان عسى
من الله واجب وقال قتادة ما كان من ظن الاخرة فهو علم وقوله في عيشة راضية قال
عليه الصلاة والسلام يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون
فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا ه وقوله في جنة عالية في العلو
قطوفها اي ثمارها دانية قريبة للمتناول يدركها القائم والقاعد والمضطجع بفيه ... اي كلوا
من شجرتها ثمارها ...
هنيئا واشربوا هنيئا بما قدمتم من العمل الصالح في ايام الدنيا ه وقال مجاهد
وابن جبير وغيرهما ايام الصوم اي بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى
والظاهر في الاية العموم اي بما اسلفتم من سائر الاعمال الصالحة ه وقال البراء بن عازب
وقوله قطوفها دانية اي قريبة يتناولها احدهم وهو نائم على سريره ه وعن سلمان
الفارسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وكذا رواه الضيا
في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي عن
سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن جوازا على الصراط
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ادخلوه جنة
عالية قطوفها دانية ه وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
اي يقال لهم ذلك تفضلا وانعاما واحسانا والا فقد ثبت في الصحيح وقد منه

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان احدا منكم
لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة
منه وفضل ه قوله تعالى

... تمنى من اوتي كتابه بشماله
انه ليته لم يوته لما راى فيه قبائح اعماله وما يصير امره اليه ويتمنى انه لم يدر حسابه
عما يسوءه فيه ... كان عليه لا لذيذ ياليتها اي الموتة التي منها في الدنيا كانت القاضية
القاطعة ... لم ابعث للواعدب ... اي ما اغنى عني جميع ما
جمعت من المال ... قال ابن عباس هلكت عني حجتي السلطان
الحجة ... ه وقال محمد بن كعب والسدي والربيع وقتادة تمنى الكافر
الموت ... في الدنيا اكره اليه من الموت ه وقال الفضيل بن عياض اذا قال الرب
عز وجل ... ابتدره سبعون الف ملك ايهم يجعل الغل في عنقه
اي اغمروه فيها ه قوله تعالى
عن بريدة ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... قال
على الله بن ادم لئن بعملك حتى يرضى الله ولا يرضى حتى يطاع والله ما الطاعة الا في
دار الدنيا الا ... نفعكم والمعنى لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وباسه
بل خلص الامر الي وحدي فلا معين ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فتاخذه الزبانية
... فيغلونه ثم يوردونه الى جهنم فتغمره فيها قال كعب الاحبار كل حلقة
منها قدر حديد الدنيا وقال ابن عباس وابن جريج سبعون ذراعا بذراع الملك
قال ابن عباس تدخل من دبره وتخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود
حين يشوى ... وعن ابن عباس تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه حتى
لا يقوم على رجليه وقال ...
المعنى انه اولا يؤخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة
ثم جاء تصليه الجحيم فكان ذلك ابلغ في عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت
نفسه قليلا ثم جاء سلكه بعد ذلك في السلسلة فكان ذلك اشد ما عليه

ن العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال لانه كان يغل عليه ويسلكه في النار لما تحرك
بالسفل فما سلك في السلسلة فقد الحركة والانتقال اخبر تعالى عنه انه ما عذب
بهذا العذاب العظيم الا انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين الحض
الحث على الفعل والحرص عليه فبين تعالى انه عذب على ترك الايمان وترك الاطعام
وعلى الامر بالبخل حيث قال تعالى
... اي ليس له صديق ولا ظهير ولا قريب
يدفع عنه ولا طعام الا من غسلين قال ابن عباس هو صديد اهل النار وما ذكره
ابن زيد هو الزقوم ... وقيل هو شر طعام اهل النار وقال
الربيع والضحاك هو شجر في جهنم وقيل هو شيء يجري من ضريع اهل النار ويدل
على هذا قوله في الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع وقوله لا يأكله الا الخاطئون
قال الزمخشري يجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله
انتهى والمراد بالخاطئين الكافرون ٥ وهذا جزاء الحسد والحقد والتكبر والمكر
والحقد والغدر والتجبر والفجور والفسق والربا والفشل والبطر والظلم والجبن
والكسل والكذب والخيانة والجور والشقاق والشك والشرك والزور والنفاق
فهذا نفسه مستعصية ابدا فقد بان صاحبها بذلك لتنوره فصاحبها
صاحب الجحيم والاول صاحب النعيم التي ترقت نفسه تلك المراقي وحصل
لها اللطف من الكريم الوافي ثم اخبر عن قسمه على القرآن العظيم انه لقول رسول كريم

بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب
العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين

لتعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم
وجه
المناسبة للايات السابقة لما ذكر امر القيمة ما دعاهم الى تامل وتذكر
وذلك ... فوان كلما ورد من القرآن من عند الله وذلك دلالة على

كماله في ابانته وصيانته وما عاب عليهم ما لا يبنا عدونه من المغيبات عنهم ان
القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة
واداء الامانة فقال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ...
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شانه
التبليغ ولهذا اضافه في سورة التكوير الى الرسول الملكي فقال تعالى انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وهو جبريل عليه السلام وما
هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم ولهذا قال ههنا
... فاضافه
تارة الى الرسول الملكي وتارة الى الرسول البشري صلوات الله عليهما لان كلاهما
مبلغ عن الله ما استامنه عليه ولهذا ... قال
الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه خرجت اتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان
اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت
اعجب من تاليف القرآن وفصاحته فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال
فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن
قال ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى اخر السورة فوقع الاسلام
في قلبي كل موقع فهذا من جملة الاسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ٥ قوله تعالى وما هو بقول شاعر اي ليس هذا القرآن
من قول رجل شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب
الشياطين وشتمهم فلا ينزل الشياطين بشيء فيه سبهم وقوله قليلا ما تؤمنون
اي ليس لكم همة للايمان اصلا فلذلك تعرضون عن التدبر ولو تدبرتم علمتم انه
ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن لانه محفوظ من الله تعالى ومن كان في حفظ الله لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٥ وقوله قليلا ما تذكرون اي ليس لهم همة التذكر
بما يتلى عليهم ولو تذكروا لعقلوا انه ليس بقول كاهن فانهم كانوا لا يؤمنون بالله خالقهم
وان قيل ثم يشركون بعبادته الاصنام ٥ وقيل المراد بالقليل من ايمانهم في قوله

قليلا ما تؤمنون هو انهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ه وقيل انهم كانوا اذا خطر
الايمان في قلوبهم يرجحون عنه سريعا ولا يتمون الاستدلال ولا يرونه الاولى يدل قوله
تعالى انه فكر وقدر الا انه في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يؤثر وقال الزمخشري
قليلا انهم لا يصدقون بان القران من الله والمعنى لا يؤمنون اصلا والعرب يقولون قلما يأتينا
يريدون لا يأتينا ه قوله تعالى تنزيل من رب العالمين اي اقسم بالاشيا كلها على ان قسم
بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم يقروه
ويتلوه عليكم والقول كريم على ربه لانه يتلوه ويقراه ويتلوه ويبلغه وليس هو بشاعر
ولا كاهن وانما هو كلام الله انزله على نبيه ورسوله لينذر به ونجاه الله من سجع الكهان
وما ينطقون به وانتم قليلا ما تتفكرون فيه نحو ما روي عن قتادة ما طهره الله من
الكهانة وعصمه منها بقوله عز وجل تنزيل من رب العالمين ه قوله تعالى

اي لكنه تنزيل من رب العالمين نزله عليه ولو تقول علينا محمد بعض الاقاويل الباطلة
لاخذناه بالقوة منا والقدرة فليس هو كما تزعمون فلو كان كما تزعمون مفتريا علينا
او زاد في الرسالة او نقص منها او قال شيا من عنده فنسبه الينا لانتقمنا منه بالعقوبة
ثم يقطع به المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي معناه لانتقمنا منه
بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق لقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل
الحق ه وقوله ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق القلب المتصل بالراس الذي اذا قطع
مات صاحبه ه وقال الكلبي عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق
والعلباء عصب العنق وقيل هو عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ه وقال
مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع مات صاحبه
وقال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب علينا كما زعموا
هولا المشركون لاهلكناه فكان كمن قطع وتينه ه قوله تعالى
اي فما يقدر احد منكم على ان يحجز بيننا وبينه اذا اردنا به شيا
من ذلك والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله تعالى مقرر له ما يبلغه عنه
مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ه قوله تعالى

وانه يعني القران لتذكرة للمتقين الذين يخشون الله فهو لهم عظة وتذكرة
فهم يتقون الله باداء فرايضه واجتناب نواهيه وهو كما قال تعالى قل هو للذين امنوا
هدى وشفا والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى ه قوله تعالى
اي بالقران مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب
به قاله الربيع ه قوله تعالى يعني الندامة
يرون في هذه الدار ان الدولة لهم فيتيهون ويرون في الاخرة ان الثواب للمصدقين به فتاخذهم
الحسرة والندامة اذ لم يومنوا به ليصونوا نفوسهم عن العذاب والتكذيب بها
حسرة وندامة دل عليه قوله مكذبين قوله تعالى
ه اي ان القران العظيم تنزيل من الله عز وجل فهو حق اليقين اي حقا لا بطلان
فيه لا شك ولا ريب بل من الله حقا يقينا ه قوله تعالى
قال ابن عباس اي فصل لربك وقيل نزه الله عن السو والنقائص اما شكرا على ما جعلك
اهلا للاجابة واما تنزيها له عن ان ينسب ما نسبه الملحدون اليه فنزه بان تذكره
باسمائه وصفاته العلى ه روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم

بسم الله

سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا

يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو

واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق
معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم

لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم
يحافظون اولئك في جنات مكرمون

وجه المناسبة للسورة السابقة

ان الله تعالى لما ذكر وانا لنعلم ان منكم مكذبين اخبر عما صدر عن بعض المكذبين نعم الله
تعالى وان كان السائل نوحا او الرسول فناسب تكذيب المكذبين ان دعا عليهم رسولهم
والمناسبة بين ختم تلك السورة وافتتاح هذه السورة انه ذكر للكافرين في ختم المتقدمة
تلك حسرة لهم وفي افتتاح هذه عذابا لهم والسورة مكية وهي اربع واربعون اية
وسبب نزولها قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا ابو اسامة حدثنا سفيان عن
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
سأل سائل بعذاب واقع قال نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك الاية وقيل السائل نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين
وقيل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الله ان يشدد وطاته على مضر
الحديث فاستجاب الله دعوته وقال ابن نجيح في قوله سأل سائل دعا داع بعذاب
واقع قال النضر بن الحارث بن كلدة وقوله للكافرين اي مرصد معد للكافرين
ليس له دافع اي لا دافع له اذا اراد الله كونه ولهذا قال [illegible] والمعنى
انه لما قال النضر بن الحارث وهو متشبث باستار الكعبة عند خروجه الى بدر
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية قتل يوم بدر صبرا وعقبة بن ابي معيط
ولم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس وعن مجاهد قال ان الحارث بن النعمان الفهري
لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي بن ابي طالب رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ ناقته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا ونزكي اموالنا فقبلناه
منك وان نصوم شهر رمضان في عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض
بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شيء منك ام من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما نقول حقا
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه

الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال الربيع السائل هنا
نوح عليه السلام سأل ربه وسأل انه لا يذر من كفارهم قال الثوري عن الاعمش
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ذي المعارج قال ذو الدرجات وقال علي بن ابي
طلحة عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقيل ذي صفة
لله ومعنى ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل والصفات الحميدة وقيل
المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء وقال الحسن هي المراقي وقيل
المعراج الغرف يعني جعلها لاوليائه في الجنة

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد
واما الروح فقال ابو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا اناسا ويحتمل ان يكون
المراد به جبريل عليه السلام فيكون هذا من باب عطف الخاص على العام خصه بالذكر تشريفا
واخره هنا بعد الملائكة وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا والدلالة انه جبريل
عليه السلام قوله تعالى نزل به الروح الامين الاية ويحتمل ان يكون اسم جنس لارواح
بني ادم فانها اذا قبضت يصعد بها الى السماء كما دل عليه حديث البراء وكما في حديث
الامام احمد الابرار يصعد بها من سماء الى سماء حتى ينتهي بها الى السماء السابعة وكما رواه
ابو داود والنسائي وابن ماجة من حديث المنهال عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث
بطوله في قبض الروح الطيبة وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قد
ارتضينا قول ان المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم الى اسفل السافلين
وكذلك اتساع العرش من قطر الى قطر مسيرة خمسين الف سنة وانه من ياقوتة حمراء
كما ذكره ابن ابي شيبة في كتاب صفة العرش وقد قال ابن ابي حاتم عند هذه الاية
حدثنا احمد بن سلمة حدثنا اسحق بن ابراهيم انبانا حكام عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد
عن ابن عباس قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال منتهى امره من اسفل الارضين
الى منتهى امره من فوق السموات مقدار خمسين الف سنة يقول العبد الفقير الى
مولاه الحديث كيف حدد انتهى الامر في العلو والسفل اما السفل فقد سطع علمه
الخلائق من الحوت والماء الذي فوق الظلمة والهواء لينقطع امر الله وعلمه ثمة
وراء ذلك والله تعالى لا عرش يحويه ولا مكان يأويه لانه جل وعلا فوق الفوق ولا فوق

قوله وإذا كان كذلك فأمره جل وعلا لا أمد له ولا حد كالأبد الأزلية ولا انتهاء
لأبديته والعجب من علماء الحبر كيف يجدها مرا له في هذا الأثر الذي يعدم في قوله في يوم
كان مقداره ألف سنة يعني بذلك تنزل الأمر من السماء إلى الأرض ومنتهى الأرض إلى السماء
في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة
وغلظ السماء خمسمائة سنة وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سلم عن عمرو
بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي ابن أحمد
الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح عن عبد الوهاب عن مجاهد عن أبيه
عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام
فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة
عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش بقية الخمسين
ألف وهي ستة وثلاثون ألف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
المراد بيوم مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة
قال ابن أبي حاتم عن مجاهد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا عمرها
خمسون ألف سنة سماه الله تعالى يوما تعرج الملائكة والروح إليه في يوم قال
اليوم الدنيا خمسون ألف سنة ذلك عمرها يوم سماه الله تعالى لأن الملائكة والروح
تعرج إليه في يوم قال اليوم الدنيا لا يدري أحدكم كم مضى ولا كم بقي إلا الله تعالى
إنه اليوم الفصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا قال ابن حاتم
بسنده عن محمد بن كعب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم الفصل
بين الدنيا والآخرة المراد بذلك يوم القيمة قال ابن أبي حاتم عن
ابن عباس رضي الله عنهما في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال يوم القيمة وهذا
إسناد صحيح رواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة يوم القيمة وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس في قوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
قال فهذا يوم القيمة جعله الله على الكافرين مقداره خمسين ألف سنة وقد وردت
أحاديث في معنى ذلك قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن

لهيعة

لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا
وقيل في ذلك اليوم وإن طال يكون سببا لمزيد السرور والراحة لأهل الجنة ويكون
سببا لمزيد الحزن والغم لأهل النار وأيضا أن الآخرة دار الجزاء فلا بد أن يحصل
للناس من ثوابهم ودار الثواب هي الجنة فإذن لا بد من تخصيص طول الوقت بالكفار
قوله تعالى ... أي فاصبر
يا محمد على تكذيب قومك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ولهذا قال إنهم
يرونه بعيدا ونراه قريبا أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه
إلا الله عز وجل لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة قوله تعالى
أي العذاب واقع بالكافرين يوم تكون
السماء كالمهل قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كدردي
الزيت وتكون الجبال كالعهن أي كالصوف وهذه كقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن
المنفوش أي تلين من صلابتها فتصير لذلك فتنسفها الرياح نسفا فتصير كأنها ما
كانت قوله تعالى ... أي لا يسأل القريب
عن قريبه وهو يراه في أسوء الأحوال وهو لذلك يشغله نفسه عن غيره فلهذا
استغنوا عن السؤال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال تعالى يا أيها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا إن وعد الله حق وقال تعالى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو
كان ذا قربى وكقوله فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله
تعالى

قوله يبصرونهم أي يرونهم قال
بصرت به قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به فيبصر الرجل في ذلك اليوم أباه

واخاه وقرابته وعشيرته ولا يسألهم ولا يكلمهم لاشتغاله بنفسه قال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض وقيل الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملائكة لانهم يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم ثم الكلام ه وقوله تعالى يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب جهنم باولاده وصاحبته اي زوجته واخيه معروف وفصيلته التي تؤويه اي تضمه انتمائه اليها ولياذه بها قال ثعلب الفصيلة الاباء الادنون ه وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون وتقدم هذا مفصلا عند قوله شعوبا وقبائل ه وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الرجل وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه وقوله التي تؤويه وقوله ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا اي لا يقبل منه فداء ولو جاء باهل الارض وباعز ما يجده من المال ولو بملء الارض ذهبا او من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيمة اذا راى الاهوال ان يفتدي من العذاب به ولا يقبل منه ه وقوله انها لظى وهذا وصف للنار وشدة حرها وهي جهنم الملتهبة نيرانها اي الملتهبة نزاعة للشوى قال ابن عباس ومجاهد جلدة الراس وقال العوفي نزاعة للشوى الجلد واللحم ه وقال مجاهد ما دون العظم من اللحم والجلد وقال سعيد بن جبير العصب والعقب ه وقال ابو صالح نزاعة للشوى يعني اطراف اليدين والرجلين وقال ايضا نزاعة لحم الساقين وقال الحسن البصري نزاعة للشوى والرجلين وقال ايضا اي مكارم وجهه ه وقال نزاعة للشوى اي نزاعه لهامته ومكارم وجهه وخلقه واطرافه وقال الضحاك تبري الجلد واللحم عن العظم وقال ابن زيد تقطع عظامهم وتشق خلقهم وتبيد جلودهم وقوله تدعوا من ادبر وتولى اي تدعوا النار اليها ابناءها الذين خلقهم الله لها وقدر انهم في الدنيا يعملون لها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين اهل المحشر كما يلتقط الطير الحب قال تعالى تدعو من ادبر وتولى اي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ... اي جمع المال بعضه على بعض فاوعاه اي اوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن اخراج الزكوة واذ عن الايمان تولى

عن الشرائع ... ولا اصلح ... ولي ... ويقول يا كافر يا منافق يا يهودي يا نصراني يا مجوسي يا فاسق يا ظالم ... وهو تلتقط المحشورين ... ه وقيل ... الكفار ... الجنة على ... ه وقيل هو استعارة ومعناه انهم لا ... وكانها تدعوهم ... ه ... وقوله تعالى

يقول تعالى ... عن الانسان وما هو عليه من الاخلاق ... ان الهلع شدة الجزع والحرص ... اذا مسه الشر قل ما له ونال الفقر فهو جزوع من ذلك لا صبر له عليه واذا مسه الخير كثر ماله ونال الغنى فهو منوع لما في يده ... لا ينفقه في طاعة الله ولا يؤدي منه حق الله والانسان اسم جنس اريد به الجمع ولذلك استثنى منه بقوله

ما افترضه عليهم من الصلوات فهم على اداء ذلك مقيمون بها ولا يعدون اطيبين من ظهر هلوعا وهو مع ذلك ... المراد اذا اصابه الرعب فزع وجزع والخلع قلبه من شدة الرعب ... له بعد ذلك خيرا واذا مسه الخير بخل على غيره ومنع ما وصل اليه من خيره قال الامام احمد بسنده عن مروان بن الحكم قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع ثم استثنى منهم طائفة المصلين لان الانسان من حيث هو متصف بصفة الذم الا من عصمه الله ووفقه وهداه الى الخير ويسر له اسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون اي يحافظون على اوقاتها قاله ابن مسعود ومسروق والنخعي وقيل المراد بالدوام هنا السكون والخشوع كقوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون قاله عقبة بن عامر رضي الله عنه وقال ايضا يقرؤن فيها ولا يلتفتون فيها ولا شمالا ه وقال الزمخشري دوامهم عليها

ان يواظبوا على ادائها ولا يشتغلون عنها بشيء في محافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء
لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتران
المأثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها انتهى وهو جواب
لسؤال ان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون [illegible]
ان الديمومة على الشيء والمحافظة عليه شيء واحد لكنه لما كانت الصلوة هي عمود الاسلام
بولغ في التوكيد فيها فذكرا ولاتصال الاسلام المذكورين في هذه السورة واخرها بالعلم بمرتبتها
في الاركان التي بني الاسلام عليها والصفات التي بعد هذه الى قوله تعالى
[illegible]
[illegible]
راعون [illegible] والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك
في جنات مكرمون تقدم تفسير هذه الصفات في سورة قد افلح المؤمنون فاغنى عن
اعادتها والله الحمد رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
قال تعالى اولئك في جنات مكرمون اكرمهم الله بالجنات لحسن المعاملات ومن وصفهم مولاهم
بهذه الاوصاف تبجيلا وعلا بجمعهم بالالطاف ثم اخبر عن الذين كفروا وعن الذين طغوا
ونفروا بقوله تعالى فما [illegible]
[illegible]
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن
بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون
[illegible]
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون [illegible] قوله تعالى
[illegible] يقول الله تعالى
منكرا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما
ارسله الله تعالى به من المعجزات الباهرات ثم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه
يمينا وشمالا فرقا فرقا وشيعا شيعا كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر

مستنفرة

مستنفرة فرت من قسورة الاية وهذه مثلها فانه قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين
اي مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين [illegible] انه كان عليه الصلوة والسلام يصلي
عند الكعبة ويقرأ القرآن وكانوا يحفون به حلقا حلقا يسمعون ويستهزئون بكلامه
[illegible] ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الاية
الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا والمعنى ما بالهم يسرعون اليك
ويجلسون حوالك ولا ينتفعون بما تأمرهم وقيل ما بالهم يسرعون في التكذيب لك
مهطعين في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الامام احمد في اهل الاهواء انهم مخالفون
للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقيل ما بال الذين
كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك وقال عطية مهطعين
معرضين وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين اعناقهم مديمي النظر
اليك وذلك من نظر العدو وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا ابو عامر
حدثنا قرة عن الحسن في قوله عن اليمين وعن الشمال عزين متفرقين يأخذون يمينا
وشمالا يقولون ما قال هذا الرجل وقال قتادة مهطعين عامدين عن اليمين وعن
الشمال عزين اي فرقا حول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه
صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة ووكيع وعبد الرحمن بن القسم وعيسى بن
يونس ومحمد بن فضيل ويحيى القطان وابو معاوية كلهم عن الاعمش عن المسيب بن رافع
عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم
حلق فقال ما لي اراكم عزين رواه احمد ومسلم وابو داود والنسائي وابن جرير من حديث
الاعمش وقال ابن جرير [illegible] عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج على اصحابه وهم حلق حلق فقال ما لي اراكم عزين وقيل فرق عزين
كانه اسم للجماعة التي يأتي بعضهم بعضا قوله تعالى
[illegible] اي لما قال المستهزئون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد
فلندخلها قبلهم قال الله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم اي ايطمع هؤلاء
والحالة هذه في فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق ان يدخلوا جنات النعيم كلا
بل ماواهم نار الجحيم ثم قال تعالى [illegible] ذكروا في مناسبة

هذه الآية لما سبقها وجوها احدها انها احتج على صحة البعث ذكر على انهم منكرون
للبعث فكانه قيل لهم انكم منكرون للبعث فمن اين تطمعون بدخول الجنة ثانيها
انا المستهزئين كانوا يستحقرون المؤمنين فقال تعالى ان هؤلاء المستهزئين مخلوقون
مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار وثالثها انهم مخلوقون من النطفة وهي
من الاشياء المستقذرة ولم يتصفوا بالايمان والمعرفة فكيف يليق بالحكمة ادخالهم
الجنة ۵ وقال الامام علي رضي الله عنه كيف يليق الفخر بابن ادم واوله نطفة مذرة
واخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل عذرة ۵ قوله تعالى

[illegible]

اقسم الله تعالى بمخلوقاته على كمال قدرته على ان يبدل خيرا منهم وهو جل وعلا لا يسبقه شيء لما
يريد والمعنى في قوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب ان الذي خلق السموات
والارض وجعل للسموات والارض مشارق ومغارب وسخر الكواكب تبدو من مشارقها
وتغيب في مغاربها وتقدير الامر ليس كما تزعمون من انه لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا
نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ولهذا اتى بلا في ابتداء القسم ليدل على ان
المقسم عليه هو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيمة
وهو خلق السموات والارض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات
والنباتات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وقال تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى وقال في اية اخرى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون وقال ههنا فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان
نبدل خيرا منهم اي نقدر على اهلاكهم والاتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين اي لا
يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر نريده فاتيسرنا خيرا معاقبتهم لحكمة الحكمة وهذا وعد
للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد لاعدائه ۵ ثم قال

اي دعهم يا محمد في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم
هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين يخوضوا في باطلهم ويلعبوا

[illegible]

في تكذيبهم واستهزائهم حتى يلاقوا يوم القيمة الذي يوعدونه ۵ وقيل امر لنبيه
صلى الله عليه وسلم اي اتركهم يخوضوا ويلعبوا في دنياهم واشتغل انت بما امرت
به وهذه تفسيره [illegible] الطور احلطوا ايما وصف به نفسه لعدو عليه
هل خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين وقيل بدل الله لهم
بعضهم بالايمان وقيل لم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم ۵ وقوله
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون والمعنى يلقوا يوما ملاقوه ما وعدوا الله وهذه الآية
منسوخة باية السيف ثم ذكر تعالى اليوم فقال

[illegible]

اي يوم يخرجون من قبورهم والنصب ما نصب للانسان
من علم او بناء او صنم فهو يقصده مسرعا اليه وعلى في الاصنام ومنه الانصاب
وقال ابو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها مخافة ان ينفلت
الصيد منها ۵ وقوله يوفضون يسرعون ۵ وقال ابن عباس وقتادة يسعون وقال
الضحاك ينطلقون ۵ وقال الحسن يبتدرون

[illegible]

اي كانهم في اسراعهم الى الموقف
كما كانوا في الدنيا يهرولون الى النصب اذا عاينوه يوفضون يبتدرون ايهم
يستلمه اول وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن ابي كثير وقتادة والضحاك والربيع
ابن انس وابي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم وقوله خاشعة ابصارهم
اي خاضعة ترهقهم ذلة في مقابلة ما استكبروا في الارض بغير الحق ذلك اليوم
الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب وما وعد الله به
فهو حق كائن لا محالة ۵ وروى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون

[illegible]

اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت

[illegible]

جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم
اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم
[illegible]
لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا
[illegible]
[illegible] هذه السورة مكية وهي سبع وعشرون آية ومناسبتها لما قبلها
انه تعالى لما اقسم بذاته جل وعلا انه رب المشارق والمغارب على ان يبدل خيرا منهم
وكانوا ممن سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العذاب انبأ الله تعالى في هذه السورة بقصة نوح وقومه وكانوا اشد تمردا
من المشركين فاخذهم اخذا شديدا حتى انه لم يبق لهم نسلا على وجه الارض وكانوا
عباد اصنام كمشركي مكة فحذر الله تعالى قريشا ان يصيبهم عذابا يستأصلهم
ان لم يؤمنوا ونوح عليه السلام اول نبي ارسل ويقال له شيخ المرسلين وهو
الاب الثاني وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام
ابن يرد بن مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم عليهما السلام قوله
تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه روى قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اول نبي ارسل نوح عليه السلام وقال وهب ابا نوح الى آدم
عليهما السلام كلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال
ابن عباس ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلاثمائة
وخمسين سنة قوله تعالى ان انذر قومك اي ارسلناه وامرناه بانذار قومه
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم وهو الطوفان واصل الانذار اعلام ما يخاف منه ليحذر
قال نوح لقومه اني لكم نذير انذركم عذاب الله
ما تحذرونه اني لكم على امركم به مبين اي بين لكم ظاهر الامر وحقيقته ان
اعبدوا الى ما امركم
به واطيعوا نصحي لكم فاني رسول الله اليكم فان اطعتموني يغفر الله لكم ما اسلفتم من ذنوبكم
قال

[illegible]

الزمخشري

الزمخشري فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل
قلت قضى الله ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على
راس تسعمائة سنة فقيل لهم ان آمنتم اخرتم الى الاجل الاطول ثم اخبرهم انه اذا جاء
ذلك الاجل لا يؤخر انتهى وقال ابن عباس اي ينسئ في اعماركم ومعناه ان الله تعالى
قدر في سابق علمه ان هم آمنوا بارك في اعمارهم وان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب
وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى آجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط فالمعنى على هذا يؤخركم من
العقوبات والشدائد الى آجالكم وقال الزجاج يؤخركم عن العذاب فتموتوا
غير موتة المستأصلين وعلى هذا فالاجل المسمى عند الله فالمعنى ان نوحا عليه السلام
لم يعلم هل هم ممن يوحد او ممن يعاجل ولا قال لهم انكم تؤخرون عن اجل قد حان لكم
ولكن قد سبق في الازل انهم اما ممن قضى له بالايمان والتأخير واما ممن قضى عليه
بالكفر المعاجلة ثم شدد هذا المعنى ولاح بقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو
كنتم تعلمون لبادرتم الى عبادته وتقواه وطاعته فيما جئتكم به منه جل وعلا
ولما انهم لم يجيبوا نوحا واذوه شكا الى ربه شكوى من يعلم ان الله عالم بحاله
مع قومه لما امر بالانذار ولم يؤثر فيهم
[illegible]
يخبرنا الله عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى
الى ربه عز وجل ما لقي من قومه وصبره عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي الف سنة
الا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم الى الرشد والسبيل الاقوم فقال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي لم اترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالا لامرك وابتغاء لطاعتك
فلم يزدهم دعائي الا فرارا
[illegible]
قوله جعلوا
اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم
حتى لا يروه قال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه
واستغشاء الثياب زيادة على سد الآذان حتى لا يسمعوا كلامه ولا يروه واستغشاء
الثياب زيادة على سد الآذان حتى لا يسمعوا ولا يروا الآن قوله عليه السلام وقال
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا المعنى دعوتهم جميع

ولا تعطيل وقت ولما ازدادوا اعراضا ونفارا اعراكو جعل
الاوقات من غير فتور [illegible] كلما دعوتهم لتغفر لهم
الدعا هو الذي زادهم اذ كان سببا لزيادة [illegible] واني كلما دعوتهم لتغفر لهم
اي ليتوبوا فتغفر لهم ذكر هنا السبب الذي هو حظهم خاصا ليكون ابلغ في اعراضهم
عنه جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم اليه
واستغشوا ثيابهم حتى لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح
وهذا كما اخبر تعالى عن كفار قريش وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون وقوله واصروا اي استمروا على ما هم فيه من الشرك
والكفر العظيم الفضيع واستكبروا استكبارا اي استنكفوا اتباع الحق والانقياد
له وهذا يدل على ان دعاه قبله كان اسرارا لانه يكون
الطف بهم ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح في السر فانه جدير بان يقبل منه فلما لم
يجد فيهم اسراره انتقل الى اقوى منه ودعاهم الى الله جهارا
فلما لم يجد فيهم عاد الى الاعلان والاسرار
فقال اني اعلنت لهم بصوت عال كلاما ظاهرا واسررت لهم فيما بيني وبينهم نوع
عليهم الدعوة لعله اي من تاب الى الله تاب الله عليه ولو كانت ذنوبه كاينة ما كانت
ولهذا قال
اي ارجعوا اليه وارجعوا عما انتم فيه وتوبوا من قريب
فانه من تاب تاب عليه اخبر انه امرهم بالاستغفار وانهم اذا استغفروا در لهم الرزق
في الدنيا فقدم لهم ما يسرهم وما هو احب اليهم اذ النفس متشوقة الى الحصول على
العاجل كان [illegible] الاخرى تحبونها الاية وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات الاية وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا فانهم كانوا اهل حب للدنيا فاستدعاهم الى الاخرة من الطريق التي يحبونها
وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعوة قحطوا واعقم الله نساءهم فبدأهم في
وعده بالمطر ثم ثنى بالاموال والبنين ثم قال ويجعل
اي اذا تبتم الى الله واستغفرتموه واطعتموه كثر الرزق عليكم وسقاكم من بركات
السماء وانبت لكم من بركات الارض وادر الضرع واعطاكم الاموال والاولاد
ويجعل

ويجعل لكم جنات فيها انواع الثمار وخللها بالانهار الجارية وهذا مقام الدعوة بالترغيب
فلما رأى ذلك لا يجدي فيهم عدل الى دعوتهم بالترهيب فقال
قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله الخوف لا ترجون اي لا تخافون
والوقار هنا بمعنى العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف وقيل ما لكم لا ترون
لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة وقال سعيد بن جبير ما لكم لا ترجون لله
ثوابا ولا تخافون عقابا وقوله وقد خلقكم اطوارا هذا على تدريج الانسان في اطوار
خلقته وكمال بنيته بين النطفة والعلقة والمضغة وقيل في اختلاف الوان الناس وخلقهم
وخلقهم وملكهم وقيل صبيانا ثم شبانا وشيوخا وضعفاء واقوياء وقيل معنى
اطوارا انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا بعد ان جانب معهم
في دعوتهم لعلهم ينتهون من غفلتهم ذكرهم بالعالم العلوي وتنوير القمر والشمس
وبالعالم السفلي واخراجهم بعد الموت من الرمس بقوله تعالى

والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله

ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما
خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب

الا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين الا تبارا التفسير قوله تعالى
وجه المناسبة للايات السابقة وهو ان نوح عليه السلام
لما ذكر لهم دليل التوحيد اتبعه بدليل الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله الاية اي الم
تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ووجه اخر في المناسبة وذلك
ان نوح عليه السلام لما نبههم على الفكر في انفسهم وكيف تنقلوا من حال الى حال
وكانت الانفس اقرب ما يتفكر فيه ارشدهم الى التفكر في العالم العلوي والسفلي وما

او دع الله فيهما ه وقوله طباقا قال ابن عباس والسدي اي بعضها فوق بعض كل سما مطبقه
على اخرى كالقباب ه وقال المبرد معنى قوله طباقا اي متوازية لانها متماسة ه وقال
الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض وسما وسما خلق
وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة واما المتواتر ان قوله طباقا واحدة
نور واد له وفي خلاهم سكان تدل على عظم السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما والسموات
من الامور المدركة بالحس مما علم من سير السيارات والكسوفات فان الكواكب السبعة
السياره يكسف بعضها بعضا فادناهم القمر في سما الدنيا يكسف ما فوقه وعطارد في
الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في
السادسة وزحل في السابعة واما الكواكب الثوابت ففي الفلك الثامن يسمونه فلك
الثوابت وهو فلك الكرسي والفلك التاسع هو الفلك الاطلس ويسمى الاثير
والسبعة السيارة كل يقطع فلكه بحسبه القمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس
وهي في وسط الافلاك وهو الرابع تقطعه في كل سنة مرة وزحل في الفلك السابع يقطعه
في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب افلاكها واتساعها ادا الجميع دورانهم بالسرعة
لكمال الدورة في اليوم والليلة وهذا نوع لكثير من الخلق ما يتدبروه ولا يلتفتوا اليه
ولا يعرفوه ولهذا قال تعالى سنريكم اياتنا في الافاق وفي انفسكم فمن كانت هذه
القدرة قدرته وهذه الحكمة الشريفة حكمته كيف يشركوه ويعبدوا غيره من
مخلوقاته ويتركوه ولهذا صرفهم نوح عليه السلام قال الم تروا على جهة الاخبار
لا المعاينة ولان صرفهم من الامم ليقفوا على قدرته الكاملة وحكمته البالغة
ثم قال   والمقصود ان الله
تعالى سبحانه خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
اي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما انموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بطلوع
الشمس ومغيبها وقدر للقمر منازل وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناها ثم يشرع في
النقص المحاق حتى يستتر ليدل كمائه واستتاره على مضي الشهور والاعوام كما
قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ه ثم قال تعالى

يعني ان ابانا ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض ومنه لهذا
قال انبتكم من الارض نباتا   اي يصيركم فيها
متوا ويد   حكم اخراجا اي يوم القيمة يعيدكم كما بداكم
اي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخ
ثم قال جل وعلا   كي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا
فيها اين شيتم من نواحيها وارجايها واقطارها وكل هذا مما نبههم نوح عليه وهو
الخالق الرازق لانه الذي سواه ولا رازق غيره خلق السما بنا والارض مهادا ووسع على
خلقه من رزقه فهو الذي يجب ان يعبد ويوحد ولا يشرك به احد بل هو العلي الكبير
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ه قوله تعالى
يقول الله تعالى مخبرا عن نوح عليه
السلام انه انهى اليه وهو العليم الذي لا يعزب عنه شي في الارض ولا في السما انه دعاهم
على الترغيب تارة وعلى الترهيب اخرى بانهم عصوه وكذبوه وخالفوه واتبعوا ابنا
ابنا الدنيا ممن غفل عن امر الله ومتع بالاموال والاولاد وهي في نفس الامر استدراج
وانظار لا اكرام ولهذا قال وابتغوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا لانهم سبب
لخسار الاخرة والدنيا في جنب الاخرة كالعدم وقيل اليس ليس على الكافر نعمة انما هي
استدراج للعذاب ولبث فيهم نوح كما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما
داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس كان الابا يأتون بالابناء الى نوح
عليه السلام ويقولون لابنايهم اياكم ان تطيعوا هذا الشيخ فبما بامركم به حتى بلغوا
سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر
الناس وفشوا   قيل مكرهم هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح
وقيل هو تغريرهم بما اوتوا في الدنيا من المال والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم
على الحق لما اوتوا هذه النعم ه وقال مقاتل هو قول كبرايهم لاتباعهم
                                                                                   اي قالت
رؤسا الاتباعهم لا تدرن اصنامكم على العموم ثم فصلوا ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه اسما اصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ه

قال البخاري ... عن هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان
التي في قوم نوح في العرب كان الشيطان حمل قوم نوح على ان ... خمسة اصنام
وعبدوها اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل
واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان
واما نسر فكانت لحمير وهولاء اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام
فلما اهلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها
انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك عبدت وكذا روي
عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن اسحق نحو هذا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس كانت هذه الاصنام تعبد في زمن نوح عليه السلام وروى الحافظ ابن عساكر
في ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحق بن بشر قال اخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك
عن ابن عباس انه قال ولد لادم عليه السلام اربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون
جارية فكان ممن عاش قابيل وهابيل وصالح وعبد الرحمن الذي كان سماه عبد
الحرث وود وكان يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته
قد سودوه وكان ولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا صلحاء وهم اتباع
فلما هلكوا اسفوا اتباعهم عليهم الذين كانوا يعبدون الله معهم فلما راى ابليس
جزعهم عليهم تطور لهم في صورة انسان ثم قال لهم ارى جزعكم على هولاء فهل اصور
لكم انصابا مثلهم تضعوهم في مجالسهم قالوا نعم ففعل لهم ذلك فلما هلك اولئك
الاتباع وتولى امرهم غيرهم قال لهم ابليس انما كان اولئك يعبدونهم من دون
الله وحسن لهم ذلك حتى عبدوهم قوله تعالى يعني الاصنام
التي اتخذوها اضلوا بها خلقا كثيرا فانها عبدت في القرون الماضية الى زمان
مشتركة بمكة وغيرهم وهي موارثة قوم نوح للعرب واما اللات فلثقيف
واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر واما مناة
فلقديد واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة اساف حيال الحجر الاسود
ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة ثماني عشرة ذراعا وقد قال
الخليل عليه السلام في دعائه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن

كثيرا

كثيرا من الناس بها عبدوا هولاء الذين ... ايديهم ...
... وقد اضلوا كثيرا من الناس ...
دعا عليهم ... كما دعا موسى على فرعون وملائه
في قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم وانما لم يدع نوح بهذا الدعاء الا لما ايس من ايمانهم بقوله تعالى انه
لن يؤمن من قومك الا من قد امن ... تعالى
قيل دلت هذه الاية على اثبات عذاب القبر ولا يمكن حملها على عذاب الاخرة وقال
مقاتل والكلبي ... انهم سيدخلون في الاخرة نارا ثم عبر عن المستقبل بلفظ
الماضي لصدق وقوعه ... قال الامام فخر الدين الرازي ... ترك الظاهر من غير دليل
... ان هذه الاية تدل على عذاب القبر ... يقولون ... مستقبل دخول
النار او عرض عليهم اماكنهم في النار لقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
وقيل اشارة الى ما في الحشر ... وروى ... عن الضحاك
في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة
كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب ذكره الثعلبي وانشد ابن الانباري

الخلق مجتمع طورا ومفترق ... والحادثات فنون ذات اطوار
لا تعجبن لاضداد اذا اجتمعت ... فالله يجمع بين الماء والنار

قوله تعالى ... اي لم يجدوا لهم من يدفع
عنهم العذاب وهذا يدل على انهم انما عبدوا تلك الاصنام لتدفع عنهم
الافات وتجلب لهم المنافع فلما جاءهم العذاب لم ينتفعوا بتلك الاصنام
ولا كشفت عنهم كربة ولا طردت عنهم بلية قال تعالى وهو اصدق القائلين ام
لهم الهة تمنعهم من دوننا وهذا استفهام توبيخ اي ليس لهم مانع من امر الله
اذا احاط بهم قوله تعالى
لما ايس نوح عليه السلام من ايمانهم دعا عليهم وهذا كقول النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب هازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل
سبب دعاء نوح ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه السلام

فرمى نوحا بحجر فشجه فجهيده
وما احد رهدا انه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله
غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال
هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام نسائهم وايبس
اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله نوحا انهم
لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما تقدم قوله جل وعلا انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من
الاطفال لان الله تعالى لما عقمهم صار من الاطفال وقت التكذيب كهولا وشيوخا وقيل
دعا نوح عليه السلام على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من
تحزب على المؤمنين وكان هذا هو الاصل في الدعا على الكافرين واما كافر معين لم تعلم
خاتمته فلا يدعى عليه لان مآله مجهول وهو عند الله معلوم وانما خص رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة وغيرهما لعلمه بمآلهم وما كشف له عن حالهم
اي
قوله تعالى
ان يبقيت منهم احدا يضلوا عبادك الذين خلقتهم بعدهم ولا يلدوا الا فاجرا الاعمال
كافرا القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين ظهرهم الف سنة الا خمسين عاما
ثم قال
قوله رب اغفر لي ولوالدي قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان ابواه مسلمين لمك بن متوشلخ وسمحا بنت انوش وقد تقدم ان لم يكن بين نوح
وادم عليهما السلام اب كافر وقوله وللمؤمنين والمؤمنات قيل هذا دعا عام
لكل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وروى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الداعي للمؤمنين والمؤمنات يغفر الله له بعدد كل مؤمن ومؤمنة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الداعي للمؤمنين
والمؤمنات يقام يوم القيمة فيثني الله تعالى عليه في الاولين والاخرين خيرا بدعائه لهم فيامره
الله تعالى بمثل اجورهم اجمعين ولا ينتقص من اجورهم شيئا ويامر الله تعالى الاولين والاخرين
فيستغفرون له وقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل اراد به قومه وكل

المشركين

المشركين الى قيام الساعة وذلك انه عليه السلام خص نفسه اولا بالدعا ثم ثنى
بالابوين ثم [illegible] بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ثم ختم كلامه
بالدعاء على الكافرين بالهلاك والدمار فاستجاب الله له وهي دعوة عامة في كل كافر
ومشرك وروى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام اللهم يا من
بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله استعملنا بما علمتنا وانفعنا بما رزقتنا وبارك
لنا فيما اعطيتنا وارحمنا اذا وسدنا واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه والحمد لله رب العالمين

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه

الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم
ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا
رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا

وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا التفسير قوله تعالى
هذه السورة
مكية وهي ثمان وعشرون اية ومناسبتها لسابقتها ان الله تعالى لما حكى تمادي قوم نوح
في الكفر وتكرههم على عبادة الاصنام وكان نوح اول رسول الى الارض كما ان محمدا
صلوات الله عليه اخر رسول الى الارض والعرب الذين هو منهم كانوا عبادا اصنام كقوم
نوح [illegible] اصناما مثل اصنام اولئك وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

من القرآن هاديا الى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الايمان به اكثرهم انزل الله سورة
الجن اثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤا عن الايمان اذ كانت الجن
خيرا منهم واقبل للايمان والمعنى قل يا محمد على لسان جبريل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة يقول الله تعالى انه امر رسوله صلى
الله عليه وسلم ان يخبر قومه ان الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا
له فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد اي الى السداد والنجاح فآمنا به
[illegible] المشهور ان هذا الاستماع هو المذكور في سورة الاحقاف
في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وهي قصة واحدة
وقيل هما قصتان وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ
وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين
الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب
قالوا ما ذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا
الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر
الذين اخذوا نحو تهامة والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بنخلة قاصدين سوق
عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا
الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه
صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الاية وفي هذا الحديث دليل
على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولكنهم حضروا وسمعوا قراءته
الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فما وجه الجمع
من وجهين الاول ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين اخذ
الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني ان الذين رموا بالشهب كانوا
من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الانس والجن فان الشياطين
كل متمرد بعيد من طاعة الله عز وجل قال فخر الدين الرازي اختلف في اولئك

الجن الذين سمعوا القرآن من هم فروي عاصم ان قدم رهط زوبعة واصحابه على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقيل
كانوا الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وقيل
سبعة ثلاثة من ارض حران واربعة من اهل نصيبين وهي قرية باليمن غير التي بالعراق
وقيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى وقال
عكرمة كانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل ومذهب ابن مسعود رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالمسير اليهم ليقرا القرآن عليهم وروى ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا
ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا يا رسول الله اذهب معك قال
فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم
مضى الى الحجون فانحدروا امثال الحجل كانهم رجال الزط يقرعون في دفوفهم كما
تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى بيده الي ان اجلس
ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى لا اراهم وفي رواية اخرى
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد لك قال
هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه
فقال على ما تشهدين قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما
جاءت قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما عاد الي قال اردت ان تأتيني قلت نعم
يا رسول الله قال ما كان ذلك لك قال هؤلاء الجن اتوا يستمعون القرآن ثم ولوا
الى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن
احدكم بعظم ولا ببعر وفي رواية انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ وضع راسه
في حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة
نبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضأ منه وقال ابو عبد الله الرازي وطريق
الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضي الله عنهم ان ما ذكره ابن
عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم
كما روى ابن مسعود وقال ايضا ان الواقعة كانت مرة واحدة وهو صلى الله عليه

(الزط) قال ابن الاثير في النهاية هم جنس من السودان والهنود

وامره وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل
الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه
وسلم ما قالوه لاقوامهم ٥ وقال ابن العربي ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه
شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة ٥ والصحيح ان الجن اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم دفعتين احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والاخرى
بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه ابن عباس انما هو في
اول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفي ذلك
الوقت لم يقرا عليهم كما حكاه عبد الله ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى
فذهب وذهب معه ابن مسعود وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود
وقال فخر الدين الرازي يعلم ان قوله تعالى قل امر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
ان يظهر لاصحابه رضي الله عنهم ما اوحى الله تعالى اليه في واقعة الجن وفيه فوايد
احدها ان يعرفوا بذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس
وثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا
به وبالرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها ان يعلم ان الجن يكلفون كالانس
ورابعها ان يعلم ان الجن يسمعون كلاما يفهمونه من لغتنا وخامسها ان يظهر
المومن منهم بدعوى غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفوها
الناس ٥ واختلف العلماء في اصل الجن فروي عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس
والانس ولد ادم ومن هولاء وهولاء مومنون وكافرون وهم شركاء في الثواب
والعقاب فمن كان من هولاء وهولاء كافر فهو شيطان ٥ وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن ومنهم الكافر
والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس ٥ وذكر الحسن ان منهم يهودا
ونصارى ومشركين ومجوسا وصابيين وليس يمتنع روية النبي صلى الله عليه
لهم في صورهم كما راى الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الحديث
ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن النبي صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان
يرجع الى اهله الحديث وفيه فاذا حية مطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح

فانشطها

فانشطها وذكر الحديث ٥ وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ان لهذه البيوت
عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر
قوله تعالى انا سمعنا قرانا عجبا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم لقوله فلما قضي
ولوا الى قومهم منذرين ووصف القران بعجب اما على المبالغة اي خارجا عن حد
اشكاله اما في فصاحة كلامه او في بلاغة مواعظه او عجبا في عظم بركته او عزيزا
لا يوجد مثله ٥ وقوله يهدي صفة اخرى اي هاديا الى الرشد وقيل يهدي الى الصواب
وقيل الى التوحيد ٥ وقوله فامنا به اي بالقران اي فاهتدينا به وصدقنا انه من
عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا
عليه من الاشراك وهذا يدل على انهم قبل ايمانهم كانوا مشركين قوله تعالى
الجد العظمة والجلال ومنه قول انس
رضي الله عنه كان الرجل اذا حفظ البقرة وال عمران جد في عيوننا اي عظم وجل فمعنى جد
ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال
انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ٥ واعلم انما عنى الجن ان حظوظ من
الملك والسلطان والقدرة والعظمة عاليه فلا يكون له صاحبة ولا ولد وانما يكون
ذلك للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة والباعثة الى اتخاذها او واما
الولد فانما يكون للمعاونة والمساعدة وعن شهوة ان يحبه الى النكاح الذي يحدث
منه الولد ولهذا قال النفر من الجن علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته
ان يكون ضعيفا كضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة الى اتخاذ صاحبة
او وقاع شي يكون منه ولد ٥ قوله تعالى
اي جاهلنا الخفيف القدر العقل او مجاهد وقتادة هو ابليس يقول تعالى
مخبرا عن قول النفر الذين من الجن الذين استمعوا القران يقول سفيهنا وهو ابليس
على الله شططا اي قولا يخرج به عن الحق والصواب وهو انه لا يبعث احد
وان له صاحبة وولدا وشركا وكما ذكر في السورة فان ابليس تحسنه عند
اتباعه ويضيفه الى الله تعالى كذبا ٥ وقوله انا ظننا اي كنا حسبنا ان لن تقول الانس
والجن واعتقدنا ان احدا لا يجترئ على الله بكذب فينسب اليه الصاحبة والولد

فاعتقدنا صحة ما اغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبين لنا كذبه وكذب مردته ۝ قوله تعالى

قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان الرجل اذا نزل بواد واراد المبيت او الحلول فيه نادى باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني اعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ۝ واتفق المفسرون على انه كان رجال من الانس يلتجئون في اسفارهم اذا نزلوا واديا مقفرا موحشا يخافون فيه على انفسهم من الجن ان تتخبطهم اوينالوهم بشر فيقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه ۝ وقال مقاتل اول ما تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب ۝ وقوله فزادوهم رهقا يعني ان الانس زادوا الجن غيا ۝ وقال القتبي طغيانا واثما ۝ وقال الاصمعي الرهق غشيان المحارم وقال ابو سعيد هو مقارنة الاثم ۝ وقال قطرب هو الخفة والطيش وذلك ان الجن اجترؤا عليهم وتعززوا في انفسهم وقالوا سدنا الجن والانس فطغوا بذلك في كفرهم ۝ وقيل معناه زاد الجن كفار الانس بذلك طغيانا في الكفر لانهم كانوا اذا عاذوا بهم فامنوا في منواهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشيطان وقبول وساوسهم وقال مجاهد زادوا يعني الانس رهقا اي صاروا سببا لذلك وتحقيقه ان الانس ازدادوا طغيانا وكفرا بما فعلوه من العوذ بالجن دون العوذ بالله وقال كردم بن ابي السايب خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذيب فاحتمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك الله فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اي خطيئة واثما ولما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم ۝ وروى ابن ابي حاتم عن عكرمة كان الجن يفرقون من الانس كما تفرق الانس منهم او اشد فكان الانس اذا نزلوا واديا هرب الجن منه فلما تعوذوا بهم قال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فمنذ ذلك تجرؤا على الانس فاصابوهم بالخبل والجنون فذلك قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ايخوفا ۝ وقد ساق ابن ابي حاتم حديث كردم بن ابي السايب الانصاري وبينه

الى الراعي فاخذ الذيب حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك الله ونادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وابي العالية والحسن وسعيد رحمهم الله نحو من ذلك ويكون هذا الذيب الذي اخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الانسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويستدرجه على الكفر قوله تعالى

هذا من قول الله تعالى للانس ان الجن ظنوا ان لن يبعث الله احدا كما ظننتم ۝ وقال الكلبي المعنى ظن الجن كما ظن الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش اي اذا امن هؤلاء الجن بمحمد فانتم احق بذلك

اخبر الله تعالى عن الجن حين بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القرآن وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر ارجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على السنة الكهنة فيلتبس الامر ويختلط ولا يدرى من الصادق فكان هذا من لطف الله ورحمته وحفظه لكتابه العزيز لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولهذا قالت الجن انا لمسنا السماء الاية وقولهم انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان من يروم ان يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحرقه ويهلكه ۝ وقد اختلف الجمهور هل كانت السماء تحرس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ام ذلك امر حدث لمبعثه صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما خمسمائة عام وانما كان ذلك من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قاله الكلبي ورواه عطية عن ابن عباس وذكره البيهقي ۝ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما كان

اليوم الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من مقاعدها ورموا
بالشهب ۝ وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين
بالشهب ومنعت من الدنو من السماء ۝ وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع
فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ۝ وقال أبي بن كعب
لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرمي بها ۝ وقيل كان ذلك قبل البعثة وإنما زادت ببعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم إنذارا بحاله وهو معنى قوله قد ملئت أي زيد في حرسها ۝ وروى الزهري عن
علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم فقال عليه الصلاة والسلام إنها لا ترمى
لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا في السماء سبح حملة
العرش ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء فيسأل أهل السماء
حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرون ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه
السماء فتخطفه الجن فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل
على أن الشهب كانت موجودة قبل البعث وهذا قول الأكثرين ۝ قال الجاحظ
فإن قيل كيف تتعرض الجن لاحتراق نفسها بسبب سماع خبر بعد أن صار
ذلك معلوما لهم ۝ فالجواب أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة
كما ينسى إبليس في كل وقت أنه لا يسلم وأن الله تعالى قال له وإن عليك اللعنة إلى
يوم الدين ولولا ذلك النسيان لما تحقق هذا عندهم والرصد قيل الملائكة والرصد
الحافظ للشيء وقيل الرصد هو الشهاب أي شهابا قد أرصد له ليرجم به ۝
قوله تعالى ... قيل
فزعت الشياطين مما رأوا فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من الأمر فقال ائتوني
من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فأرسل سبعة
نفر من جن نصيبين فقدموا أرض مكة فوجدوا نبي الله قائما يصلي ويقرأ القرآن فدنوا

منه حرصا على سماع القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله عز وجل أمرهم
على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا المعنى قال ابن زيد معنى قولهم لا ندري
هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا وهو
قول الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا ندري أشر
أريد بمن في الأرض بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه
كما هلك من كذب من الأمم أم أراد بهم أن يؤمنوا فيهتدوا به فيحصل لهم الإيمان
الرشد ولهذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته
علموا أنهم ما منعوا إلا بسببه من الاستماع من السماء حراسة للوحي ۝ وقيل هذا
قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين أي لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن
كثير من أهل الأرض فقالوا إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمنا به أم يؤمنون ۝ قوله
تعالى ... هذا من قول
الجن قول الله تعالى مخبرا عنهم أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم منا المؤمن ومنا الكافر
وقيل قالت الجن ذلك قبل استماع القرآن مؤمنون بالأنبياء المتقدمين صالحون
كالأبرار متقدمون في عمل الخير ومنا دون ذلك أي مؤمنون دون الطبقة الأولى ۝
وقوله كنا طرائق قددا أي فرقا وقطعا مختلفين كفارا ومؤمنين ما أحدثنا في إيماننا
ما لم يكن من جنسه ويدل عليه أنه كان في زمن موسى وعيسى منهم مؤمنين سمعنا
كتابا أنزل من بعد موسى ولما تعجب منهم لمن رجعوا إليهم منذرين القدد قال
المفسرون ذلك على اختلاف الأهواء وقيل على اختلاف الملك قوله تعالى ...
أي علمنا أن قدرة الله حاكمة
علينا وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا الهرب فإنه علينا قادر لا نعجزه أحدا
والظن هنا بمعنى العلم واليقين والمعنى أنهم علموا بالاستدلال والتفكر في آيات
الله أنهم في قبضته وسلطانه لا يفوتونه بهرب ولا غيره وأنا لما سمعنا ...
... به يفتخر ويزيد لك بذلك هو معجز لهم وشرف رفيع وصفة حسنة وقولهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يخاف نقصا في حسناته
ولا زيادة على سيئاته قال تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما وقوله ولا رهقا أي إثما ۝ قوله

اي وانا منا المسلمون اي الذين خضعوا لله عز وجل بالطاعة
ومنا القاسطون وهم الجائرون عن الاسلام وقصد السبيل وقال ابن عباس القاسطون
وهم الجائرون عن الاسلام وقصد السبيل وقال ابن عباس القاسطون العادلون
عن الحق وقيل القاسطون الجائرون عن الاسلام وقيل القاسطون هم الظالمون وقال
ابن زيد المقسط العادل والقاسط الجائر يقال اقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب
المقسطين وقوله فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي فمن اسلم لله وخضع له بطاعته فاولئك
تعمدوا وتحروا رشدا في دينهم اي قصدوا طريق الحق وتوخوه وطلبوه باجتهاد وقوله
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا لم يذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب
المسلمين بل ذكر ثواب المؤمنين بقوله تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما
لا يعلم كنهه الا الله ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب والقاسطون صاروا في علم الله
وقود الجهنم اعاذنا الله منها ثم انه تعالى اخبر عن طغي كفره فقوله تعالى

عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه
لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعوا ربي ولا اشرك

ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له
نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين
يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى

وجه المناسبة للايات السابقة لما اخبر تعالى عن من اسلم وتحرى الرشد وعن
القاسطين وانهم حطب جهنم قال تعالى هنا وان لو استقاموا على الطريقة اي
القاسطون لو استقاموا على طريق الحق لانعم الله عليهم بتوسعة الرزق لان قوله

لاستقيناهم

لاسقيناهم ماء غدقا كناية عن توسعة الرزق فان ... وكان هذا القول عن الجن يملون اليه ...
لو ثبتوا على طاعة الله وسعدوا [illegible] عليه السلام لم [illegible] الدين الاسلام
لانعمنا عليهم كما قال تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية وقوله
تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
الاية وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية وقوله تعالى استغفروا ربكم
انه كان غفارا الايات وانما ذكر الماء في الاية كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع
وهذا هو اللائق [illegible] المشروب [illegible] المراد من الاية العموم [illegible]
الجن والانس [illegible] ان لو استقاموا على الطريقة اي على الطاعة وقال
مجاهد على الاسلام وقاله سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي ومحمد
ابن كعب القرظي وقوله تعالى

معنى عذابا صعدا اي شاقا شديدا وقوله لنفتنهم فيه اي لنبلوهم به قال
مقاتل نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين وقيل في الاية وجه
اخر ان لو استقاموا على طريقة الضلال لاسقيناهم ماء غدقا اي لاوسعنا عليهم
الرزق استدراجا كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى
اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى ايحسبون انما
نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال [illegible]
وان لو استقاموا على الطريقة اي طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وحكاه
البغوي عن الربيع بن انس وزيد بن اسلم والكلبي وابن كيسان ويؤيده ما بعده
لنفتنهم فيه وقوله ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا اي عذابا مشقا شديدا
موجعا مؤلما لا راحة فيه لانه اعرض عن ذكر ربه فلم يقبله ووصف العذاب بصعدا
لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقال ابن عباس هو جبل في
جهنم وقيل صعدا صخرة في جهنم كلما وضعوا ايديهم عليها ذابت وقال
الكلبي هي صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر
الى جهنم وقال الكلبي هي صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى
الى اعلاها حدر الى جهنم وقال [illegible] يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد

جبلا في النار من صخرة صماء ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ اعلاها الا في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر
الى اسفلها ثم يكلف ايضا صعودها مرة اخرى دابه ابدا ه قوله تعالى

امر الله تعالى عباده ان يوحدوه في محال عبادته
ولا يشرك به وقال قتادة في قوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا كانت
اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يوحده وقال ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا قال لم يكن يوم نزلت هذه الاية في الارض مسجد الا المسجد
الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس ه وقال ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير وان
المساجد لله قالت الجن لنبي الله صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان ناتي المسجد ونحن
ناؤون عنك ام كيف نشهد فنزلت وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا قال الحسن
اراد بها كل البقاع لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقول
اينما كنتم فصلوا فاينما صليتم فهو مسجد ه وقال الحسن من السنة اذا دخل احد
المسجد ان يقول لا اله الا الله فلا ادعو مع الله احدا ه وقال سعيد بن جبير نزلت
في اعضاء السجود اي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وذكروا عند هذا القول الحديث
الصحيح من رواية عبد الله ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين
والركبتين واطراف القدمين ه وقوله

وجه المناسبة للاية السابقة لانه لما قال وان المساجد
لله اضافها الى نفسه اضافة تشريف اتبعه بهذه الاية وانه لما قام عبد الله يدعو
اي لما قام في حالة صلاته والمراد بقوله عبد الله اي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوا اي يعبد الله ويصلي له كادت الجن ان يكونوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم متراكبين لشدة شهوتهم لما سمعوا منه وقوة حرصهم على التمكن من سماعه
وعلى هذا اكثر المفسرين ه وقيل هو قول الجن رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الجن لقومهم لما رجعوا اليهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اي لما

راوه يصلي واصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده تعجبوا من طواعية اصحابه له
وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير ه وقال الحسن لما قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا اله الا الله ويدعو الناس الى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا ليطفئوا
نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير ه قوله تعالى
اي
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا
ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته قال انما ادعوا ربي اي اعبده وحده لا شريك له
واستنصره واتوكل عليه ولا اشرك به احدا ه وقال الزبير بن العوام لما كان حين
استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم كادوا يسقطون ازدحاما عليه ويركب
بعضهم بعضا حرصا على سماع القران لما انهمك وروي عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق
الفجر ه وقال ابن عباس هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم وقد تقدم ه وقيل كاد
المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال انما ادعوا
ربي وهذا وجه المناسبة اي انما انا عبد خالقي اعبده ولا اشرك به احدا من خلقه
ثم امر ان يقول

اي لا اقدر ان ادفع ضرا عنكم ولا اجلب نفعا لكم وقيل لا املك
لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد
النعيم انما انا بشر مثلكم يوحى الي وعبد من عباد الله ليس لي من الامر شيء في هدايتكم ولا
غوايتكم بل المرجع في ذلك كله الى الله تعالى ه وقوله لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه
عني احد ان عصيته وذلك انهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك ه وقال الماوردي
وهذه الاية تحتمل معنيين احدهما ان يجيرني مع اجارة الله لي احد الثاني لن يجيرني
مما قدره الله تعالى علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ الجأ اليه قاله قتادة ولا
اجد منه نصيرا او مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل
السرب وقيل مذهبا ولا مسلكا قاله ابن شجرة وقال الشاعر

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية … عني وما من قضاء الله ملتحدا

اي لكن ان بلغت عن الله رحمني ويحتمل ان يكون استثناء من قوله لن يجيرني من
الله احد اي لا يجيرني منه ولا يخلصني الا ابلاغي الرسالة التي اوجب اداها علي كما قال تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من
الناس ومن يعص في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم يصلاها خالدين فيها ابدا
ابدا لا يبرحون فيها ابدا الى غير نهاية ٥ قوله تعالى
اي حتى اذا راى هولا المشركون من الجن والانس ما
يوعدون يوم القيمة فسيعلمون يومئذ من اضعف ناصرا واقل عددا هم ام المومنون
الموحدون لله عز وجل اي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم اضعف ناصرا من ضعف
ناصره صار في حكم اقل العدد وان كثر ٥ قوله تعالى
يعني قيام الساعة وقبل عذاب الدنيا امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقول للناس انه لا علم له بوقت الساعة وفي هذه الاية الكريمة
دليل على ان الحديث الذي تداوله كثير من الجهلة من انه صلى الله عليه وسلم لا يؤلف
تحت الارض كذب لا اصل له ولم نره في شي من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسال
عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل عليه السلام في صورة اعرابي كان
فيما سال عنه ان قال يا محمد اخبرني عن الساعة فقال له ما المسول عنها باعلم من السائل
ولما ناداه ذلك الاعرابي بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة قال ويحك انها كائنة
فما اعددت لها قال اما اني لم اعد لها صلوة ولا صياما ولكني احب الله ورسوله قال
فانت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بشي فرحهم بهذا الحديث ٥ وروى ابن
ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني ادم ان كنتم
تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لات ٥ قوله تعالى
ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى قوله لو ان بينها وبينه امدا
والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى قوله لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسئل عن المعد فكان يقول لا ادري اهو حال يتوقع في كل ساعة
ام موجل ضربت له غاية وقال مقاتل لما سمع المشركون قوله حتى اذا راوا ما

يوعدون

يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا
الذي توعدنا به فامر الله تعالى بان قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما
بقرب وقوع القيمة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيد قلنا المراد
بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما
معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم ٥ قوله تعالى
هذه الاية الكريمة كقوله تعالى ولا
يحيطون بشي من علمه الا بما شا وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة وانه
لا يطلع احد من خلقه على شي من علمه الا مما اطلعه الله عليه ولهذا قال فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول البشري والملكي ثم قال
اي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه
من امر الله ويساعدونه على ما معه من وحي الله ٥ قال ابن جرير حدثنا ابن حميد ثنا
يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال اربعة حفظة
من الملائكة مع جبريل ورواه ابن ابي حاتم من حديث يعقوب القمي وهكذا روى
عن الضحاك والسدي ٥ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة
اي ليعلم نبي الله ان الرسل قد بلغت عن الله وان الملائكة حفظتها
ودفعت عنها ٥ وقيل المعنى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه
على ما يشاء من غيبه ولما انه سبحانه تمدح بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه دل على
انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما شاء من غيبه
بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم
ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه
من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه
وكذبه ٥ وقال بعض العلماء ليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان
مختلفي الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير

والكسر الصغير مع اختلاف طوالعهم وسائر مواليدهم ودرجات نجومهم
في ساعة واحدة فان قالوا انما اغرقهم الطالع الذي يكون فيه فيكون على مقتضى ذلك
ان الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وسا
بمقتضى طالعه المخصوص به فلا فائدة اذًا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي
ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد احسن القائل

حكم المنجم ان طالع مولدي ... يقضي علي بميتة الاغراق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ... ولد الجميع بكوكب الاغراق

وقيل لعلي كرم الله وجهه لما اراد لقاء الخوارج انلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين
قمرهم وكان ذلك في آخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من
المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر
في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه
ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء شديد وان سرت ان م
في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه
ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول
لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا ه اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك لا طير ا
ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس
فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكاهن
والكاهن كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم
او تعمل بها لاخلدنك الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لي سلطان
ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة
في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل انما كان
ذلك بتنجيمه وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا بعده وقد فتح الله علينا بلاد
كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به ه قوله تعالى
كل شيء عددا

اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد ابلغوا الرسالة قاله مقاتل وقتادة

ان بلغوا

اي بلغوا على ما جاءهم من الحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل ومن معه
اليه رسالة ربه قاله ابن جبير وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم
سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقيل ان يكون الضمير عائدا الى الله عز وجل
وهو قول قاله ابن الجوزي ويكون المعنى في ذلك انه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من
اداء رسالته ويحفظ ما ينزله اليهم من الوحي ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ويكون
ذلك كقوله فليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين الى امثال ذلك مع علمه بانه
يعلم الاشياء قبل كونها قطعا لا محالة ولهذا قال واحاط بما لديهم واحصى كل
شيء عددا ه اي احاط علمه بما عند الرسل وما عند الملائكة وقال ابن جبير ليعلم
الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته واحصى كل شيء عددا اي علم
كل شيء وعرفه فلم يخف عليه شيء منه والله تعالى عالم بالجزئيات وجميع الموجودات
روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة ه
اللهم يا علام الغيوب وكاشف الكروب لك الاحاطة والاحصاء بجميع المخلوقات
احصيت عليهم انفاسهم واعمالهم في سائر الاوقات فلا يغيب عنك امر ولا
يضيع عندك سعي ساع اسألك اللهم مدد الاحصاء وحفظ حقائق الاسماء ه
وتولني برحمتك واسكني فسيح جنتك واغفر لي ولوالدي وللمسلمين وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن
ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا

رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما

كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا

هذه السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر
وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي
وهي تسع عشرة آية ومناسبة هذه السورة لسابقتها ان آخر ما قبلها قوله تعالى عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الآية وقال في اول هذه السورة
يا ايها المزمل اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل واظهره على
غيبه وخصه بخصائص وكفاه شر اعدائه ، وسبب نزولها ما قاله الحافظ ابو بكر احمد
ابن عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا محمد بن موسى القطان الواسطي ثنا معلى بن عبد الرحمن
ثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة
فقالوا سموا هذا الرجل اسما تصدوا الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن
قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرقوا على ذلك
المشركون فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه
جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر ، والمعنى امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يترك التزمل وهو التغطي وينهض الى القيام لربه جل وعلا
كما قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما امره الله تعالى به
من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وههنا بين له مقدار ما يقوم به فقال تعالى يا
ايها المزمل قم الليل الا قليلا وههنا فيه اقوال ثلاثة الاول قال عكرمة المزمل
بالنبوة والملتزم للرسالة الثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقرآن الثالث
قال قتادة يا ايها بثيابه اي متزمل في ثيابه للصلوة واستعد فهو على معنى يا ايها
المستعد للعبادة ، وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم
وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت
الملاطفة بالمخاطب وترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها
كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه ولصق بجنبه التراب قم ابا

تراب

تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله تعالى يا ايها المزمل فيه تأنيس وملاطفة
قوله تعالى قم الليل الا قليلا قال الجمهور هو على وجه الندب وقيل كان فرضا
على الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل عليه وعلى اصحابه ، وقيل كان ذلك
في ابتداء ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله
وقال زملوني دثروني ، وقوله قم الليل اختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلائل
تقوي ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه
ليس مخصوصا بوقت دون وقت ، واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه
وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام او
عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال احدها القول الاول قول سعيد بن جبير كان فرضا
عليه لتوجه الخطاب اليه ، والقول الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء قبله ، والقول الثالث قول عائشة وابن
عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام
ابن عامر قال لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست
تقرا يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه
السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها
اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله عز وجل في آخر السورة التخفيف فصار قيام
الليل تطوعا بعد فريضة ، وروى وكيع عن ابن عباس لما نزلت يا ايها المزمل كانوا
يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين نزول اولها وآخرها
نحو من سنة ، وقيل ان قيام الليل كان واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس ،
وقيل كان تعسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله فنسخ بقوله
آخرها فاقرؤوا ما تيسر من القرآن وكان تعيين الواجب ونسخه سنة ونسخ بمكة
وبقي التهجد وقيل المكتوب التهجد لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه
لو وجب عليه صلى الله عليه وسلم لوجب على امته ، وقوله قم الليل الا قليلا
اي امرناك ان
تقوم نصف الليل [illegible] او انقص قليلا لا حرج عليك في ذلك ، قيل

اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعايشة رضي الله عنهم ان
الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخرها ٥ وقيل
هو قوله علم ان لن تحصوه ٥ وعن ابن عباس ايضا انه منسوخ بقوله علم ان سيكون
منكم مرضى ٥ وعن عايشة ايضا والامام الشافعي وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات
الخمس ٥ وقيل الناسخ قوله فاقرءوا ما تيسر منه قال ابو عبد الرحمن السلمي
لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حتى تورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقرءوا
ما تيسر منه ٥ وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل كانت فريضة
على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة وما جاء في قيام الليل من الترغيب والفضل
قالت عايشة رضي الله عنها كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي
عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب
عليهم قيام الليل فدخل البيت فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال
يا ايها الناس تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا
من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل
بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية
اشهر فنزل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة
ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به ومعنى حديث عايشة ثابت في الصحيح
الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزلت بالمدينة وانهم مكثوا
ثمانية اشهر يقومون وتقدم عنها في صحيح مسلم حولا ٥ قوله تعالى ورتل القران
ترتيلا اي لا تعجل في قراءة القران بل اقراه على مهل وبينه تبيينا مع تدبر المعاني وكذلك
كان يقرا صلوات الله وسلامه عليه قالت عايشة رضي الله عنها كان يقرا السورة
فيرتلها حتى تكون اطول من اطول منها ٥ وفي صحيح البخاري عن انس انه سيل عن
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم ٥ وقال ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة
انها سيلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يقطع قراءته اية
اية بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين

رواه احمد وابو داود والترمذي ٥ وروى الامام احمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا
فان منزلك عند اخر اية تقرؤها ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث
سفيان الثوري وقال الترمذي حسن صحيح ٥ وجاء في الحديث زينوا القران باصواتكم
وهذا من الاحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ٥ وجاء
ليس منا من لم يتغن بالقران ولقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني ابا موسى
فقال ابو موسى لو اعلم انك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرا ٥ قوله تعالى
اي هو القران بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالصلوة
والصوم والجهاد وتفاوته الاعمال الصالحة ٥ وقال الحسن العمل به خفيف ولكن
العمل ثقيل وقال ابو العالية والقرظي ثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعيده
وقيل ثقله ما كان يحل بجسمه صلى الله عليه وسلم حالة تلقيه الوحي حتى كانت
ناقته تبرك به ذلك الوقت وحتى كادت فخذه ان ترض فخذ زيد بن ثابت ٥ وقال
الامام احمد حدثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن عمرو بن الوليد عن
عبد الله بن عمرو قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع صلاصل الحديث تفرد به احمد وفي صحيح
البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم
عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت
عايشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا ٥ واختار ابن جرير انه ثقيل من الوجهين معا قال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيمة في الميزان وقيل هو اشارة الى العمل
به ٥ وقيل كناية عن بقايه على وجه الدهر لان الثقيل من شانه ان يبقى في مكانه
وقال الزمخشري وهذه الاية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ما جاء من قيام
الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات
والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة الطبع ومجاهدة لنفسه ٥ سهره عن الاعم

مرجب المعنى وذلك قوله تعالى
مطابق لقوله قم الليل فكأنه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المتناسبين
والمعنى سنلقي عليك بافتراض صلوة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر
بقيام اكثره لم يتهيأ له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان فهو
امر يثقل على العبد ه وقيل المعنى سنوحي اليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل
بشرايعه قال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه
وقال الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام
وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اعمالهم وقيل
على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب الهتهم ه وقال الحسين
بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد والمعنى انه
ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا ه وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك
فوايده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في
احكامه وكذا اهل اللغة بحثوا في غرايبه وكذا اهل المعاني والبيان بحثوا في اقسام
معانيه ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان
الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال بجملته فصار كالجبل الذي يعجز الخلق عن
حمله ه وقال القشيري القول الثقيل لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله
خفيفة في اللسان ثقيلة في الميزان ه وقوله ان ناشئة الليل قال ابن عمر وانس بن مالك
وعلي بن الحسين هي ما بين المغرب والعشاء ه وقالت عايشة ومجاهد هي القيام
بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم فلم يقم ناشئة وقال ابن عباس وابن الزبير
الليل كله ناشئة وكذا قال مجاهد [illegible] يقال نشأ اذا قام من الليل والغرض
ان ناشئة الليل هي ساعاته واوقاته وكل ساعة تسمى ناشئة والمقصود ان قيام
الليل اشد مواطاة بين القلب واللسان واجمع على التلاوة ولهذا قال هي اشد وطاء
واقوم قيلا اي اجمع للخاطر في اداء القراءة وتفهمها من النهار والمعنى بين الله تعالى في
هذه الاية فضل صلوة الليل على صلوة النهار وان الاستكثار من صلوة الليل بالقراءة فيها
ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب ه وقال ابن عباس ومجاهد ناشئة الليل هي الليل كله

لانه

لانه ينشاء بعد النهار وهو [illegible] وقالت عايشة [illegible]
الناشئة القيام بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة ه وقال يمان وابن
كيسان هو القيام من اخر الليل ه قوله اشد وطاء اي اثقل على المصلي من ساعات
النهار فاذا قام لصلوة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة والمعنى اشد موافقة من القلب
والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات وقيل اشد مهادا للتصرف في
التفكر والتدبر ه وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله
فيكون ذلك اثبت للعمل والوطء مكان [illegible] وطئت الارض بقدمي [illegible]
اي المراد ان الليل اقوم قيلا لهدوء الاصوات واستمرارا على الصوت ه وقال
عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة ه قوله تعالى
قال ابن عباس وعكرمة وعطا ابن ابي مسلم الفراغ والسعة
وقال ابو العالية ومجاهد وابو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن انس وسفيان
الثوري فراغا طويلا قال قتادة فراغا وبغية ومنقلبا وقال السدي سبحا طويلا اي قوما
كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله ان لك في النهار سبحا طويلا قال لحوائجك
فافرغ لدينك في الليل قال وهذا كان حين صلوة الليل فريضة ثم ان الله تعالى من على عباده
فخففها ... قم الليل الا قليلا الى اخر الاية ثم قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه ... ما تيسر منه وقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا ه قوله تعالى
اي ادعه باسمائه الحسنى ليحصل لك مع
الصلوة محمود العاقبة ه وقيل اقصد بعملك وجه ربك ه وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
في ابتداء صلوتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه ه وقيل اذكر اسم
ربك ليلا ونهارا واجعل ذكرك بتسبيح وتهليل وغيرهما والمعنى دم على ذكره ه وقوله وتبتل
اليه تبتيلا قال ... التبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم
نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج والمراد به في الاية
الانقطاع الى عبادة الله دون ترك النكاح والمعنى انقطع عن الاوثان والاصنام
ومن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار

التبتل مامورا به في نهار رمضان عنه في السنة ويتعلق الامر بغير متعلق النهي فلذلك يكون كل
منهما على ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم والتبتل المامور
به الانقطاع الى الله بالاخلاص والعبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين والتبتل المنهي عنه فساد الزمان جزما ان المسلم عما يسع بما يشغله بالجبال ومواضع
المطر بعيد به من المصر قوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
لا ينبغي ان يعبد له سواه لان رب له المشرق والمغرب هو الاله المعبود فاتخذه وكيلا
اي فيما مورك وفوض اليه اسبابك
امر رسوله بالصبر على ما يقولونه سفهاء قومه وان يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب
معه وفوض امرهم الي فاني اذا كنت وكيلا لك اقوم بصلاح امرك احسن
من قيامك بامور نفسك واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم
وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد ذلك بقتالهم قال قتادة نسختها اية
هذه الاية
القتال ثم قال جل وعلا
نزلت في صناديد قريش ورؤساء المكذبين المستهزئين وهم المطعمون يوم بدر وقد تقدم
ذكرهم في سورة الانفال وهم عشرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا
اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا وقوله ومهلهم قليلا يعني الى مدة
اجالهم وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية ما كان بينهم وبين وقعة بدر الا
يسيرا قال تعالى ذرني والمكذبين المترفين اصحاب الاموال ومهلهم قليلا اي رويدا كما
قال نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولهذا قال ههنا
الانكال القيود قاله ابن عباس وعكرمة
وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وابو عمران الجوني وابو مجلز والضحاك وحماد
بن ابي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغيرهم واحدا وجحيما النار
الموقدة المسعرة المضطرمة وقوله وطعاما ذا غصة قال ابن عباس ينشب في الحلق فلا
يدخل ولا يخرج بغصصه اكله وعذابا اليما اي مولما موجعا وقيل ان لدينا انكالا
في الاخرة اي غلالا يجعلون بها ايديهم الى اعناقهم بالحديد وجحيما معظم النار وطعاما
ذا غصة الزقوم والضريع والغسلين يستمسك في الحلق فلا يكاد يسيغونه وقال

عطا

عطا الحسن [illegible] حتى يسمعهم من الجوع لا يطعمون [illegible] ويخشعون
ينصون بها [illegible] يسعون [illegible] وهذا كله للذين [illegible] تعالى في حقهم
[illegible] المكذبين [illegible] نعمة وقوله عذابا اليما
اي هذا العذاب لهم يوم ترجف الارض والجبال وكانت
[illegible] ذلك [illegible] وكانت الجبال كثيبا [illegible]
[illegible] الا [illegible] هو ذلك اليوم [illegible]
[illegible] حتى [illegible] ثم انها [illegible]
[illegible] حتى [illegible] الارض [illegible] عوجا ولا امتا
[illegible] معناه لا شيء يخفض ولا يرتفع وقوله تعالى

يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسلنا اليكم [illegible] كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى
عليه السلام [illegible] لم ذكر موسى وفرعون دون ساير الرسل [illegible] لان اهل
مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم وتناسوه كما ان
فرعون ازدرى موسى لانه رباه وقال الم نربك فينا وليدا قاله ابو عبد الله الرازي وهو
ليس بقوي لان [illegible] صلوات الله وسلامه عليه ولد ونشا فيما بين قومه وكذلك
نوح وهود وصالح [illegible] في قصة كل واحد منهم لفظ اخاهم لانه من نسله
التي هي لها وقوله فعصى فرعون الرسول لتقدم ذكر الرسول وقيل في معنى كون
الرسول شاهدا عليهم من وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم
الثاني في الدنيا [illegible] من علمه من [illegible] لان الشاهد [illegible]
ولذلك تسمى بينة [illegible] قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
والثوري اخذا وبيلا اي شديدا فحذروا انتم ان تكذبوا رسولكم فيصيبكم ما اصاب
فرعون حيث اخذه الله اخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
والى الهلاك والدمار ان كذبتم لان رسولكم اشرف المرسلين وخاتم النبيين صلوات الله عليه
[illegible] ممن كفر [illegible] الكفر [illegible] على الايمان يوما يجعل الولدان شيبا [illegible]

صح

وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطايفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار
علم ان
منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل
الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة واتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا

الله ان الله غفور رحيم ٥ التفسير قوله تعالى

وجه المناسبة ان الله تعالى لما اخبر عن عصيان فرعون
لموسى صلوات الله عليه فعصى فرعون الرسول وبغى واستكبروا اخذه الله اخذ عزيز مقتدر لدعواه
ما ليس له بحق وادخله النار وبيس القرار ثم اعاد الخطاب الى قريش بقوله كيف
تتقون ذلك اليوم اذا جيتم بتكذيبكم لرسولكم وتلقوا الله بكفركم في يوم تشيب فيه
الولدان كيف يحصل لكم امان من يوم هذا الفزع العظيم وقيل كيف يحصل لكم تقوى ان
كفرتم بالله ولم تصدقوا به ٥ وقال قتادة كيف تتقون يوما قد كفرتم به ولم تصدقوا
به وهو يوم تشيب فيه الولدان والولدان الصبيان ٥ وقال السدي هم اولاد
الزنا ٥ وقيل هم اولاد الكفرة والهموم اي يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر
وذلك حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار وهذا ضرب مثل لشدة
ذلك اليوم ٥ وروى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا كان يوم القيمة
دعا ربنا ادم عليه السلام فيقول يا ادم قم فابعث بعث النار فيقول اي رب لا علم
لي الا ما علمتني فيقول الله اخرج من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين فيساقون
الى النار سودا مقرنين زرقا كالحين فيشيب هنا لك كل وليد وهذه الاية
تقريع وتوبيخ ٥ وقال فخر الدين الرازي ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم
امرين الاول ان قوله يجعل الولدان فيه شيبا انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد
يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان
اسرع فيه المشيب لكثرة الهموم لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب
وذلك الانعصار يوجب انطفا الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقا الاجزا الغذايه

عبرتا نه السمع وذلك يوجب تسلل الشيب على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض
الشعر فلما راوا حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن
الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان
ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جايز يوم القيمة القول الثاني ما بيته
من طول اليوم وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب والقول
الاول مستعار فيه من اقوال الفلاسفة ٥ قوله تعالى

اي متشققة بذلك اليوم متصدعة منشقة اي وكان وعده هذا اليوم
اي واقعا لا محالة اي كاينا لا محيد عنه والمعنى بما وعد الله من امر يفعله فهو كاين
لا يخلف وعده ومما وعد ان يفعله يوما يكون الولدان فيه شيبا فاحذروا ذلك
اليوم ايها الناس فانه كاين لا محالة ٥ قوله تعالى

هذه اشارة الى السورة واياتها كلها بانها عظة
او اي القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة
على انواع الهداية والارشاد فمن شاء ان يومن ويتخذ بذلك سبيلا الى ربه اي طريقا
الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل وقيل هذه الاية
منسوخة باية السيف وقال الثعلبي والاشبه انها غير منسوخة

وجه المناسبة ان الله تعالى لما قال فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي بالتقرب اليه
بالطاعة قال ههنا مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ان ربك يعلم انك تقوم
اي تصلي بتهجد وعلى عادتك كما امرنا بما يتخذ سبيل اليه فقيل هذه الاية
تفسير لقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه كما تقدم وهي
الناسخة لفرضية قيام الليل كما تقدم وقيل قوله تقوم اورد عليه كما تقدم وهي
الناسخة اي تصلي ادنى اي اقل وذلك لما استمر استعماله في امر قيام الليل اما على
الوجوب وعلى الندب على الخلاف الذي سبق ادنى من ثلثي الليل اي زمانا هو اقل من ثلثي
الليل واستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من
الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ٥ وهو يعلم انه قام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة

ادنى من الليل وذلك لتعذر معرفة التيسر بمقادير الزمان مع عذر
ادنى من نصفه وثلثه ادنى من الليل لا يحصون ذلك اي لا يحفظون مقادير ذلك
اليوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله والبشر لا يحصون ذلك
ولهذا قال اي رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقيام ما تيسر
وقوله من الذين معك اي تابعه هذا تابعه هلذا وذلك كله من غير تقدير منكم وكلي لا يقدرون
على المواظبة على ما امركم به من قيام الليل لانه يشق عليكم ولهذا قال
اي الليل والنهار ويزيد وينقص وهو جل
ولا العالم بمقاديرهما على الحقيقة وانتم لا تعلمون ذلك الا بالتحري المودي الى
الخطا احيانا وقوله علم ان لن تحصوه اي لن تقدروا على حفظ هذه المقادير
وقيل ان لن تطيقوه على الدوام ثم هذا لم يكن تكليف ما ليس في الوسع لان كان يشق
عليهم بعض المشقة ولهذا قال فتاب عليكم اي رجع بكم من ثقل الى تخفيف بان ازال
عنكم هذا الفرض واسقط عنكم مؤنة حفظ التقدير وهو كقوله علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم فتاب عليكم وهذا تخفيف في ترك القيام المقدر
عبر بالقراة عن الصلوة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع
والسجود قال تعالى وقران الفجر وتسمى تسبيحا فقوله فاقروا ما تيسر اي فصلوا
من صلوة الليل ما تيسر ثم نسخ جميعا بالصلوات الخمس وكان الحسن يقول ان
قيام الليل واجب ولو حلب شاة وهو قول جماعة من اهل العلم وقال عبد الرحمن
ابن زيد وقتادة وجماعة انتسخ فرض قيام الليل الا قليلا او كثيرا وقال الضحاك ومقاتل
ارتفع عن الامة لا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك اي زيادة على ما فرض على امتك من الصلوات الخمس وقيل قوله فاقروا ما تيسر
من القران هو على حقيقة القراة في صلوة الليل وقيل في كل صلوة وذلك لانه على
ان قراة الفاتحة غير متعينة للفرض كما قال اصحابنا وقيل المراد نفس القراة اي
فيما تصلونه في الليل ما خف عليكم قال السدي مائة اية وقال كعب من قرا في ليلة مائة
اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية وقال القرطبي قول كعب اصح لقوله
عليه الصلوة والسلام من قام بعشر ايات من القران لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة
اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي

وروى انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين
في يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة اية كتب من القانتين ومن قرا مائتي اية
لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر وفي رواية من
المقنطرين والقنطار من الاجر جاء في الحديث ان القنطار الف ومائتا اوقية وفي رواية
خير مما بين السماء والارض وقال الامام انما قول ما نقول
على احد الخمسين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب
من الصلوة الا الخمس وقال الشيخ المشهور ان نسخ قيام الليل في حق الامة
وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انما نسخ التقدير بمقدار
وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لا بد
من صلوة الليل ولكن فوض تقديره الى خيار المصلي وتحريره فقال قوم فرض قيام الليل
بالقليل باق وهو مذهب الحسن وقال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلوة الليل
اصلا ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا وهو قيام
ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقروا ما تيسر
من القران معناه اقروا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وقال قوم ان النسخ
تقرر في حق النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلوة الليل واجبة عليه وقوله
نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار والفرض وهو قيام
ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلوة كقوله اقم الصلوة لدلوك
الشمس الاية وقوله فسبحان الله حين تمسون الاية وما في الخبر ان الزيادة على
الصلوات الخمس تطوع وقيل رفع النسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلوة وان خوطب بها النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل فهي عامة له ولغيره وقد قيل ان فرضية
قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى

اي المرضى يشق عليهم قيام الليل بين الله تعالى علة تخفيف قيام الليل
فان من الخلق منهم المرضى ويشق عليهم ان يقوموا للصلوة والمسافرون في التجارات وقد

لا يطيقون قيام الليل فان الكل منهم لم يصبر يشق عليه ان يقوموا الصلوة والمسافرون
في التجارات قد لا يطيقوا والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هولا وهذه الايه
بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد ففيه من اكبر دلايل النبوة لانه من باب
الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا فاقرءوا ما تيسر منه اي قوموا ما تيسر عليكم
ولهذا جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن رجل نام حتى اصبح
فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه قيل معناه نام عن المكتوبة وقيل عن قيام الليل
وفي السنن ان تروا بها اهل القران ٥ وفي الحديث من لم يتغن فليس منا ٥ واعلم ان الله تعالى
سوى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه
وعياله والاحسان فكان هذا دليل على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه تعالى جمعه
مع الجهاد في سبيل الله وقال عليه الصلوة والسلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد
الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهدا وقرا واخرون
يضربون في الارض الاية ٥ قوله فاقرءوا ما تيسر
فاقرءوا لعدم الكلام عليه وبقي التكرار في صلوة الليل قوله واقيموا
الصلوة اي الصلوات الخمس في اليوم والليلة واتوا الزكوة اي اعطوا الزكاة المفروضة
في اموالكم فانكم ان دمتم على ذلك ادركتم الفايت من اجر قيام الليل ٥ وقال قتادة
واقيموا الصلوة واتوا الزكاة فهما فريضتان واجبتان لا رخصة فيهما فادوهما ٥ وقيل
المراد بالزكوة صدقة الفطر لان زكوة الاموال وجبت بالمدينة ٥ وقيل صدقة
التطوع ٥ وقيل كل فعل خير ٥ وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص ٥ قوله تعالى
يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك
احسن الجزاء واوفره قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
واستغفروا الله اي جميع ما تقدموه بين ايديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما ابقيتموه
في الدنيا ٥ واعلم ان القرض الحسن ما اريد به وجه الله خالصا من المال الطيب
وقال زيد بن اسلم المال الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو النفقة في سبيل الله ٥ قوله تعالى

روى الحافظ ابو يعلى الموصلي بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا احد الا وماله احب
اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال
احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر رواه البخاري من حديث حفص ... النسائي من طريق
... كلاهما عن الاعمش ٥ قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم
الكلام عليه في سورة البقرة وملخصه وما تقدموا ايها المومنون لدار الاخرة من
صدقة او نفقة تنفقونها في سبيل الله او غير ذلك من وجوه الخير او عمل طاعة من صلوة
او صدقة او حج او عمرة او غير ذلك من اعمال الخير لطلب ما عند الله تجدوه عند الله
هو خيرا يوم القيمة في معادكم مما قدمتم في الدنيا واعظم منه ثوابا واعظم اجرا ٥ وقوله
واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم لانه غفور لما كان قبل توبته رحيم لكم
بعدها قاله سعيد بن جبير وقيل غفور رحيم لمن لم يصر على الذنوب وقال ابن ...
غفور لجميع الذنوب لان قوله غفور بناء المبالغة والمصدر المراد من صيغة غفور
نفس المدح فوجب حمله على الكل كصفة المدح وقد تقدم الكلام ... لاسم
السريعين ٥ روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة يا ايها المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة ٥ ختم هذه
بقوله تعالى ان الله غفور رحيم ٥ وهذا فصل مترتب على عبيده من هو كاهم عليه
فالغفور من تفضل على عبيده برحمته وصفح عن ذنوبهم بمغفرته والرحيم من سبقت
رحمته غضبه فهي خاصة بالمومنين مدخرة لهم في يوم الدين ٥ اللهم انت الغفور
وانت الرحيم ٥ وانت ذو الفضل العظيم ٥ كيف يذهب عملي من لم يجد الا منك
وكيف لا يعتمد عليك من كل امره في يديك اسالك بنور وجهك وبساط رحمتك
وبمحمد السيد الكامل نور انوار المعارف وسر اسرار العوارف صفوة خلقك ونور
عرشك ان تغفر لي ذنوبي فانها صغيرة في جنب عفوك وترحمني برحمتك التي وسعت
كل شي يا غفور يا رحيم ٥ يا محسن يا كريم صل على سيدنا محمد وآله واصحابه واحشرني
في زمرته مع احبابه ووالدي والمسلمين والحمد لله رب العالمين ٥

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر
ولربك فاصبر فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير

ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا
إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر

أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب
النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا

والمؤمنون وليقول الذين أوتوا الكتب في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا
مثلا
هذه السورة مكية
قوله تعالى
وهي ست وخمسون آية ومناسبتها لسابقتها أن في سابقتها ذرني والمكذبين وفيها أن
هذه تذكرة فناسب يا أيها المدثر قم فأنذر وناسب ذكر يوم القيامة بعده وذكر
بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا وقوله يا أيها المدثر ثبت في صحيح البخاري
من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر كان يقول أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر
وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق
كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك
عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال
يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله
عن ذلك فقال يا أيها المدثر قلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت
رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا
قال فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر هكذا ساقه من هذا الوجه وقد رواه

مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فبينا أنا أمشي سمعت صوتا
من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء
والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني
فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر إلى قوله والرجز فاهجر قال أبو سلمة والرجز الأوثان ثم
حمي الوحي وتتابع وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل
هذا لقوله فإذا الملك الذي جاءني بحراء وهو جبريل حين أتاه بقوله اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان
ما لم يعلم ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعدها ووجه الجمع أن أول
شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة وقد اختلف في المراد بالمدثر
فقيل المراد المتدثر بالثوب وفيه وجوه أحدها أن هذا من أوائل ما نزل من
القرآن ولهذا جاء في حديث جابر التي قدمناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم
أر أحدا فنظرت فوقي فرأيت الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض
فجئثت فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فأنزل الله عز وجل
يا أيها المدثر الثاني أن أبا جهل وأبا لهب وأبا سفيان والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا إن
وفود العرب مجتمعون في أيام الحج وهم يسألون عن أمر محمد وقد اختلفتم في الإخبار
عنه فمن قائل يقول مجنون وقائل كاهن وقائل ساحر وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع
في رجل واحد فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال إنه شاعر فقال
الوليد سمعت كلام عبيد بن الأبرص وكلام أمية بن أبي الصلت وما يشبه كلامه كلام
واحد منهما فقال آخر هو كاهن فقال الوليد الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد
قط فقال آخر إنه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط فانصرف
الوليد إلى بيته فقال الناس صبأ الوليد بن المغيرة فدخل عليه أبو جهل

ما رأينا لكنا يا أبا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونك زعموا أنك قد احتجت
وصبأت فقال لو يبدو ما لي إليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت إنه ساحر لأن الساحر
هو الذي يفرق بين الأب وابنه وبين الأخ وأخيه وبين المرأة وزوجها فشاع ذلك في
الناس وصاحوا يقولون إن محمدا ساحر والناس مجتمعون فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزونا فتدثر بقطيفة
فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ه ... أنه عليه الصلوة والسلام كان نائما متدثرا
... فجاءه جبريل عليه السلام وأيقظه وقال يا أيها المدثر قم فأنذر كأنه قال له
اترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله ه وإن قلنا إنه
ليس المراد منه التدثر بالثياب ففيه وجوه الأول قال عكرمة يا أيها المدثر
بالنبوة والرسالة وإنما ها... من قولهم ألبسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم
الثاني أن المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وأنه صلى الله عليه وسلم كان في جبل حراء
كالمختفي من الناس فكأنه قيل يا أيها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الأمر واخرج
من زاوية البطالة واشتغل بإنذار الخلق والدعوة إلى معرفة الحق الوجه الثالث
أنه تعالى جعله رحمة للعالمين فكأنه قيل له يا أيها المدثر بأثواب العلم العظيم والخلق
الكريم والرحمة الكاملة قم فأنذر عذاب ربك ه وقوله يا أيها المدثر ملاطفة
في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحالة هو عليها وعبر عنه بصفته ولم يقل
يا محمد كما تقدم في المزمل وقوله فأنذر أي خوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم
يسلموا ه وقيل الإنذار هنا إعلامهم بنبوته لأنها مقدمة الرسالة ه وقيل
هو دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود ... قوله تعالى ... أي كبر سيدك
ومالك ومصلح أمرك فعظم وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد
وعند افتتاح صلاتك كبر ربك لأنه تعالى يصفه له بأنه أكبر ... وهذا
القول وإن كان يقتضي ... تكبير الصلوة فإنه مراد منه تكبير التقديس وخلع الأنداد
والأصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه وقد صار هذا اللفظ بعرف
الشرع في تكبير العبادات كلها أذانا وصلوة وذكرا بقوله الله أكبر وحمل عليه
لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الإطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير

وكذلك المسلمون شرع لهم ... ... ردها ...
بالدماء ... كلمة ... ... بالنسك والمراد ما شرع من
ما نسك والمعمول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلوة هو لفظ الله أكبر
وقال المفسرون في قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله أكبر
فكبرت خديجة رضي الله عنها وعلمت أنه وحي من الله تعالى ه وقال الكلبي معناه وعظم
ربك مما يقوله عبدة الأوثان وقال ... الله أكبر وقال مراد منه التكبير
في الصلوة ... هذه السورة نزلت في أول البعث ولم تكن صلوة واجبة
... بعيد أنه كانت له عليه صلوات الله وسلامه صلوات تطوع فأمر بأن يكبر ربه ه
وقال أبو عبد الله الرازي وعندي أنه لما قيل قم فأنذر قيل له بعد ذلك وربك
فكبر أي عن اللغو ... علم أنه ما أمرك بهذا الإنذار إلا لحكمة بالغة ومهمات عظيمة لا
يجوز لك الإخلال بها فقوله وربك فكبر كالتأكيد في تقرير قوله قم فأنذر ه قوله ...
... ه وهذا أمر بتطهير الثياب من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط
في صحة الصلوة ويقبح أن يكون ثياب المؤمن نجسة والقول بأنها الثياب حقيقة هو
قول ابن سيرين وابن زيد والإمام الشافعي ومن هذه الآية ذهب الإمام الشافعي
وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي ه وقيل تطهيرها تقصيرها ومخالفة
العرب في تطويل الثياب وجرهم الذيول على سبيل الفخر والتكبر قال الشاعر
ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحفون الأرض هداب الأزر
ولا يؤمن إصابتها النجاسة وفي الصحيح إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ه وقيل
المراد بقوله وثيابك فطهر قال المراد بالثياب العمل وقيل القلب وقيل النفس
الجسم وقيل الأهل وقيل الخلق فعلى الأول يكون المعنى وعملك فأصلح قاله
مجاهد وابن زيد والسدي ه وروى منصور عن ابن رزين قال يقول وعملك
فأصلح ولهذا قيل إذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلانا خبيث الثياب وإذا
كان حسن العمل قالوا إن فلانا طاهر الثياب ه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر
المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ...
... المراد منه ... على المعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ...

قول امرئ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي أي قلبي من قلبك ٥ وقيل المراد به
تأويل الثياب بالقلب وجهان أحدهما المعنى وقلبك وطهر من الإثم والمعاصي قاله
ابن عباس وقتادة الثاني وقلبك وطهر من الغدر أي لا تغدر فتكون دنس الثياب
وهو مروي عن ابن عباس أيضا واستشهد بقول غيلان بن سلمة

فإني بحمد الله لا ثوب غادر ... لبست ولا من غدرة أتقنع

ومنها أن المراد به النفس أي المعنى ونفسك فطهر من الذنوب قال ابن عباس ومنه
قول عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

ومنها أنه الجسم أي المعنى وجسمك فطهر من المعاصي الظاهرة ومنه قول ليلى تصف إبلا

رموها بأثواب خفاف فلا ترى ... لها شبها إلا النعام المنفرا

أي ركبوها فرموها بأنفسهم ٥ ومنها أن المراد به الأهل أي المعنى وأهلك طهرهم
من الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمي الأهل ثوبا ولباسا وإزارا قال
تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ٥ وقال الماوردي وعلى هذا في تأويل الآية وجهان الأول
معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف الثاني الاستمتاع بهن في القبل
دون الدبر في الطهر لا الحيض ٥ ومنها أن المراد به الخلق أي يكون معناه وخلقك فحسن
قال الحسن والقرطبي لأن خلق الإنسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه ٥
والسبب في حسن هذه الكناية وجهان الأول أن الثوب كالشيء الملازم للإنسان
فلهذا جعلوا الثوب كناية عن الإنسان فيقال المجد في ثوبه والعز في إزاره الثاني
أن من طهر باطنه غالبا طهر ظاهره ٥ ومنها أن المراد به الدين أي المعنى ودينك
وطهره قال الشاعر

ثياب بني عوف طهارى نقية ... وأوجههم عند المشاهد غران

يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات
وقال سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا إثم ٥ ومنها أن
المراد به الثياب الملبوسة فللعلماء فيه أربعة أوجه الأول معناه وثيابك فأنق
الثاني وثيابك فشمر أي فقصر فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة فإذا انجرت
على الأرض لم يؤمن أن تصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاوس الثالث وثيابك
فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك

الا من

إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تكن
ثيابك التي تلبس ... [illegible] ... الحسن يجمع الكمال لأنه على
عمومها شاملات من جميع ما اكتنفه والمجاز إذا حملناها على الثياب حمل على معلومه
فهي شاملة لمعنيين ... تقصير الأذيال فإنها إذا أرسلت تدنست ولهذا قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا ارفع إزارك
فإنه أتقى وأنقى ٥ وقال ... عليه الصلاة والسلام إزرة المؤمن إلى أنصاف
ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك ففي النار فقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الإزار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار
فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بأيديهم وهذه
حالة الكبر ٥ وقال عليه الصلوة والسلام لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء ٥ وفي رواية
من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيمة والمعنى الثاني غسلها بالماء من النجاسة
قوله تعالى الرجز العذاب قال تعالى فأرسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يفسقون ٥ قال مجاهد وعكرمة المراد بالرجز الأوثان لقوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الأوثان ٥ وعن ابن عباس الرجز المأثم وقوله فاهجر أي
فاترك ولذلك روي عن إبرهيم النخعي أن الرجز الإثم قوله تعالى
قال ابن عباس وغيره لا تعط عطاء لتعطى أكثر منه كأنه من قولهم من إذا أعطى قال
الضحاك هذا خاص به عليه الصلوة والسلام ويباح ذلك لأمته لكنه لا أجر لهم
وعن ابن عباس أيضا لا تقل دعوت فلم أجب ٥ وعن قتادة لا تدل بعملك ٥ وعن
ابن زيد لا تمنن بنبوتك تستكثر أجرا وكسبا تطلبه منهم ٥ وقال الحسن لا تمنن
على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها عجب وهذه الأقوال كلها من المن
فعدد اليد وذكرها إن الله تعالى أمره
صلى الله عليه وسلم قبل هذه الآية بأربعة أشياء إنذار القوم وتكبير الرب وتطهير
الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة
كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك لوجه ربك متقربا بذلك إليه غير ممتن
به عليه ٥ وعن مجاهد والربيع لا تضعف عملك في عمرك أن تستكثر من الخير ...

انعم الله عليك وقال ابن زيد معناه لا تمنن بعملك على ربك تستكثره فان ذلك في نفسك انما عملك منة
من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته هذا النهي مختص بالنبي
صلى الله عليه وسلم او يشمل الامة ظاهر اللفظ وقرينة الحال
لا تفيد العموم لانه عليه الصلوة والسلام انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا
المعنى غير موجود في الامة وقيل المعنى في حق الامة هو الربا والله تعالى منع الكل
من ذلك وقال القفال يحتمل ان يكون المقصود من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يعطي احدا شيا لطلب عوض سوآ كان العوض زائدا او ناقصا او مساويا
ويكون معنى قوله تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص المال بسبب العطاء
فيكون الاستكثار ههنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وانما حسنت هذه
العبارة لان الغالب ان الثواب لا يكون مقترنا في حقه مع طلب العوض تسمى طلب
الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله ومن ذهب الى هذا القول قال
السبب فيه ان يصير عطآ النبي صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض
والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى قوله تعالى
اي لوجه ربك امره تعالى بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف النبوة
وعلى اداء طاعات الله وعلى اذى الكفار وعلى قتال الكافرين ويكون المعنى اذ عرض لك
وسلم اليه امرك صابرا وقال تعالى فاصبر لحكم ربك
قال ابن عباس ومجاهد والشعبي
وزيد بن اسلم وعكرمة وقتادة والضحاك والربيع بن انس والسدي وابن زيد
الناقور الصور وقال مجاهد هو كهيئة القرن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان صاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر يوم ينفخ فقال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تامرنا يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم
الوكيل على الله توكلنا رواه الامام احمد ورواه ابن جرير فقوله فذلك يوم عسير
اي شديد على الكافرين غير سهل عليهم كما قال تعالى يقول الكافرون هذا يوم عسر
فهو يوم عسير على الكافرين يلقون فيه عاقبة نعيمهم وتلقى فيه عاقبة صبرك ه
ووجه المناسبة للايات السابقة لما ذكر حالي [illegible] وعلاما يتعلق بارشاد النبي صلى الله

ذكر بعده وعيد الاشقيا قيل المراد بهذه الاية هو النفخة الثانية وقيل هي النفخة
الاولى قال الحكيم في كتاب التبيان ان الله تعالى سمى الصور باسمين فكان هو الذي ينفخ
فيه فان نفخة الاصعاق يخالف نفخة الاحيآ وجآ في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد
الارواح كلها وانها تجتمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل
ثقب روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله وقيل يحتمل
ان يكون الصور محتويا على صورين ينقر في احدهما وينفخ في الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق
[illegible] لم يقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها
فالنفخة الاولى للتمييز وهو نظير صوت الرعد وقد يؤدي الشدة الى ممات سامعيه
وقيل فاذا كان النقر في نفخة الاصعاق فذلك اليوم غير شديد على الكافرين لانهم
يموتون في تلك الساعة انما اليوم شديد على الكافرين في نفخة الاحيا لذلك قيل
الراجفة كانت العاصفة اي التابعة [illegible] على المرة الاولى وقوله فذلك اليوم يوم
شديد على الكافرين غير يسير اي غير سهل لامر وذلك ان عقدهم لا ينحل الا الى
ما هو اشد منه فانهم يناقشون الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم
ويحشرون زرقا وتشهد عليهم جوارحهم ويفضحون على روس الاشهاد بخلاف
المومنين الموحدين المذنبين فانها تنحل عنهم الى ما هو اخف حتى يدخلون الجنة برحمة
الله تعالى فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض الوجوه وقيل يحتمل ان
يكون عسيرا على المومنين والكافرين على ما ورد ان الانبيا يفزعون يومئذ الا انه
يشيبون الا انه يكون على الكفار اشد قوله تعالى
وحيدا كان هذا النبا للوليد بن المغيرة فقد كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس
ذلك بما يقتضي صدق مقالته بل هو لقب تشهيره وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به
فمعنى قوله ذرني [illegible] كله وعيد وتهديد ومن خلقت اي دعني والذي خلقته
وحيدا قال جمهور المفسرين هو الوليد بن المغيرة المخزومي وان كان الناس خلقوا مثل
خلقه فانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وايذا الرسول وكان يسمى في قومه
الوحيد قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير
ولا لابي المغيرة نظير وقد تقدم انه دعي [illegible] قوله [illegible] بعد ذلك [illegible]

لا يشاركه في ذلك احد لانه واحد لا نظير له ذكره ابو حيان والزمخشري وهو منصوب
من وجوه لانه يحتمل ان يكون وحيدا حالا من الله او من الضمير في خلقت او من المخلوق او من
هو فانه مقام الاشارة والتعليل ان يكون ذلك بحسب طبعه واعتقاده لقوله ذرني
ومن خلقت وحيدا في بطن امه لا مال له ولا ولد او وحيدا في الفرد او العناد ومن حمله لانه الوحيد
منه وحيدا في العلو والشرف ومنها اشارة الى وحدته من نسبه فانه سمي
الوحيد الذي لا ... له بقومه ... قوله تعالى
وجعلت له مالا ممدودا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان
للوليد بن المغيرة ما بين مكة والطائف من الابل والنعم والحرث والعبيد والجواري ... وقيل
في تفسير ما لا يقدر على تعديده كثيرا على ... وقيل المال الممدود هو
الذي يكون له مدد يأتي شيئا بعد شيء ولذلك فسره عمر رضي الله عنه بغلة شهر
شهر وقال الممدود ... والضرع وانواع التجارات وقيل كان له
بستان لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا والذي يظهر ان المال الكثير قوله تعالى
وبنين شهودا اي حضورا معه لا يغيبون عنه ولا يفارقونه وهم يتمتعون
بحضورهم ... اي يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل شهودا
اي حضورا ... فيما كان يشهده ... قال مجاهد وقتادة
كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا اسلم منهم ثلاثة
خالد وهشام والوليد بن الوليد ... الوليد ... في ... قال
من ... بن الوليد خالد وعمارة وهشام
... اسلم منهم ... خالد وعمارة وهشام قوله تعالى
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له بسطا في العيش وفي ... العمر ...
... حتى لقب ريحانة العرب ... وقال ابن عباس
... اي ... الشام وقال مجاهد
... ثم يطمع قوله تعالى ثم يطمع في
الزيادة على ما اعطيته من المال والولد كلا ... الطمع ...
ثم يطمع ان ادخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي

يطمع ان ادخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي
... اي لا ازيده على ... كلا لا اطمع ... ودع ... وجعله
في الزيادة ... للدعاء ... قوله تعالى
اي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن ... ابو صالح عنيدا
اي متباعدا عن ... الحق ... قوله تعالى سأرهقه صعودا
وقال ... حاجدا ... اي ... قال مجاهد ...
... في الامور ... كان ... في ...
التوحيد ... ومنها ... كان ...
الحق ... انواع الكفر ... كان ...
كان ... ومنها ... كان ... قوله
تعالى ... اي ... كلمة ... في كلام العرب ... العذاب
الشاق ... الصعود ... جبل في النار ... يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه
ابدا رواه الترمذي وفي رواية صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت
واذا رفعوها عادت ... الشديد العذاب ... ويروى عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ... صعودا ... في النار ... يكلف ...
... اذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت
رواه ... وقال مجاهد ... صعودا اي مشقة
من العذاب قوله تعالى انه فكر وقدر ... الوليد ... صلى الله
عليه وسلم والقرآن ... من اهل العلم ...
... سمعه الوليد ... فقال ... كلام ...
... الامر ... كلام ...
... وما ... عليه ...
... للوليد ...
... لا ...
... كلها ...

كأنه لما رأى [illegible] مقامهم [illegible] أنه [illegible]
[illegible] يقولون هذا رجل [illegible] والعرب ما [illegible] وإنما [illegible] يقولون [illegible]
[illegible] لا والله [illegible] يقولون إنه كاهن [illegible] فلم [illegible]
للكهنة [illegible] فلما [illegible] قالوا لا والله [illegible] يقولون إنه [illegible]
[illegible] قالوا لا والله [illegible] يقولون [illegible] بل [illegible]
لا والله [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الصلاة ولا [illegible] صدقه [illegible]
[illegible] فهو [illegible] وفعل [illegible] نفسه [illegible] بين [illegible]
[illegible] ولده وبين [illegible] وزوجه [illegible] قوله إنه فكر وقدر أي فكر في أمر محمد والقرآن
وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما وذلك قوله

قوله تعالى فقتل كيف قدر [illegible]

[illegible] عليه [illegible] وهذا إنما يذكر عند التعجب والاستعظام
[illegible] فإن الله [illegible] أنه قد بلغ المبلغ الذي
[illegible] بذلك وإذا عرف ذلك فهذا [illegible]
[illegible] إنه [illegible] لا يمكن القدح في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أعظم إلا
[illegible] هذا [illegible] على طريقه [illegible] الذي ذكره
[illegible] قوله [illegible] قوله انظر كيف ضربوا
لك الأمثال ٥ وقوله ثم [illegible] كيف قدر [illegible] ثم نظر
[illegible] قال أبو عبد الله الرازي [illegible] ولا نظر [illegible]
[illegible] النظر [illegible] والنظر [illegible]
[illegible] ٥ قوله ثم عبس وبسر [illegible] وذلك أنه لما [illegible]
[illegible] من المسلمين [illegible] إلى الإسلام [illegible] وجوههم [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ٥ قوله وبسر [illegible]
[illegible] اللون [illegible]
قوله عبس وبسر أي [illegible] والنسور [illegible]
[illegible] الاستكبار وهو معنى في القلب والإدبار من فعل الجسم [illegible]

[illegible] فهو [illegible]
[illegible] الإنسان [illegible]

[illegible] هذا [illegible]

[illegible] فأجابه [illegible] للهرب [illegible]
[illegible] السحر [illegible]
[illegible] هذا [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] في الحصر [illegible]
[illegible] الرازي [illegible] على [illegible] هذا كلام [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] خرج من عند [illegible]
[illegible] عليه وسلم [illegible] من محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] كلاما [illegible]
من كلام الإنس [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] قوله [illegible] هذا [illegible]
[illegible] ٥ قوله تعالى

تقدم الكلام على سقر في آخر سورة القمر

وقوله وما أدراك ما سقر [illegible]
[illegible] سقر [illegible] لا تبقي ولا تذر [illegible]
[illegible] ولكنها [illegible]
[illegible] إلا [illegible] ولا تذر [illegible]
أنواع العذاب إلا [illegible] ٥ وقوله لواحة للبشر [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] قول الشاعر [illegible] الله [illegible]
[illegible] للناس [illegible]
[illegible] عام [illegible] قوله [illegible]
[illegible] للبشر [illegible] لا تبقي ولا تذر [illegible]
قوله تعالى [illegible] النار [illegible] تسعة عشر [illegible]
[illegible] النار [illegible] تسعة عشر [illegible]

فيها ● وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم من بعدي الزبانية عظيم هيئتهم
غليظ خلقهم ● ويدل على ذلك ما رواه ... عن جابر بن عبد الله ... حين
نزل من القرآن في قوله عليها تسعة عشر قال ان رهطا من اليهود سالوا رجالا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقالوا الله ورسوله اعلم ادرك
حتى سال نبيها فجاء منهم رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد كلمت اليوم
فقال وماذا قالوا قال سال اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فماذا قالوا
قال قالوا لا ندري حتى نسال نبينا قال افغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم
حتى نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي باعداء الله اني سائلهم
عن تربة الجنة وهي درمك فلما جاؤا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا
واصابع يديه مرة وامسك الابهام في الثانية قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
ما تربة الجنة فسكتوا فقال اخبرهم يا ابن سلام فقال خبزة بيضاء فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمك ● وقيل ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء
والنقباء واما جملتهم فكما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ
لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها ● وقال ابن عباس رضي الله
والضحاك لما نزل قوله عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمعوا
ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسود بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش
انا اكفيكم امرهم انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم
نمر الى الجنة يقولها مستهزئا ● قوله تعالى

آية وما جعلنا خزان النار الا زبانية

غلاظا شدادا وهذا رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال ابو جهل
يا معشر قريش اما يستطيع كل عشرة منكم لواحد فتغلبونهم فقال الله تعالى وما
جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي شديدا كلمن لا تقاومونهم ولا يغالبون وكان من
كلدة من شدة ما تقدم ذكره ● في رواية يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين

الا لم تسعة عشر ... وكان ... من ... [illegible]
... [illegible] ... تسعة عشر ...
وهو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]
... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ... فهو ...
... [illegible] ... قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا ... [illegible] ... عن ابن عباس ... [illegible]
... الرازي ... [illegible] ... الكفار ... [illegible]
... لم يكونوا عشرين ... [illegible] ... العدد ...
هذا العدد ... [illegible] ... الا ...
الى يوم القيمة والجواب ... [illegible]
... الله تعالى ... ذلك العدد ... [illegible]
... [illegible] ... الى السماء حتى سمع اهل
السماء ... [illegible] ... القيمة ...
الدنيا ولا الا ... [illegible] ... هذه الآية من متشابه الذي امروا بالايمان به ● قوله تعالى
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب معنى الكلام ليستيقن الذين اعطوا التوراة والانجيل
ان عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد
وغيرهم ● قوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا اي يزداد الذين آمنوا منهم
كعبد الله بن سلام وغيره ويحتمل ان يريد الكل اي يزداد الذين آمنوا بذلك لانهم
كلما صدقوا بما في كتاب الله آمنوا ثم ازدادوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة النار
وقال ابو عبد الله الرازي ... حقيقة الايمان عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان
فما قولكم في هذه الآية فالجواب نحمله على ثمرات الايمان وآثاره ... [illegible]
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
ولم اليهود والنصارى ان هذا القرآن من عند الله لانهم يجدونه في كتبهم
المنزلة ويعلمون ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقراها ولا قرأها على احد لكن
... [illegible] ... وهذا ... [illegible] ...

[illegible] فالعبرة بنفسها [illegible]

[illegible]

[illegible] من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] تسعة عشر [illegible] أهل الكتاب [illegible]

[illegible] للمؤمنين [illegible] وقوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون [illegible]

[illegible] مقدمات ذلك الدليل الذي [illegible] بعض الأحوال [illegible] بعد ذلك [illegible] قوله تعالى

[illegible] في صدورهم شك ونفاق ومرضا في

[illegible] بعد الهجرة وهذا إخبار عما سيكون [illegible] اليهود والنصارى والمشركون ماذا أراد الله بهذا مثلا [illegible] وهو قول أكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق [illegible] وفي هذه الآية الخلاف [illegible] المراد [illegible] الكافرين [illegible] يراد بالمرض الشك [illegible] إخبارا عنهم ماذا أراد الله بهذا مثلا [illegible] هذا العدد [illegible] من الحديث [illegible] المنقول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كلا بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة [illegible]

[illegible] وجه المناسبة [illegible]

لما قال وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا [illegible] كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء [illegible] أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]

ثم وا انهم قالوا لبعض ... في مرضى الكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا اولئك حرب
لثانية كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهذه الاية تبطل مذهب المعتزلة
لانها تدل على خلق الله تعالى فعل العبد ونسبة الهدى والاضلال ٥ قوله تعالى
اي ويعلم عدد هم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا
يتوهم متوهم انما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طايفة من اهل الضلالة
والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم لانهم ادعوا دعواها
وعجزوا عن اقامة الدليل على مقتضاها فامنوا صدرها وكفروا اخرها
قوله وما يعلم جنود ربك الا هو ثبت في حديث الاسرا المروي في الصحيحين
وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صفة البيت المعمور
انه يدخله في كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه اخر ما عليهم والمراد
من معنى الاية ما يدري عدد ملايكة ربك الا الذي خلقهم لتعذيب اهل النار
الا هو اي الله عز وجل وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لاله محمد من الجنود
الا تسعة عشر فلما استقلوا ذلك قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
وان كان ما ذكر الاتسعة عشر الا ان كل واحد منهم له من الاعوان والجنود
ما لا يعلم عدد هم الا الله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك
الا هو لفرط كثرتها فلا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن الله جل وعلا
في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وروى الحافظ ابو القسم الطبراني بسنده
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السماوات
السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قايم او ملك ساجد او ملك راكع
فاذا كان يوم القيمة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك الا انا لم نشرك
بك شيا ٥ قوله تعالى قوله وما هي اي النار وقال مجاهد
اي لحكمة والنذارة او الايات التي ذكرت او العدة التسعة عشر او الجنود
او السورة قال رجحها الاول لمن بعد ذكرها للبشر ليخافوا فيطيعوا لان قوله ذكرى
للبشر اي الذين اهلوا للتذكر والاعتبار ٥ قوله تعالى اجاز المعرب
الوقف على كلا وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم ثم

والقسم

قسم على ذلك بالقمر وما بعده وقد ... ...
... ... قال هو ردع لمن ... احدى الكبر ... وقيل ردع لانكار ... من
الخصوصية ٥ قوله تعالى ... ... اذ ادبر اي رجع وقيل
عند طلوع النهار فيكون المعنى ورب القمر والليل ... ... اي اذا اضاء
اقسم الله تعالى بهذه الاشيا تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجايب
الله وقدرته وقوام الوجود بايجادها واسفر اي ضاء واشرق
وهذا جواب القسم ومعنى احدى الكبر احدى الدواهي العظام وقيل المراد من
دركات جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم والهاوية
وسقر اعاذنا الله منها وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وعن ... ...
ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي الكبيرة من الكباير
قال الحسن هو وعيد نحو قوله تعالى فمن شاء
فليومن ومن شاء فليكفر وقال ... هو بيان في النذارة واعلام بان كل احد
يسلك طريق الهدى والحق اذا توجه النظر اليه وهو تهديد بتاخر عن هذه الرتبة فعليه
وسو ... نظره ثم قوي هذا المعنى بقوله جل وعلى
قال الزمخشري مطلقا لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم
والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
انتهى ٥ وقال السدي ان يتقدم الى النار او يتاخر عنها الى الجنة ٥ وقال الزجاج ان
يتقدم الى المامورات ويتاخر عن المنهيات ٥ ومعنى رهينة اي مرهونة بكسبها
ماخوذة بعملها اما يخلصها او يوبقها ٥ قوله تعالى اي كل
نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا
قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم يوم الميثاق
حين قال الله هولاء في الجنة ولا ابالي ٥ وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون
ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم ٥ وقيل هم اصحاب الحق واهل الايمان ٥
وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ٥ وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا
اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون ٥ قوله تعالى

لمروا بوقل سمو به في مر صرف انك مرور
الناسه ندنك يصل سر بسا و يهدى من يشا
لا ماد نسعل حلو الله لا شعار نظا صده ما
الى بعا

رهم مولهم له من يسعه عسر له
والمهانه من الملا سعد الموماسا
ومحروعن و مه لا لبالى على مه
قوله وما يعلم جنود ربك الا هو
وعمرها عن رسول الله صلى الله
انه يدخله في كل يوم سبعون الف
من ملكى لا سما يدرى عدد ملا ئكه
الا هو كيف عز وجل وهذا هو
الا سعه عسر ولما اسملوا
وكان ما ذكر الا سعه عسر
ما يعلم عدد هم الا الله تعالى
الا هو لفرط كثرتها فلا يعرف
في هذا العدد حكمة لا سما
من حديث ابن عبد الله رضي الله عنه
سمع موضع قد م الا ...
... يوم تعمه ولو جمعا ...
... قوله تعالى ... فوبه
... والا ... والعدد السعه ...
... الا ... ذكرها ... لا قوله ذلك
للبشر اي ... لا عسار قوله تعالى ... نهرك
... كلا ... على الدار ... وجه ...

... وما ... عن ... او عن
... واموالهم ... لله ...
... المال ... اموال ...
... وما عصم على ... الرسول ... منه
... اعطى ... القرى ... ما ...
والفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقدرة او هم
... سابهم ... لله
... اولئك هم الصادقون والذين
... تبوؤا الدار والايمان
... على المهاجرين ... الانصار ... لرسول
... ولا يجدون في صدورهم حاجة
... الصادقين ... والدين ...
... تبوؤا الدار واخلصوا الايمان ...
... المدينة ... الايمان ...
... من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين ...
... والذين تبوؤا الدار ... من ...
... اعلم ... يجدون في صدورهم ...
... حاجة ...
... مما اعطي المهاجرون ...

... بعد ... ذكر ...
احدى ... الا ...
... حمر ...
... الد ...
... قل ... وفيه ...
... اسمر ... ضرب
... احدى ... الخطه ... من ...
... والحطه ... السعير ...
... اسم من ... النار ...
... لاحدى الكبر ... الكبيرة من الكبائر
... وعيد ... قوله تعالى ...
... هو ... النار ... الاعلام ...
... المراد ... هذه الرتبة ...
... حق وعلى
... المراد ... المراد ...
... فلمن شاء الله ...
... الى ...
... قوله تعالى ... ذكر
... الذين كانوا ...
... كانوا ...
... الذين يعطون ...
... قوله تعالى

لعمرو امروالسعروسه في مرضوا ...
... سه ندرك يصل السرح
لا يهاد سعرض سا ٧ ه

... سولهو ان هيزله
... نه من الملا سعد
ومحرو عن ...ه الا
... يو نه وما نعلم حسرد
... عبر له عن رسو
... مدحه في كل يو
من معنى لا سه ما يدر
الاهوانيه عروه
لا سعه عسر فلما
... كل رماد كرا الاسه
... يعد دلهم الا
... دهو لفرط كسرتها فلا
... في هدا اعد د...
... سع موضع ...
... يوم ... والو ...
... قوله تعالى
... والنذارة او الابانة
... الاول ... ذكرها
للبشر اي لان يعلوا التذكر ولا عسار
... كلا ... الدسره

[illegible] ... ان ... بما ...
فما ... لمن شاء ... ان يتقدم او يتأخر ... لا ...
قوله تعالى ... ذكرى للبشر ...
يقولون ... العقرب ... ان ...
... لا ... بها ... على ما ... ما ...
... الوجود ... اشرف ...
... احدى الكبر احدى ... العظام ... المراد ...
... الحطمة و السعير ... الهاوية
... الكبرى ... عن ... الله
صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر ... الكبيرة من الكبائر
قال الحسن ... قوله تعالى ...
مرة ... هو بيان ... النذارة والاعلام ...
... النظر ... هذه الرتبة ...
هذا النعت ... جل وعلى
لمن شاء ... التقدم او التأخر ان يتقدم او يتأخر المراد بالتقدم
... التخلف ... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
... ان يتقدم الى النار او يتأخر عنها الى الجنة ... الزجاج
او يتأخر عن المنهيات ... رهينة ... مرهونة ...
... قوله تعالى ... كل
... الا اصحاب اليمين ... فانهم لا ...
... اصحاب ... الذين كانوا ...
... الجنة ... يتساءلون ...
... واما ... اصحاب ... الامارة
... قوله تعالى ...
... من ... اهل البيت ... قوله تعالى

[illegible] ... ولكن ... سنين ... نستعمل ... قوله ... اصحاب اليمين ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ما سلككم في سقر [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] ساحر [illegible]

[illegible] قوله تعالى

[illegible] شفاعة [illegible]

[illegible] الشفاعة [illegible]

[illegible] شفاعة الشافعين

[illegible] مسعود رضي الله عنه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] صلوات الله عليهم [illegible]

[illegible] قوله تعالى

[illegible] عن القرآن [illegible]

[illegible] بالقرآن [illegible]

[illegible]

[illegible] أي ليس [illegible] ذلك [illegible]

[illegible] الآخرة [illegible]

[illegible] القرآن [illegible]

[illegible]

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهذا الكلام لعظمه لا يشبع منه إلا
من تدبره بتزود لا تنقضي عجائبه ٥ قوله تعالى
وهو من علمه أخبار التذكر قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
وقوله كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب فمن صرف
همته لهذا القرآن العظيم ورد موارد الفهم التي لا تحصر لمن خاض في بحار التفكر والتدبر
والتذكر لكن فيه تفاوت المراتب ومعلوم أن التدبر علم المعاني وما لها من منطوق
ومفهوم ومعقول من دلالة اللفظ صريحا أو إيماء والفهم منوط بالإشارة
وإدراك اللوازم والإيماء والمتعلقات ومقاصد المتكلم من إيراد كلامه وإنشائه
ذلك ٥ فالقرآن العزيز له ظهر وبطن ولكل حرف منه حد ومطلع كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور
يهدي الله لنوره من يشاء فالحد والمطلع في أسرارها وغوامضها يكشف بها الأكابر
العارفون فإن الظهر سهل لكل أحد وفيه يتكلم أهل الرسوم وأما البطن
فيكاد يختص به أرباب القلوب وعلماء الكتاب وقد علم كل أناس مشربهم حتى
تصانيف [illegible] من سبعين [illegible] من تفسير فاتحة الكتاب قال تعالى ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فالعبد بمشيئة
الله لأنه قال تعالى وما يذكرون إلا أن يشاء الله ٥ قوله تعالى
هو أهل التقوى وأهل المغفرة
أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه قاله
قتادة ٥ وروى الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل حدثنا ثابت البناني عن
أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو أهل التقوى وأهل
المغفرة قال قال ربكم أنا أهل أن أتقى فمن اتقى فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له
ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب ٥ وقال الترمذي حسن
غريب ٥ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل وهكذا رواه أبو
يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي وروى الثعلبي عن أبي
كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ يا أيها المدثر أعطي

من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة والله أعلم

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه
بلى قادرين على أن نسوي بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة

كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان
على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه

وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا
إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ

ثم أولى لك فأولى أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

هذه السورة مكية وهي تسع وثلاثون آية ومناسبتها لما قبلها أن آخرها قوله كلا
بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة وفيها كثير من أحوال القيامة فذكر في هذه يوم
القيامة وجملة من أحوالها [illegible] في بيان التوحيد وإبطال الشرك ٥ وروى
سعيد بن جبير لا صلة وأقسم بالقيامة وهو قول [illegible] أن لا صلة أي أقسم
وقال ابن عباس [illegible] الكلام أقسم بيوم القيامة وهو قول أبي عبيدة
قول الشاعر تذكرت ليلى فاعترتني صبابة فكاد صميم القلب لا يتقطع
أقسم الله تعالى بيوم القيامة تعظيما لشأنه والجمهور على أن الله تعالى أقسم بالأمرين جميعا
[illegible] التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها وعلى ذلك مدحه [illegible]
[illegible] الله تعالى بها [illegible] وروى عكرمة عن ابن عباس وعن مجاهد تلوم على ما فات
وتلوم على الشر لم فعله وعلى الخير لم لم يستكثر منه وقال الفراء ليس من نفس
التي تلوم المؤمن في يوم القيامة [illegible] في [illegible] وقال [illegible] قتادة [illegible]

حسه اللوامه صاحبها ... عريانا ... في الدنيا اعراضها ... يوم ...
في ... ه ... نفسه ... وهو يفسر ... علمه ...
... وكل نفس سوى ... لست بمطمئنة ولا
... اللوامة في ... يلوم على ترك الطاعة ... يلوم على
ما ... الطاعات ... القسمين من حيث احوال
النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك في يوم القيمه ه وقوله يوم القيمة اقسم الله
تعالى بيوم يقوم الناس فيه لرب العالمين ... الا بنفسه ... وقال الحسن اقسم
الله بيوم القيمه ولم يقسم بالنفس اللوامه وقال قتادة بل اقسم بهما جميعا هكذا
حكاه ابن ابي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والاعرج انهما قرآ لاقسم وهذا
يوجه قول الحسن لانه اثبت القسم بيوم القيمه ونفى ولا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة والصحيح انه تعالى اقسم بهما جميعا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروي
عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فاما يوم القيمه فمعروف واما
النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الاية ان المؤمن والله ما نراه الا
يلوم نفسه وان الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه وقال جويبر بلغنا عن الحسن
انه قال في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال ليس احد من اهل السموات والارض
الا يلوم نفسه يوم القيمه ه وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومه
وقال قتادة اللوامة الفاجرة قال ابن جرير وكل هذه الاقوال متقاربة المعنى والاشبه
بظاهر التنزيل انها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات وهذا ...
ان يكون بحسنة ونيته فان كانت حسنة لامت نفسها على ترك الاستزادة من كسبها
وان كانت سيئة لامت نفسها على ترك النزع عن الانصاف ... ه قوله تعالى

قال ابن ... السمـ

يوم القيمه والنفس اللوامه ايجمع العظام لنبعث ... جواب القسم محذوف ...
بعض ... والمراد بالانسان الكافر المكذب بالبعث نزلت في عدي بن ربيعة ...
للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيمه ... فاخبره النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ... ويجمع

الله العظام وهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة
والاخنس بن شريق ... عدو الله ... بعد ...
العظام ... الانسان الكافر ... بطلاقه ... بلى قادرين على
جمعها والانسان عظامها ... لا عظام لجمعها ... لذلك ... المعنى ...
رجعوا الى ... لا يبعث ... لا يقدر على جمع العظام بلى قادرين على
ان نسوي السلاميات على صغرها ... نسوي ... بعد ...
على جمع الكبار اقدر قال ابن عباس وعامة المفسرين المعنى على ان نسوي بنانه
نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير
ولا يمكنه ان يعمل به شيئا ولكنا فرقنا اصابعه حتى يعمل بها ما شاء وقيل
نقدر ان نعيد الانسان ... البنان ... في صورته التي كان عليها وهو كقوله
تعالى وما نحن بمسبوقين وقال ابو عبد الله الرازي وفي الاية اشكالات احدها
ما المناسبة بين القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم وثانيها
المقسم عليه هو وقوع القيمة والقسم هو يوم القيمة وهو وقوع القيمة فكيف
يقسم بوقوع القيمة على وقوع القيمة وثالثها لم قال اقسم بيوم القيمة
ولم يقل والقيمة كما قال في سائر السور والطور والذاريات والضحى والجواب
عن الاول من وجوه احدها ان احوال القيمة عجيبة جدا ثم المقصود من اقامة القيمة
احوال النفوس اللوامة اعني سعادتها وشقاوتها فقد حصل بين القيمة والنفس اللوامة
مناسبة على عجائب احوال النفس كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف
ربه ومن احوالها العجيبة قوله تعالى ... وقوله
انا عرضنا الامانة الى قوله وحملها الانسان والثاني القسم بالقيمة وقع بالنفس
اللوامة على ... العظيم ... انها ...
الطاعة ... تعالى والثالث انه تعالى اقسم بالقيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة
... كانه تعالى اقسم بيوم القيمة تعظيما لها ولم يقسم بالنفس اللوامه
... الا ان النفس اللوامة اما ان تكون كافرة ... مع عظم ... ان تكون
... مقصرة في العمل على ... ه ...

[illegible]

[illegible]

... الانسان ... [illegible] ... الشهوه

... من الشهوه ... الله تعالى ... الانسان ولو كعم

... الانسان ... [illegible]

[illegible] ... الاحر ... [illegible]

... الاول ... الانسان

... الله ... [illegible]

... الانسان ان يحكم

... الانسان ... [illegible]

[illegible]

... الانسان ...

... الانسان ... [illegible]

... الانسان ... [illegible] ... والعلوم ...

... وقوله تعالى يسأل ايان يوم القيمه ...

[illegible]

[illegible] ... لا ...

... [illegible]

باب ... [illegible]

... يوم القيمه ... [illegible]

... الانسان ... فاذا برق البصر ... القمر ...

... قوله تعالى ... [illegible]

... الآيه ... [illegible] ... المقصود ...

... يوم القيمه ... [illegible]

... يوم القيمه من الامور وقوله وخسف القمر ...

يوم القيمه ... الانسان ... يوم القيمه ...

... بين الله تعالى ذلك فقال فاذا برق البصر وخسف القمر الآيه ...

الخطاب رضي الله عنه ... يوم ... السوره وقوله وخسف القمر

اي ذهب ضوء القمر وقوله وجمع الشمس والقمر قال مجاهد كورا ...

... هذه الآيه اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقيل جمع

بينهما في ذهاب ضوئهما ... جمع ... يجمع بينهما

... يجمعان ... يوم القيمه ...

في البحر وقيل يجمع بينهما في الطلوع من المغرب ... اسودين مكورين وقيل

... لا يفترقان ... من الناس ... القمر ... كان ...

... يجمع بينهما في ذهاب الضوء فلا يكون ... النهار ...

... لانهما قد عبدا من دون الله ولا تكون ... لانها ...

... النهار ... ابو عبد الله الرازي

... الآيه ... القمر لا ... اجتماع الشمس ...

... الله ... على ان يخسف القمر ... الارض ...

... الشمس ... الله تعالى قادر على كل الممكنات ... على ان ...

عن الهرب في جميع الاحوال فهو ... يقول الانسان ... اين المهرب فقال
لا وزر اي لا ملجا ولا جهة يلجا اليها من الله تعالى سبحانه والسؤال اين المفر
من جهة جدا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من
الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه والثاني
ان يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها ﴿ قوله
تعالى ... قال ابن مسعود وابن عباس واحمد
بن جبير اي لا حصن ولا ملجا وهو كقوله تعالى ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي ليس
لهم مكان يستترون فيه وكذا قال الحسن لا وزر اي لا جبل وكانوا يتحصنون فيه والعرب
تقول ... ربك يومئذ المستقر اي المرجع والمصير قال المفسرون ... الوزر ... كل
ما يتحرز به من التجبر ... وكانت وزر فرار العرب في بلادهم الجبال فلذلك استعيرت كلمة
الملجا من جبل او حصن او سلاح او رجل او غيره الى ربك يومئذ المستقر اي الى
حكمه موضع الاستقرار من جنة او نار وذلك بمشيئة الله تعالى يدخل من يشا الجنة
ويدخل من يشا النار عما قدم واخر من سنة يعمل بها بعده وقال ابن عباس ايضا
بما قدم من المعاصي واخر من الطاعات وهو قوله تعالى
قال زيد بن اسلم بما قدم من ماله لنفسه
وبما اخر منه لورثته وقال النخعي ومجاهد باول عمله واخره وقال الضحاك بما قدم
من فرض واخر من فرض والظاهر حمله على العموم اي يخبر ابن ادم يوم القيمة بشر ا
كان او خيرا بما قدم اي بما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة سيئة او
صالحة يعمل بها بعده وهذا الانبا يكون في القيمة عند وزن الاعمال وقيل يكون
عند الموت ﴿ قوله بل الانسان على نفسه بصيرة وهو شهود جوارحه عليه تشهد
يداه بما بطش بهما وفمه بما اكله وتناوله ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر
بهما والبصيرة الشاهد ويدل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وهذا من صفات الكفار فانه يختم على افواههم وتنطق
جوارحهم ﴿ قوله تعالى قال مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن
زيد وابو العالية وعطا والفرا والسدي المعنى ولو اعتذر فقال الفرا فعليه شاهد

عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه
شاهد يكذب عذره وقيل معناه ولو اعتذر فعذره بحجة لم ينفعه ذلك والمعاذير
والاثنين المعاذير ... قوله تعالى ... قال السدي
والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار ... فالمعنى
... وان يستتر ... ان يكون عمله على نفسه شاهد عليه ...
البصيرة ... بما يكون من خير او شر وان يستر ...
من العذر فالمعنى ولو القى ينطق بمعاذيره فانها ... قال النووي ...
وقوله ... الظاهر ... الصحيح في سبب النزول انه خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم ... ان شا الله تعالى ﴿ وقال ...
لا لسان ... الانسان ... وذلك حال ما ... انه يعرض عليه
كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة
تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان
علينا ان نجمع عملك عليك وان نقرا عليك
واذا قراناه عليك فاتبع قراءته بالاقرار بانك فعلت ... ثم ان علينا بيانه
اي بيان امره وشرح عقوبته وحاصل هذا القول انه تعالى يقرر الكافر على جميع
عمله مفصلا ... في الاخرة والصحيح ...
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان
مما يحرك شفتيه مخافة ان ينفلت عنه ما يوحى اليه فحينئذ نزلت ﴿ وقال الضحاك
السبب انه عليه الصلوة والسلام كان يخاف ان ينسى القران فكان يدرسه حتى غلب
ذلك عليه وشق فنزلت ﴿ وقال الشعبي كان يعجل به عليه الصلوة والسلام على
اداء الرسالة والاظهار ...
المراد الوحي ... ان لا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وجاء هذه الاية في
هذا المعنى ... عليه ...
اي ان علينا جمعه في صدرك وقرانه اي قراءته اياك ... في صدرك فاذا
قراناه اي ... عليك ... فاستمع ... وتكرر ... استماع قراءته قاله ابن عباس

واعلم ان هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي
من الملك فانه كان يبادر الى اخذه ويسابق الملك في قراءته فامره الله عز وجل اذا جاءه
الملك بالوحي ان يستمع له وتكفل له ان يجمعه في صدره وان ييسره لأدائه على
الوجه الذي القاه اليه وان يبينه له ويفسره ويوضحه فالحالة الاولى جمعه في
صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وايضاح معناه ولهذا قال لا تحرك
به لسانك لتعجل به اي بالقرآن كما قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه وقل رب زدني علما ثم قال ان علينا جمعه اي في صدرك وقرآنه اي ان تقرأه
فاذا قرأناه اي تلاه عليك الملك عن الله عز وجل فاتبع قرآنه اي فاستمع له ثم اقرأه
كما اقرأك ... اي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك
معناه على ما اردنا وشرعنا وفي مسند الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن ابي عوانة عن
موسى بن ابي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس انا احرك
شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه وقال لي سعيد وانا
احرك شفتي كما رايت ابن عباس يحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل قرأه كما اقرأه
وقد رواه ... البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن ابي عائشة ولفظ البخاري
فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل وقال ابن عباس
وعطية العوفي ثم ان علينا بيانه تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة قوله تعالى
وجه المناسبة للسابقة ان الله تعالى
لما ذكر منكري القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته ... وقرر انه
قاصرا شهواته على الفجور غير مكترث بما بعده ذكر ان من ... على آيات الله
على تعلم آيات الله وحفظها وتلقيها والنظر فيها وعجز قبولها باهلها فظهر ...
... من رغب في تحصيل آيات الله لما كان عليه الصلوة والسلام لما ... لذلك
... لكن يحرك لسانه اخبره الله تعالى انه يجمعه له ويوضحه ثم ...

من حفظه عليه الصلوة والسلام رجع وحال الانسان الساهي وذكره ...
وانهم انما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة ولهذا
يكون كذلك فقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة كلا ردع وزجر ...
ان تقولون من انكم لا يبعثكم الله بعد مماتكم والذي دعاكم الى هذا محبتكم الدنيا
وايثاركم شهواتها على الآخرة ونعيمها فانهم مؤمنون بالدنيا مكذبون بالآخرة من غير
... من اهوال الآخرة ...
جمهور اهل السنة تمسكوا بهذه الآية في اثبات ان المؤمنين
يرون الله جل وعلا يوم القيامة خلافا للمعتزلة لقوله الى ربها ناظرة ...
كما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه انكم سترون ربكم عيانا وقد ثبت رؤية المؤمنين
الله عز وجل في الدار الآخرة في الاحاديث الصحاح من طرق متواترة عند ائمة الحديث
لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث ابي سعيد وابي هريرة في الصحيحين ان ناسا قالوا يا رسول
الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب
قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فان استطعتم ان لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا وفي الصحيحين عن ابي موسى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى الله الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة
عدن وفي افراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا
الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من
النظر الى ربهم وهي الزيادة ثم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفي
... الاحاديث ان المؤمنين ينظرون الى ربهم في العرصات وفي روضات الجنات
وفي ... الامام احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ادنى اهل الجنة منزلا لينظر في ملكه الفي سنة ... كل يوم مرتين ولولا خشية الاطالة
لاوردنا الاحاديث بطرقها والفاظها من الصحاح ... والمسانيد والسنن

وقال الامام الشافعي رحمه الله في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون [illegible]
الفجار الا وقد علموا ان الابرار يرونه عز وجل [illegible] تواترت الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الاية الكريمة وهي قوله الى ربها ناظرة وقال ابن جرير
[illegible] محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن وجوه يومئذ ناضرة قال
حسنة الى ربها ناظرة قال تنظر الى الخالق وحق لها ان تنظر ۞ قوله تعالى
[illegible] اي وجوه الكفار يوم القيامة كالحة
وقيل تصير لونها كلون الرماد [illegible] قال ابن زيد باسرة اي عابسة وقال ابن المسيب فاقرة الظهر
وقيل بمعنى تعلق على عقدة [illegible] ان يفعل بها فعل هو في شدته داهية تقصم الظهر
وهذا كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وكقوله وجوه
يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا
من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ووجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية
الايات واشباه ذلك من الايات السياقات ۞ قوله تعالى
[illegible] اخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الاهوال ثبتنا الله هنالك
بالقول الثابت وقوله اذا بلغت التراقي جمع ترقوة وقد تقدم الكلام عليها في الاعراب
اي نزعت من الجسد وبلغت التراقي وهذه كقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
ان كنتم صادقين ۞ وقوله وقيل من راق قال عكرمة عن ابن عباس اي من راق يرقي
وقال ابو قلابة من راق اي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد
من الذي يرقيه ليشفيه ۞ وروى ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس وقيل من راق
اي من يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ذلك الملك يقول
من راق اي من يرقى بهذه النفس وقيل وراق من الرقية كما تقدم وهو كلام يقصد
به الاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وقول النبي صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها
رقية يعني الفاتحة وهو اسم من اسمائها ۞ وقوله [illegible] اي ايقن الانسان
انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملائكة وسمي اليقين

ها بالقران [illegible] واحد [illegible] يطمع في [illegible]
الوجوه [illegible] لا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له بغيتها [illegible] القول
[illegible] وجوه [illegible] بالفاقرة ۞ وقال الرازي [illegible] لانه تدل على ان
الروح جوهر [illegible] بعد موت البدن لان الله تعالى سمى [illegible]
يكون اذا كانت الروح باقية [illegible] والوصال [illegible] واتصافه يستدعي وجود
الموصوف ۞ قوله تعالى [illegible] قال ابن عباس [illegible]
الدنيا والاخرة وكذا [illegible] عن ابن عباس [illegible] آخر يوم من ايام
الدنيا واول يوم من ايام الاخرة فيلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله وقال عكرمة
والتفت الساق بالساق الامر العظيم بالامر العظيم ۞ وقال مجاهد بلاء ببلاء ۞ وقال
الحسن البصري [illegible] رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا ۞ وقال
الشعبي [illegible] مالك [illegible] يموت [illegible] في الكفن ۞ وقال الضحاك اجتمع
عليه امران الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه
اي المرجع الى حكم الله [illegible] الناس جسده [illegible] والملائكة تصعد بروحه
وهذه الاية نظير قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وهم لا
يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين [illegible]
[illegible] الجنة واما الى النار ۞ قوله تعالى
هذا اخبار عن الكافر الذي كان في دار الدنيا مكذبا بالحق متوليا عن العمل فلا
خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى قال ابن
عباس رضي الله عنهما لا يصدق بالرسالة ولا اعمالها ولا ادعى لنبيه ۞ وقال قتادة
فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله ۞ وقيل فلا تصدق بزكوة ماله ولا صلى الصلوات
التي امر الله بها فلا امن بقلبه ولا عمل ببدنه وهو الانسان المذكور في قوله ايحسب
الانسان [illegible] ولكن كذب وتولى استدراك واضح لانه لا يلزم من نفي التصديق
والصلوة التكذيب والتولي لان كثيرا من المسلمين [illegible]
التكذيب والتولي ولهذا لا يكون من المسلمين ۞ قوله تعالى
اي جاء الى اهله قاله قتادة وزيد بن اسلم يتبختر في مشيته [illegible] وقيل ان هذه [illegible]

حرك يده جهلا قوله   هذا وعيد من الله لابي جهل
قال ابن قتادة قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اخذ بمجامع ثيابه فقال
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال عدو الله ابو جهل ابوعد لي محمد والله ما تستطيع
انت ولا ربك شيئا لانا اعز من مشى بين جبليها ه وروي في خبر اخر فاما موسى بن ابي
عايشة قلت لسعيد بن جبير قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه
ام امره الله به قال قاله من قبل نفسه ثم انزله الله اولى لك فاولى ثم اولى
لك فاولى ه وروي قتادة والكلبي ومقاتل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المسجد ذات ليلة فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له اولى لك
فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله اني لاعز اهل هذا الوادي واكرمه ولا تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ثم انشد ... فانزل الله تعالى كما قال له الرسول
صلى الله عليه وسلم ومعنى اولى لك يعني ويل لك وقال الشاعر

فاولى ثم اولى ه وهل للدر يحلب من مرد

والمعنى الويل لك يوم تدخل النار وقيل المعرات اولى لاحد بهذا العذاب ه
وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك
واصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم وقيل التكرير
فيه على معنى الذم ه قوله تعالى   اي يظن ابن ادم
ان يخلى مهملا فلا يومر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد وقيل ان يترك في قبره كذا ابدا لا يبعث
يقول الله عز وجل ايظن ابن ادم ان يترك مهملا لا يومر ولا ينهى وقال ابن زيد والسدي
الذي لا يفترض عليه عمل ولا يعمل   اي الم يك قطرة
ما تمنى في الرحم اي تراق فيه والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء
اي قطر اي الم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المراة فنبه تعالى بذلك على حقيقة
قدره ثم قال   اي فسواه تسويه وعدله تعديلا بجعل الروح
فيه وقيل خلق فقدر فسوى فعدل اي الم يك هذا المتكبر قدرة الله على اعادته
بعد ما كان نطفة في صلب الرجل ثم صبت في الرحم ثم كان علقة اي ثم صار

بعد ما كان نطفة وصبت للرجل ثم صبت في الرحم ثم كان علقة اي ثم صار بعد ما كان
نطفة فسواه بشرا سويا ناطقا سميعا بصيرا
المعنى ثم كان علقة ومن المني الذكر والانثى يجري النجاسة فلا يليق بمن هو
ان يتمرد على طاعة الله بل يجب عليه طاعته ورسوله وهو بعد ان كان نطفة سواه وعدله
واخرج منه الرجال والنساء اخرجه ه ثم قال
اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ماء بقادر على ان يعيدهم كما بداهم قال
تعالى وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اليس الله بقادر على ان
يحيي الموتى اي يعيد هذه الاجساد كهيئتها للبعث بعد البلى ه وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى ه وقال ابن عباس من قرا
سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم
بيوم القيامة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى ه وروي ابن لهيعة عن موسى بن
ابي عائشة عن ابيه ان رجلا كان فوق سطح يقرا ويرفع صوته بالقران فاذا قرا اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ه وقال ابو داود رحمه الله ... مسنده عن موسى
ابن ابي عائشة عن احد انه كان رجل يصلي فوق بيته يقرا ويرفع صوته بالقران فاذا
قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسالوه عن ذلك
فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو داود لم يسم هذا
ولا يضر ذلك ه وروى ابو داود عن من سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا منكم بالتين والزيتون الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين
فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ه ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث
بعده يومنون فليقل امنا بالله ه رواه احمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي
عن ابي عمر عن سفيان بن عيينة وقد رواه شعبة ورواه شعبة عن اسماعيل بن
امية قال قلت له من حدثك قال رجل صدق عن ابي هريرة ه وروى الثعلبي عن
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القيمة شهدت ...

وحسبنا الله يوم القيمة انه كان موسعا يوم القيمه وها وجده مستقر عز وجه
الخلايق ان الحوات المدى الى العبيد وانت الفعال لما تريد سبحانك انت
وحدك كل من تعبير مثال وحدها كما كانت من بعد الفنا والزوال مثلما ثبت
سبحانك من القدم وحدك محمود انا العم واظهرتني باصطفايك في حجر الاسلام
ورحمتني بشهادة توحيدك وشهادة الرسالة لاكرم المرسلين فاتمم به علي
ان تتوفني مسلما وان تلحقني بالصالحين وان تبعثني في زمرته ولا تخالف بي عن طريقته
والذين والمسلمين اجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله وصحبه اجمعين امين يا رب العالمين

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من
نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون

3

تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا
نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم

لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا
قوله تعالى
هذه السورة مكية وهي احدى وثلثون اية وهو قول ابن عباس ومقاتل والكلبي
وقال مجاهد وقتادة مدنية وقيل هي مدنية الا من قوله فاصبر لحكم ربك الى
اخرها مكي ومناسبة هذه السورة لسابقتها ان اخر المتقدمة ... وفي هذه
ذكر خلق الانسان واصله وصفته ومناسبتها جميعا في البدو والاعادة ومصير
اهل الشقاوة واهل السعادة بقول الله تعالى مخبرا عن الانسان انه اوجده بعد ان لم
يكن شيا لحقارته وضعفه ثم بين ذلك فقال
ذكر ابن وهب قال حدثنا ابن زيد قال ان رسول الله ليقرا هل اتى على

الانسان

الانسان حين من الدهر وقد ... فعد ... رحلا اسود فسال النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له عمر ... لا تسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما ...
... هذه السورة وهو عنده ... عنده ...
... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... نفس
صاحبكم ... السورة ... المفسرين ان هذه السورة نزلت في
علي بن ابي طالب ... والمقصود من السورة عام ه واختلف في هذا الانسان فقال
هل اتى على الانسان حين من الدهر قيل هو ادم عليه السلام اتى عليه زمان من الدهر
لم يكن شيا مذكورا لانه كان طينا ... واختلف في قدر الحين فقال بعضهم
اربعون سنة قالوا مكثت طينة ادم مصورة لا روح فيها اربعين عاما ه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هل اتى على الانسان يعني ادم حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا
في السماء ولا في الارض وذلك ان ادم عليه السلام كان من طين اربعين سنة ثم من
صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين
سنة ه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان ادم خلق من تراب فاقام اربعين سنة
ثم من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة
ثم خلقه بعد مائة وستين سنة ه وقال مقاتل هو ادم وحين من الدهر ما كان
... في الزمان لانه ادم ما خلق الله من الارض من اصناف الخليقة الذي لم يكن شيا
مذكورا على هذا ... لم يكن هو شيا لا ... موجودا ... انه قد اتى عليه حين
من الدهر والله ... موجود ه وقيل يقع على ادم وعلى اولاده ه وقوله انا
خلقنا الانسان من نطفة امشاج المراد اولاده لان ادم عليه السلام لم يخلق
من نطفة امشاج اخلاط وهو صفة للنطفة قال ابن مسعود واسامة ابن زيد
عن ابيه هي العروق التي في النطفة ه وقال ابن عباس ومجاهد والربيع هو
ما الرجل وما المراة اختلطا في الرحم فخلق الانسان منهما ه وقال ابن عباس ايضا
وعكرمة وقتادة امشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة الى عظم
ذلك الى التشابه انسانا ه وقال ابن عباس ايضا والكلبي هي الوان النطفة
وقيل اخلاط الدم والبلغم والصفرا والسودا والنطفة ايديها الحسن فلذلك

وصفت بالجمع ۝ وقيل كما قال ابن عباس الانسان مخلوق من اجتماع الماءين نطفة
فماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم
وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة ۝ وقال قتادة هي اطوار
الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم كسوا العظام لحما
وقوله نبتليه قبل الابتلاء وجعله سميعا [illegible] امتن الله تعالى عليه بان جعله
بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم وهما اشرف الحواس يدرك بهما
معظم المدركات يسمع الاصوات ويرى الذوات فيستدل بالمخلوقات على الخالق
وقيل فجعلناه سميعا بصيرا اي مميزا عاقلا ممكنا من قبول الاسلام ۝ وقيل
وقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وهو نفي التمييز
والعقل وقدم قبل الصفتين قوله نبتليه اي نختبره ۝ وقيل تقديره الابتلاء
وهو الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر
والثاني قال الحسن نختبر شكره في السراء والضراء ۝ وقيل نبتليه نكلفه بالعمل
بعد الخلق قاله مقاتل ۝ وقيل نكلفه ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعصية
وذلك انا خلقناه من هذه الامشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان ثم اخبر انه اعطاه
ما يصح به الابتلاء وهو السمع والبصر لان الابتلاء لا يكون الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلناه
سميعا يسمع به الهدى بصيرا يبصر به الهدى والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم
الحواس واشرفها ولما جعل الانسان بهذه الصفة ابتدا اخبر ما له بقوله [illegible]
[illegible] اي ارشدناه وعرفناه طريق النجاة ومال طريق
الهلاك قال مجاهد سبيل السعادة وسبيل الشقاوة والمعنى بينا له وعرفناه
طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فآمن او كفر ولما كان الشكر
قلما يتصف به الانسان قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا ما يتصف به ويكثر وقوعه من
الانسان لان الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة ولما ذكر تعالى الفريقين اتبعهما
الوعيد والوعد فقال [illegible]
اعلم انه جل وعلا لما بين هنا حال الفريقين كما تقدم نصب العقلاء وكلفهم ومكنهم
مما امرهم به فمن طغى وكفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب وتقدم الكلام

في السلاسل

في السلاسل والاغلال والسعير ثم قال [illegible]
قال ابن عباس الابرار هم
الصادقون في ايمانهم وقال الثوري هم الذين بروا اباءهم واولادهم وقال مقاتل الذين
يطيعون الله بالتوحيد ۝ وقال شهر بن حوشب الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقال
مجاهد هم الذين صدقوا الله في السر والعلانية ۝ وقال ابن زيد هم الذين بروا انفسهم
بترك المعاصي يشربون من كاس اي من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس
في اللغة الاناء وقوله كان مزاجها كافورا المزاج كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه
مزاج البدن والكافور طيب معروف وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة
الطيبة مع ما يضاف اليه من اللذة في الجنة فلذلك حسن برد الكافور في الزنجبيل ۝
قال الرازي في قوله يشرب بها عباد الله يفيد ان كل عباد الله يشربون منها والكفار
بالاتفاق لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان اذا ثبت هذا
فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار بل مختص بالمؤمنين فيصير تقدير الاية
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر ولا تدل الاية على انه تعالى لا يريد كفر الكافر ۝ وقوله
يفجرونها تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ههنا وههنا الى حيث شاؤوا
ويتبعهم حيث مالوا مالت معهم ۝ روى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش وعينان تجريان من فوق العرش
احدهما التي ذكر الله تعالى سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي في نوادر الاصول
وقال في التسنيم للمقربين خاصة شرابا لهم والكافور للابرار شرابا لهم يمزج
للابرار من التسنيم شرابهم والزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا
ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن يشرب فما كان للابرار مزاج فهو
للمقربين صرف وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج والابرار هم
الصادقون والمقربون هم الصديقون ۝ قوله تعالى [illegible]
[illegible] معناه لا يخلفون اذا نذروا ۝ وقال الفراء كانوا يوفون بالنذر
في الدنيا وهو شامل لكل ما التزمه العبد بايمانه ويعقوده على نفسه في ايمانه
قال تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم ۝ وقال تعالى اوفوا بالعقود وهو يتناول

الفرايض والنذور والعهود ۞ وقيل يتعبدون لله فيما اوجبه عليهم من فعل
الطاعات الواجبة باصل الشرع وما اوجبوه على انفسهم بطريق النذر قال الامام
مالك عن طلحة بن عبد الملك عن القاسم بن مالك عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه
رواه البخاري من حديث مالك ويتركون المحرمات التي نهاهم الله عنها خيفة من
سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطيرا اي منتشر عام على
الناس الا من رحم الله وقال ابن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله شر ذلك
اليوم حتى ملا السموات والارض ۞ قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا قيل يجوز ان يكون الاطعام عبارة عن وجوه المواساة باي شي كانت
لما انه اعظم وجوهها لان نفاق المال في اي وجه كان يسمى اكل الطعام قال تعالى ولا
تاكلوا اموالكم الاية لما انه اعظم وجوه الانتفاع بالمال ۞ وقوله على حبه قيل
على حب الطعام ۞ وقيل على حب الاطعام ۞ وقيل على حب الله ويعظم امر الله
قال مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير والاول اي المال على حبه ۞ وقوله لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وفي الصحيح افضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل
الغنى وتخشى الفقر اي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا
قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا اما المسكين واليتيم
قد تقدم بيانهما واما الاسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك الاسير
من اهل القبلة وقال ابن عباس كان اسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اصحابه يوم بدر ان يكرموا الاسرى وكانوا
يقدمونهم على انفسهم عند الغدا ۞ وقال عكرمة هم العبيد واختار ابن
جرير لعموم الاية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطا والحسن
وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقا في غير ما
حديث وقيل على حبه اي حب الطعام اذ هو محبوب للفاقة والحاجة قاله ابن
عباس ومجاهد او على حب الله اي لوجهه وابتغاء مرضاته قاله الفضيل بن عياض
وابو سليمان الداراني والاول امدح لان فيه الايثار على النفس واما الثاني فقد يفعله

الاغنيا

الاغنيا ا... وقال الحسين بن الفضل على حب الطعام اي محبين في طعمهم لا رياء فيه ولا
تكلف مسكينا المنكشف في السؤال ويتيما وهو الصبي الذي لا اب له واسيرا الاسير
قد عرف ۞ وقيل اسيرا استعارة وتشبيه قال مجاهد وابن جبير وعطا هو المسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك ۞ قوله تعالى
اي يقولون بالسنتهم للمسكين واليتيم والاسير
انما نطعمكم في الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لا نريد ان تثنوا علينا بذلك قال
ابن عباس كانت نياتهم لذلك حين اطعموا ۞ وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به
ولكن الله علمه منهم فاثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب ۞ قيل هذه نزلت
في مطعم بن ورقا الانصاري رضي الله عنه نذر نذرا فوفى به ۞ وقيل نزلت فيمن
تكفل باسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد
الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله عنهم ذكره الماوردي ۞ وقال
مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا ۞ وقيل
نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة ۞ وقيل نزلت في جميع
الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامة ۞ وروى جابر الجعفي في قوله يوفون
بالنذر عن قنبر مولى علي قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا ابا الحسن لو نذرت عن ولديك نذرا فقال
علي رضي الله عنه ان برا صمت لله ثلاثة ايام شكرا فقالت جارية لهم ان برا
صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمة مثل ذلك وقال الحسن والحسين علينا
مثل ذلك قال اهل الحديث جابر الجعفي كذاب ۞ وقال الفخر الدين الرازي ان
الاحسان الى الغير تارة يكون لوجه الله وتارة يكون لغير الله اما طلبا لمكافاة
او طلبا لحمد وثنا وتارة يكون لهما وهذا هو الشرك والاول المقبول عند الله واما
القسمان الباقيان فمردودان قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي
ينفق ماله رئاء الناس ۞ وقال تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا
يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ولا
شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى واذا عرفت ذلك فنقول لما قالوا

انما نطعمكم لوجه الله هذا نفى انه اطعمهم لسائر الاغراض على سبيل التشريك
فلا جرم نفى هذا الاحتمال بقوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ۝ قوله تعالى انا نخاف
من ربنا يوما عبوسا قمطريرا اى انما نفعل هذا الفعل لعل الله تعالى ان يرحمنا
ويتلقانا بلطفه فى اليوم العبوس القمطرير ۝ وقوله انا نخاف من ربنا يحتمل وجهين
احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم
والثانى لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على ترك المكافاة لخوف عقاب الله
على طلب المكافاة بالصدقة [illegible] ان الله تعالى لما حكى عنهم الايفاء بالنذر علل
ذلك بخوف القيمة فقط ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضى الله
وبالخوف فالحكمة فى ذلك [illegible] لان النذر هو الذى اوجبه على نفسه لاجل
الله فما كان لذلك لا جرم علله بالخوف القيمة واما الاطعام فانه تعالى هو الذى
شرعه فلا جرم علله بالخوف منه وضم اليه خوف يوم القيمة وهو اليوم
العبوس القمطرير ۝ وروى مجاهد عن ابن عباس ان هذه السورة نزلت فى على بن
ابى طالب وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم يقال لها فضة قال ابن عباس مرض
الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة الصحابة
فقالوا لعلى رضى الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا فقال على رضوان
الله عليهم اجمعين ان برءا صمت لله ثلثة ايام شكرا قالت فاطمة كذلك وقالت
جارية لهم نوبية يقال لها فضة كذلك فعافاهما الله تعالى وليس عند آل محمد صلى
الله عليه وسلم قليل ولا كثير فانطلق على الى شمعون اليهودى الخيبرى فاستقرض
منه ثلثة اصوع من شعير فلما جاء به وضعوا فى ناحية من البيت فقامت فاطمة
الى صاع منها فطحنته واختبزته وصلى على رضى الله عنه المغرب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فاتاهم مسكين فوقف
بالباب وقال السلام عليكم يا آل بيت محمد مسكين من اولاد المسلمين اطعمونى اطعمكم
الله على موائد الجنة فسمعه على رضى الله عنه فانشا يقول
فاطم ذات المجد واليقين يا ابنة خير الناس اجمعين اما ترين البائس المسكين
يسالنا يقول اطعمونى قالت فاطمة رضى الله عنها امرك سمع يا ابن عم وطاعة

بال

ما بى من لوم ولا وضاعة اطعمه ولا ابالى الساعة ارجو اليه ان اشبع من مجاعة
ان الحق الاخيار والجماعة وادخل الجنة لى شفاعة ۝ فاعطوه الطعام وطووا ليلهم
ونهارهم ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة الى صاع فطحنته
واختبزته وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه
فاتاهم يتيم وقال السلام عليكم يا اهل بيت الرحمة يتيم من اولاد المسلمين استشهد
والدى يوم العقبة اطعمونى اطعمكم الله فسمعه على فانشا يقول
فاطم بنت السيد الكريم بنت نبى ليس بالذميم قد جاءنا الله بذا اليتيم
فاطعميه رغبة التكريم غدا لنا فى رحمة الرحيم قالت فاطمة رضى الله عنها
اطعمه الان ولا ابالى واوثر الله على عيالى
امسوا جياعا وهم اشبالى يكفينى الرحمن ذو الجلال قال فاعطوه الطعام
فمكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا الا الماء فلما كان فى اليوم الثالث قامت فاطمة الى الصاع
الثالث فطحنته واختبزته وصلى على ثم اتى المنزل ووضع الطعام بين يديه فاتاهم
اسير وقال السلام عليكم يا اهل بيت النبوة اسرتمونا وشددتمونا ولا تطعمونا اطعمونى
اطعمكم الله فسمعه على رضى الله عنه فانشا يقول
فاطمة بنت النبى احمد بنت نبى سيد مسود
هذا اسير للنبى المهتد مثقل بغله مقيد
من يطعم اليوم يجده فى غد عند العلى الواحد المجد
قالت فاطمة رضى الله عنها لم يبق مما جئت غير صاع قد دميت كفى مع الذراع
ابناى والله من الجياع ابوهما للمكرمات ساعى يا رب لا تتركهما ضياع
قال فاعطوه الطعام ومكثوا ثلثة ايام ولياليها لم يذوقوا الا الماء فكان فى اليوم
الرابع وقد قضوا نذرهم اخذ على الحسن بيمينه والحسين بيساره وهما يرتعشان
كالفراخ من شدة الجوع فلما بصر بهما النبى صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن
ما اشد ما يسوءنى ما ارى بكم ثم انطلق الى فاطمة فانطلقوا معه وهى فى محرابها فلما
بصر بها النبى صلى الله عليه وسلم وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت
عيناها قال واغوثاه بالله آل محمد يموتون جوعا فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد

هذا ما هناك الله بدنى واهل بيتك فقروا عليه هل اتى على الانسان الى اخرها واثنى الله
عليهم انهم من خوف يوم القيمة وهو اليوم العبوس القمطرير اى الشديد ٥
وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قال يعبس الكافر يوميذ
حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران ٥ وقيل قمطريرا طويلا وقال سعيد بن
جبير وقتادة يعبس فيه الوجوه من الهول فقمطريرا تقلبص الجبين وما بين العينين
من الهول واوضح المعانى واجلاها واحلاها واعلاها قول ابن عباس رضى الله عنهما
والمعنى تخاف يوما ذا عبوس ٥ قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم
نضرة وسرورا اى انهم ما خافوا منه ودفع عنهم باس ذلك اليوم وشدته
وعذابه واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا الطاعات لغرضين الاول لطلبهم
رضى الله والثانى لخوفهم من يوم القيامة بين هنا انه اعطاهم هذين الغرضين
وهو انه حفظهم من اهوال اليوم القيمة وهو قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم
واما طلبهم رضى الله فاعطاهم بسببه نضرة فى الوجه اى حسنا وسرورا فى
القلب قال الضحاك النضرة البياض والنقا ٥ وقال ابن جبير الحسن والبها ٥
وقال ابن زيد انها اثر النعمة ٥ وقيل هذا جزاء صبرهم على طاعة الله وصبرهم
عن معصية الله ومحارمه وهذا يدل على ان الاية نزلت فى جميع الابرار ومن فعل فعلا
حسنا ٥ وروى ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر
اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرايض والصبر على اجتناب
محارم الله والصبر على المصايب ٥ قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
اى فلما وقاهم شر ذلك اليوم ولقاهم النضرة والسرور جازاهم بصبرهم جنة
وحريرا قال الله تعالى وجوه يوميذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك ان القلب
اذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه فلقة قمر وقالت عايشة دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق اسارير وجهه الحديث وقوله
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا اى بسبب صبرهم اعطاهم ونولهم وبواهم جنة
وحريرا اى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا ٥ وروى الحافظ ابن عساكر

فى ترجمه

فى ترجمة هشام بن سليمن الدارانى قال قرئ على ابى سليمن الدارانى سورة هل اتى على
الانسان فلما بلغ القارى الى قوله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا قال سليمن بما
صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ثم انشد يقول

كم قتيل لشهوة واسير ٥ اف من مشتهى خلاف الجميل ●

قوله تعالى متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قد تقدم الكلام
على الاتكا على الارائك فى سورة الصافات وان الارائك هى السرر تحت الحجال
وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مولم بل هى
مزاج واحد دايم سرمدى يعتدل له الهوا وفى الحديث هوا الجنة سجسج لا حر ولا
قر ٥ وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل لا قمرا لان الزمهرير فى لغة طى القمر
وقيل لا يرون فيها شيئا يوذيهم حرها ولا زمهريرا وهو البرد الشديد ٥ قوله تعالى
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ولما علم الله ان شدة الحر تؤذى
وان شدة القر تؤذى وقاهم الله اذاهما جميعا وظلهم بظل الدانية اى القريبة منهم تنا لون
قطوفها قائمين وقاعدين ومضطجعين وقال تعالى فى اية اخرى وجنى الجنتين دان وقال تعالى
قطوفها دانية وقال مجاهد فى قوله وذللت قطوفها تذليلا ان قام ارتفعت بقدر
قيامه وان قعد تدللت بقدر قعوده حتى ينالها وان اضطجع تدلت حتى ينالها من غير جهد
ولا مشقة ٥ وقال مجاهد ايضا ارض الجنة من ورق وترابها المسك واصول شجرها
من ذهب وفضة وافنانها من اللولو والزبرجد والياقوت والورق والتمر بين ذلك فمن
اكل منها قائما لم يوذه ومن اكل منها قاعدا لم يوذه ومن اكل منها مضطجعا لم يوذه
لا يرد ايديهم شوك ولا بعد فليلحظ العاقل ما اعد لهم من النعيم الدايم المقيم
وما اسبغ عليهم من الفضل العظيم ثم اخبر عن طواف الولدان عليهم بالاوانى الفضة من الشراب بقوله تعالى
ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها
تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما
وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن

نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك
واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاءون الا ان يشاء الله
ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما
التفسير، قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا
قواريرا من فضة قدروها تقديرا. وجه المناسبة لما وصف الله طعامهم ولباسهم
ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه ذكر الآنية التي يسقون بها والمعنى ويطوف
على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشراب بآنية من فضة وقوله من فضة اي مخلوقة
من فضة ومعنى كانت انه اوجدها تعالى في قوله كن فيكون تفخيما لتلك الخلقة العجيبة
الشان الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها قال ابن عباس
رضي الله عنهما ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي الذي في الجنة ثم لم ينف الاكواب
الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة ويسقون في اواني الذهب كما قال تعالى يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب وقد تكون صحاف الذهب للطعام والقوارير والاكواب
للشراب وقيل نبه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد
فنبه بذكر احدهما على الآخر. وقال فخر الدين الرازي ومعنى كانت هو من يكون في قوله فيكون
اي فتكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين ثم ما لو قيل كيف تكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير فالجواب
من وجوه احدها ان اصل القوارير في الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة
فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر
على ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان
نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة
بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين. وثانيها ما تقدم من قول ابن عباس ليس في
الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي انها جامعة بين صفا الزجاج وشفافيته
وبين نقا الفضة وبقائها وشرفها. وثالثها انه ليس المراد بالقوارير الزجاج

بل العرب تسمي ما استدار من الاواني التي تجعل فيها الاشربة مما رق وصفا قارورة
فالمعنى واكواب من فضة مستديرة صافية وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من
ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا. وقوله قدروها تقديرا اي لريهم على قدر شربهم
قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم. قوله تعالى ويسقون فيها كأسا
كان مزاجها زنجبيلا اي يسقون يعني الابرار ايضا في هذه الاكواب كأسا اي خمرا
كان مزاجها زنجبيلا والزنجبيل في الدنيا نبت في ارض عمان عروق تسري في الارض
وليست بشجرة تؤكل رطبا واجوده ما يحمل من بلاد الصين والعرب تحب الزنجبيل لانه يوجب
لذعا في اللسان اذا مزج به الشراب فيلتذون به فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور
وهو بارد وتارة يمزج بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الامر فالابرار يمزج لهم من هذا
تارة ومن هذا تارة واما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير
واحد وتقدم قوله عينا يشرب بها عباد الله وقال هاهنا عينا فيها تسمى سلسبيلا
بمعنى انها توصف بسلاستها في الانسياغ وسهولتها في المذاق وقال مقاتل تسيل
عليهم مادها في مجالسهم حيث شاءوا وهو قول قتادة سلسة يصرفونها حيث شاءوا
وقال ابن جرير انما سميت بذلك لسلاستها في الحلق وقال الزجاج هو في اللغة
صفة لما كان في غاية السلاسة والسلسبيل الشراب اللذيذ ويطوف عليهم
ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لما ذكر المأكول والمشروب
والمسكن ذكر بعد ذلك من يخدمهم في تلك المجالس فقال ويطوف عليهم ولدان
مخلدون يعني الذي يطوف عليهم بالآنية وهم الولدان لانهم اخف في الخدمة ثم
قال مخلدون اي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن لا يهر مون
ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة وقيل مخلدون لا يموتون مسورون
مقرطون محلون اذا رأيتهم حسبتهم اي ظننتهم من حسنهم وبياضهم وصفا
الوانهم لؤلؤا منثورا اي متفرقا في عرصة المجلس مع زينتها بالحلية التي ذكره
الطائفين هنا ولم يذكرهم في قوله ويطاف بالاكواب لما تقتضيه البلاغة
من تعظيم لشان الطائفين اولا. وقيل انما شبهوا بالمنثور لانهم سراع في الخدمة
بخلاف الحور العين اذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمة.

قوله تعالى وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا لما وصف الخدمة الذين هم في
غاية السعادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم
بما شبههم به باللؤلؤ المنثور لا نجد في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور في المكان الحسن
قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه
ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه ثم قال وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا
أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطان باهر وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر
أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها أن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها
وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن
ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة أقصاه كما ينظر إلى أدناه فإذا كان هذا عطاؤه لأدنى
من يكون في الجنة فما ظنك بمن هو أعلى منزلة وأحظى عند الله وروى الطبراني ههنا حديثا
غريبا جدا بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال يا
رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت
بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله
وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل
كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل
ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن
تستنفد ذلك كله إلا أن يتداركه الله برحمته والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير
قال سفيان الثوري بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان
على رؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك وقال السدي ومقاتل هو استئذان الملائكة
عليهم وقال الحكيم الترمذي هو ملك التكوين إذا أراد شيئا قال له كن وقد تقدم
في الخبر أن الملك الكبير هو أن أدناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام يرى
أقصاه كما يرى أدناه وأن أفضلهم منزلة من ينظر في وجه ربه جل وعلا كل يوم

مرتين قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة
وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل هو لباس الخدم وقيل أي على الحجال لهم
لا أرائكهم وقيل هو لباس الأبرار والسندس من الديباج الرقيق الفاخر والإستبرق من الديباج
الغليظ الذي له بريق أي يتصرفون في فاخر اللباس ولذيذ الطعام والشراب
وقوله وحلوا أساور من فضة أي قال تعالى ههنا أساور من فضة وقال في سورة فاطر
يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا
قيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يد أحدهم سواران
من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد
ابن المسيب وقيل يعطى لكل أحد ما يرغب فيه ويميل نفسه إليه وقوله وسقاهم
ربهم شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في هذه الآية إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة
مروا بشجرة تخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فتجري عليهم بنضرة
النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبدا ثم يشربون من الأخرى فيخرج
ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وأبو قلابة هو إذا شربوا بعد أكلهم
طهرهم وصار ما أكلوه وشربوه رشح مسك وقال مقاتل هو من عين ماء على باب
الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد
وما كان في جوفه من أذى فإن قيل قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا نوع
مما ذكر قبل ذلك من أنهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل أو هذا
نوع آخر فالجواب أنه نوع آخر لوجوه أحدها دفع التكرار الثاني أنه تعالى
أضاف هذا الشراب إلى نفسه بقوله وسقاهم ربهم وذلك يدل على فضل هذا
على غيره والثالث ما روي من أنه تقدم إليهم الأطعمة والأشربة فإذا فرغوا
منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم
مثل رشح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة قال الحسن طهرهم به من كل أذى وغل
وغش وخيانة وقال مقاتل بن حيان تطهره من أن يتحول قذرا كشراب الدنيا
وقال يمان بن رئاب طيبهم للجنة وقال محمد بن علي الترمذي طهر قلوبهم مما

بجا مرها في الدنيا من الشحنا والبغضا والفرقة وقال الحسن بن علويه الدامغاني
سئل ابو زيد عن قوله شرابا طهورا قال طهرهم به عن محبة غيره ه قوله تعالى
ان هذا كان لكم جزا وكان سعيكم مشكورا اي هذا اجر لكم اي ثوابا لكم على ما
كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات وشكر الله لعبده قبول طاعته وثناؤه عليه ه
وقال قتادة غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسنة وقيل هذا اخبار الله تعالى
لعباده في الدنيا لانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة اي ان هذا كان في علمي وحكمي
جزا لكم يا معشر عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها ه وقال الرازي اذا كان فعل
العبد خلقا لله فكيف يعقل ان فعل الله جزا على فعل الله ه الجواب كون سعي العبد
مشكورا يقتضي كون الله شاكرا وكون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على وجه المجاز
وهو من ثلاثة اوجه الاول قال القاضي ان الثواب مقابل لعملهم كما ان الشكر
مقابل للنعمة ه الثاني قال القفال انه مشهور في كلام الناس ان يقولوا للراضي
بالقليل والمثني به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله لعباده هو رضاه
عنهم بالقليل من الطاعات واعطاه اياهم ثوابا كثيرا ه الثالث ان منتهى
درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمينة
ارجعي الى ربك راضية مرضية وكونها راضية من ربها اقل درجة من كونها
مرضية لربها فقوله ان هذا كان لكم جزا اشارة الى الامر الذي تصير به النفس
راضية من ربه وقوله تعالى وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربه
ولما كانت هذه الحالة اعلا المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم
عليها في ذكر مراتب احوال الابرار والصديقين ه قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا وجه المناسبة للايات السابقة لما ذكر اولا احوال الانسان
وقسمه الى العاصي والطايع وامعن فيما اعد للطايع ذكر هنا ما شرف به
نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
امره جل وعلا بالصبر فقال فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا
قيل المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه من
كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله وتنزيل منه وبالغ في التاكيد

فكانه

فكانه تعالى يقول ان كان هولا الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك
الحق اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وفي ذلك
فايدتان احدهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله
تعالى عظمه وصدقه والثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى
يقول اني ما نزلت عليك القران متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شي
بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم
ربك الصادر عن الحكمة ه قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضا ربك قال ابن عباس
اصبر على اذى المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم به عليك من
الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كاين
لا محالة ولا تطع منهم آثما او كفورا قال قتادة نزلت في ابي جهل وقوله ان رايت
محمدا يصلي لاطان على عنقه وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة
وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزوج على
ان يترك النبوة ففيهما نزلت عرض عليه عتبة تزويج ابنته وكانت من اجمل
النسا وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه
فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول السجدة الى قوله
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال
احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي وقيل الكفور وان كان اثما فان فيه مبالغة
في الكفر وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو الكفوره قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا
المراد بكرة صلوة الصبح واصيلا الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء
وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان
كل تسبيح في القران فهو صلوة وقيل هو الذكر المطلق سوا كان في الصلوة او في
غيرها وقال ابن زيد وغيره وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس
وقيل هو ندب وقيل مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ه قوله تعالى
ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون ورائهم يوما ثقيلا وجه المناسبة لما

لما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل الى شرح احوال
الكفار المتمردين فقال ان هولاء يحبون العاجلة ومعناه ان الذي حمل هولاء الكفار
على الكفر والاعراض عما ينفعهم في الاخرة هو محبتهم للذات العاجلة والراحات
البدنية قوله ويذرون وراءهم اي بين ايديهم وقدامهم ولم يقل قدامهم
لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم
وثانيها المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل اي عسير وثالثها ان وراء
يستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى من ورائهم جهنم وكقوله وكان وراءهم ملك
اي فلا يعملون ولا يسعون فيما فيه نجاتهم من عذابه يوما ثقيلا هو يوم القيمة
لان شدائده واثقاله واهواله تثقل على الكفار قال تعالى وكان يوما على الكافرين
عسيرا قوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا اي لم نخلقهم عبثا وشددنا خلقهم قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر الخلق وقال ابن زيد الاسر القوة
والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية اي سويت
خلقك واحكمته بالقوى ثم انت تكفر بي وقال الرازي رحمه الله وهذا الكلام
يوجب عليهم طاعة الله تعالى من جهة الترغيب والترهيب اما الترغيب
فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم الاعضاء السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات
العاجلة وخلق لهم جميع ما يمكن الانتفاع به واذا احبوا اللذات العاجلة وتلك
اللذات لا تحصل الا المنتفع والمنتفع به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله وايجاده
وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد واما الترهيب فانه جل
وعلا قادر على ان يميتهم وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية
فلاجل الخوف من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم الانقياد لله وترك
التمرد فكانه قيل هب ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك
يوجب عليكم الايمان بالله والانقياد له فلو توسلتم به الى الكفر بالله والاعراض
عن حكمه ثم قال تعالى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس لو
نشاء لاهلكناهم وجئنا باطوع منهم وقال الرازي معناه اذا شئنا اهلكناهم

وجينا لامثا

واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم كقوله تعالى على ان نبدل امثالكم والغرض
منه بيان الاستغناء التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من المخلوقين البتة
وبتقدير ان ثبتت الحاجة فلا حاجة بنا الى هولاء الاقوام فانا قادرون على ابدالهم
واتخاذ امثالهم ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين
قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي ان هذه السورة
او هذه الايات موعظة او جملة الشريعة ليس على جهة التخيير بل على جهة
التحذير من اتخاذ غير سبيل الله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا
الى طاعة الله وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقة الى الخير وقال
فخر الدين الرازي متى ضمت هذه الاية الى الاية التي بعدها خرج منهم صريح مذهب
الجبر لان قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي ان تكون مشية العبد متى كانت
خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله بعد ذلك وما تشاؤن الا ان يشاء
الله يقتضي كون مشية الله مستلزمة لمشية العبد ومستلزم المستلزم
مستلزم فاذا مشية الله مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر وكذا الاستدلال ٧ل
على الجبر بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لان هذه الاية ايضا تقتضي
كون المشية مستلزمة للفعل وقال القاضي المذكور هنا اتخاذ السبيل
الى الله تعالى وهو امر قد شاءه وقال ابي الرازي وهذا لا يقتضي ان يقال
العبد لا يشاء الا ما قد شاء الله على الاطلاق فالمراد بذلك الامر المخصوص
الذي قد ثبت ان الله تعالى اراده وشاءه وهذا الكلام لا تعلق له بالاستدلال الذي
ذكرناه فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصورة المتقدمة وذلك
ضعيف لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال ان يكون الحكم
في هذه الاية واردا بحيث يعم تلك الصورة وغيرها انتهى وقوله وما تشاؤن اي
الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله تعالى الا ان يشاء الله اخبر تعالى
ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا تنفذ مشيئة احد الا ان تتقدم مشية الله
قيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية وقيل انه ليس بنسخ وانه بمعنى ان ذلك
لا يكون الا بمشيئته وقال الفراء وما تشاؤن الا ان يشاء الله جواب لقوله

فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبر ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاؤن ذلك
السبيل الا ان يشاء الله لكم ان الله كان عليما حكيما اي عليما باعمالكم حكيما
في امره ونهيه لكم ۝ وقيل انه كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما في
خلقهم مع علمه بهم ۝ قوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم
عذابا اليما قوله يدخل من يشاء في رحمته اي يدخلهم الجنة راحما لهم ۝ وقال
الرازي ان فسرنا الرحمة بالايمان فالاية صريحة في ان الايمان من الله تعالى وان
فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله واحسانه لا بسبب
الاستحقاق لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي الى الجهل او الحاجة وهما
محالان على الله تعالى والمفضي الى المحال محال ۝ وقوله والظالمين اعد لهم عذابا
اليما اي الكافرين الواضعين عبادة غير الله جل وعلا في غير موضعها ولهذا
ظلموا انفسهم بايرادها النار وعذابها الاليم ۝ اعد لهم هذا العذاب جزاء
لكسبهم سرمدا مقيما ومن دخل في رحمته خلص من الشر حقيره واجله
وحصل على الخير كله ومن حرم من عدله العذاب واورده موارد العقاب ۝
ولو كان نسبه اشرف الانساب ۝ واذا استغاث لا يجاب ۝ يجد في محله الانكال
والاغلال وعقارب كالبغال ومقامع من حديد وشراب من صديد مخلدا فيها
مقيم يتضاعف عليه العذاب الاليم ۝ جعلنا الله ممن شاء وادخله في رحمته
وضاعف عليه جزيل نعمته هو والدينا والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
اجمعين والحمد لله رب العالمين ۝

سورة والمرسلات ۝ بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست
واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي
يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين الم
نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا

فنعم

فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين
التفسير ۝ قوله تعالى والمرسلات عرفا هذه السورة مكية في قول
الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ۝ وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهي
قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية ۝ وعن كريب مولى ابن عباس
قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت
وقالت والله يا بني لقد اذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب ۝ وهي خمسون اية ۝ ومناسبتها
لسابقتها ظاهرة وهو انه تعالى ذكر في سابقتها انه يرحم من يشاء ويعذب الظالمين
فهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه السورة ۝ وقال ابن مسعود
وابو هريرة وابو صالح ومقاتل والفراء المرسلات الملائكة ارسلت بالعرف
ضد النكر وهو الوحي لانها تتعاقب على العباد طرفي النهار ۝ وقال ابن عباس يعني
عرفا افضالا من الله على عباده قال الشاعر

۝ من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ۝ لا يذهب العرف بين الله والناس

وقيل الرياح وهو قول جمهور المفسرين وقيل هم الانبياء ارسلوا بالتوحيد
وقال ابو صالح ايضا هم الرسل ارسلوا بما يعرفون به من المعجزات ۝ وروى
البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع النبي صلى
الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات فانه ليتلوها فبينما نحن
نتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وقيت شركم ووقيتم شرها واخرجه مسلم ايضا من طريق الاعمش وتوقف
ابن جرير في المرسلات عرفا هل هي الملائكة اذا ارسلت بالعرف او هي الرياح
اذا هبت شيئا فشيئا وقطع بقوله فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
انها الرياح وقال ابن مسعود هي الرياح الشديدات الهبوب يرسلها الله تعالى
نشرا بين يدي رحمته اي تنشر السحاب للغيث وهو مروي عن ابي صالح وعنه

ايضا هي الامطار لانها تنشر النبات ٥ وقيل ان المرسلات هي الرياح كما قال تعالى
فارسلنا الرياح لواقح وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته
وهكذا العاصفات هي الرياح يقال عصفت الريح اذا اشتدت وهكذا الناشرات
نشرا هي الرياح ايضا تنشر السحاب في آفاق السماء وقوله تعالى والناشرات نشرا
النشر بمعنى الاحياء يقال نشر الله الميت وانشره اي احياه قال تعالى ثم اذا شاء انشره
وروي عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل وروى الضحاك انها الصحف
تنشر باعمال العباد ٥ وقال الربيع انه البعث للقيمة تنشر فيه الارواح ٥ قوله تعالى
فالفارقات فرقا قال ابن مسعود وابن عباس وابو صالح ومجاهد هي الملائكة
تنزل بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ٥ وروى الضحاك عن ابن عباس
ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق والآجال ٥ وروى سعيد عن قتادة قال
الفارقات فرقا الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام وهو
قول الحسن وابن كيسان ٥ وقيل الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا
ذلك ٥ وقيل السحاب الماطرة تشبيها بالناقة الفارقة وهي الحامل التي
تخرج وتند في الارض حتى تضع ٥ قوله تعالى فالملقيات ذكرا قال ابن عباس
وقتادة والجمهور الملائكة تلقي كتب الله عز وجل الى الانبياء عليهم السلام وقيل
هو جبريل عليه السلام وسمي باسم الجمع تعظيما له لانه كان ينزل بالوحي وقيل
المراد الرسل يلقون الى امهم ما انزله الله اليهم قاله قطرب واختار الزمخشري
من الاقوال ان يكون المرسلات الى آخرها اي آخر الاوصاف اما الملائكة واما
الرياح فللملائكة يكون عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين وللرياح يكون المعنى
فالملقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا
نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون عن الشكر لله وي
وينسبون ذلك الى الانواء ٥ وقيل الملائكة تلقي الوحي اعذارا من الله تعالى وانذارا
الى خلقه من عذابه قاله الفراء ٥ وقيل وجعلن ملقيات للذكر لكونها سببا
في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت قاله الزمخشري والذي يظهر
ان المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في المرسلات وفي الناشرات

والعطف

والعطف بالواو يشعر بالتغاير لانها موضوعة في لسان العرب واما العطف
بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد كقوله والعاديات
فالموريات فالمغيرات فانها راجعة لموصوف واحد اي الى العاديات وهي
الخيل فالظاهر ان المقسم اولا بالرياح فهي مرسلات وجاء عطفه عطف الصفة
بالفاء وان العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن والقسم الثاني فيه
ترق الى اشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة وهم الناشرات فيكون فالفارقات
فالملقيات من صفاتهم كما قدمناه في عطف الصفات والقاؤهم للذكر هو
ما انزل الله يصح اسناده اليهم ٥ وقوله تعالى انما توعدون لواقع اي من
الجزاء بالثواب والعقاب ٥ وقال فخر الدين الرازي اعلم ان هذه الكلمات
الخمس المقسم بها على هذه الاية اما ان يكون المراد منها جنسا واحدا او اجناسا
مختلفة فالاول فيه وجوه احدها ان المراد بها الملائكة فالمرسلات هي الملائكة
الذي ارسلهم الله تعالى اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال النقمة الى آخرين وقوله
عرفا اي لاجل العرف الذي هو ضد النكر فان كانوا الملائكة المبعوثين
للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا
للكفار فانه معروف للانبيا عليهم السلام والمؤمنين او يكون معنى العرف التتابع
وقوله فالعاصفات عصفا فمعناه ان الملائكة عصفوا في طيرانهم كعصف الرياح
او يعصفون بروح الكافر يقال عصفت بالشيء اذا اباده وقوله والناشرات
نشرا اي انهم نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض ونشروا الشرايع
في الارض او نشروا الرحمة والعذاب او المراد الملائكة الذين ينشرون الكتب
التي فيها اعمال بني آدم يوم القيمة قال تعالى ونخرج له كتابا يلقاه منشورا ٥
وقوله فالفارقات فرقا اي انهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله فالملقيات
ذكرا اي انهم يلقون الذكر الى الانبياء عليهم السلام والمراد بالذكر اما العلم والحكمة
او القرآن لقوله القي عليه الذكر من بيننا وهذا الملقي وان كان جبريل عليه السلام
وحده الا انه سمي باسم الجمع تعظيما له واعلم ان الملائكة اقسام قسم يرسل
لانزال الوحي على الانبياء عليهم السلام وقسم يرسل لكتابة اعمال بني آدم وقسم

يرسل لقبض الارواح وقسم يرسل بالوحي من السما الى الانبيا الوجه الثاني ان المراد
بهذه الكلمات الخمس الرياح اقسم الله تعالى بالرياح عند ارسالها عرفا اى متتابعة
ثم انها تشتد حتى تصير عواصف والرياح رحمة تنشر السحاب في الجو ثم انه يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو المراد بقوله فالناشرات نشرا اى انها تنشر السحاب
وانها تلقح الاشجار والنبات فتكون ناشرة وقوله فالفارقات فرقا اى انها تفرق بين
اجزا السحاب وانها تخرب بعض القرى وذلك يكون سببا لظهور الفرق بين اوليا
الله واعدايه وقوله فالملقيات ذكرا اى ان العاقل اذا شاهد هبوب تلك
الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع امواج البحار تمسك
بذكر الله والتجا الى اعانة الله فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان
والعبودية في القلب الوجه [illegible] من الناس من حمل هذه الكلمات الخمس
على القران ويمكن حمل جميعها على القران فقوله والمرسلات عرفا المراد منه الايات
المتتابعة المرسلة على لسان جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
عرفا اي هذه الايات نزلت بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل
النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات والمراد بالعاصفات عصفا دولة الاسلام
والقران كانت ضعيفة في اولها ثم عظمت وقهرت ساير الملك والاديان وقهرتها
وجعلتها باطلة داثرة والمراد بالناشرات نشرا اي ايات القران نشرت الحكم
والهداية في قلوب العالمين شرقا وغربا والمراد بالفارقات فرقا ان ايات القران فرقت
بين الحق والباطل ولذلك سمي القران فرقانا والمراد بالملقيات ذكرا ان القران ذكر
كما قال تعالى ص والقران ذي الذكر وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك
انزلناه وانه لتذكرة للمتقين [illegible] ويمكن حمل الكلمات الخمس على بعثة
الرسل بالوحي المشتمل على كل خير ومعروف فالعاصفات عصفا ان امر كل رسول
يكون في اول امره حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح
والناشرات نشرا انتشار دينهم فالفارقات فرقا انهم يفرقون بين الحق والباطل
فالملقيات ذكرا انهم يامرونهم بالذكر ويحثونهم عليه [illegible] وهو ان لا
يكون المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا وفيه وجوه احدها قال الزجاج

واختاره

واختاره القاضي ان الثلاثة الاولى هي الرياح فقوله والمرسلات عرفا هي الرياح التي
تتصل على العرف المعتاد والعاصفات ما يشتد منها والناشرات ما ينشر السحاب
وقوله والفارقات فرقا هم الملايكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام
بما يتحملونه من القران والوحي وكذا قوله فالملقيات ذكرا انها الملايكة الذين يلقون الذكر
الذين يلقونه الى الرسل [illegible] ما المجانسة بين الرياح والملايكة حتى جمع بينهما بين؟
في القسم قلنا الملايكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح
وثانيها ان الاثنين الاولين هما الرياح والثلاثة الباقية هم الملايكة لانها تنشر
الوحي والدين ثم لذلك الوحي اثران الاول حصول الفرق بين الحق والباطل والثاني
ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة ويوكد هذا انه قال والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا ثم عطف الثاني على الاول بحرف الفا وقال والناشرات نشرا عطف
الاثنين [illegible] عليه بحرف الفا وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة
الاخيرة وقال الرازي ويمكن ان يراد بالاولين الملايكة فقوله والمرسلات عرفا
ملايكة الرحمة وقوله فالعاصفات عصفا ملايكة العذاب والثلاثة الباقية ايات
القران [illegible] تنشر الحق في القلوب والارواح وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في
القلوب والالسنة ٥ وقوله انما توعدون لواقع فسرناه ٥ قوله تعالى فاذا النجوم
طمست اي ذهب نورها فاستوت مع جرم السما او عبر عن محق ذواتها بالطمس
وهو انتثارها وانكدارها او اذهب نورها ثم انتثرت ممحوقة النور ٥ قوله تعالى
واذا السما فرجت اي فتحت وشققت ومنه قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا
والفرج الشق نظيره اذا السما انشقت ويوم تشقق السما بالغمام ٥ وروى
الضحاك عن ابن عباس فرجت للطي ٥ قوله تعالى واذا الجبال نسفت
اي ذهب بها كلها بسرعة ومنه قوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا ونظيره ينسفها ربي
نسفا وقال ابن عباس والكلبي سويت بالارض وقيل نسفت قلعت من اماكنها
وكانت هبا منبثا ٥ قوله تعالى واذا الرسل اقتت قال مجاهد والزجاج المراد
بالتاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها
ليوم القيمة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشي الموخر اليه فالمعنى جعل لها

وتاجيل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم لانه تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل
المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت وتكوينه وليس في اللفظ بيان انه تحصل لوقت
معلوم ولم يبينه ليذهب الوهم فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين
وقت جمعهم للفوز بالثواب وان يكون وقت سوال الرسل عما اجيبوا به وسوال
الامم عما اجابوهم لانه تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين
وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وساير احوال القيامة وقيل اقتت ك
ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد وهذا تعظيم لذلك اليوم وتعجيب
مما يقع فيه من الهول والشدة والتاجيل من الاجل اي ليوم عظيم وهو يوم الفصل
بين العباد وقوله وما ادراك ما يوم الفصل مبالغة في عظم ذلك اليوم على الخلايق
قوله تعالى ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين تقدم
الكلام في هذه الاية وهو استفهام على التعظيم والمعنى لاي يوم اخرت الامور المتعلقة
بالرسل فقال للتعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم وظهور ما كانوا يدعون
الخلق اليه الايمان به من الاهوال والعرض فبين الله تعالى ذلك اليوم بقوله ليوم
الفصل اي هو يوم عظيم وقوله وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم
تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث
وهو قوله ويل يومئذ للمكذبين اي يوم عذاب وخزي لمن كذب بالله ورسله وكتبه
وبيوم الفصل فهو وعيد وكرره في هذه السورة لمن كذب لانه اعظم جرما في التكذيب
فيقسم له من الويل على قدر ذلك ومن قدر فاقة كان له تعالى جزا وافا وروي عن
النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا
انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشي فيما سفل من الارض وقد
علم الناس في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيه مياه الادناس والاقذار
والغسالات والجيف وماء الحمامات وان ذلك الوادي مستنقع صديد اهل الكفر
والشرك ليعلم العاقل انه لا شي اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا وقوله تعالى
الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين

والمقصود

والمقصود من هذه الاية ردع الكفار وتخويف الكفار وزجرهم وتحذيرهم من الكفر
باخباره عن اهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن ادم الى محمد صلوات الله وسلامه
عليهم وقوله ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل
ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم قال ويل يومئذ
للمكذبين كانه يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك واما الاخرة فالعذاب الشديد
واليه الاشارة بقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين
فان قيل المراد من قوله الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب
فان كان مطلق الاماتة لم يكن تخويفا للكفار لان ذلك معلوم حاصل للمومن
والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كان الاماتة بالعذاب فقوله ثم نتبعهم
الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون قد فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم
ان ذلك لم يوجد وايضا فقال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالجواب
قيل لم لا يجوز ان يكون المراد منه الاماتة بالتعذيب وقد وقع ذلك بكفار قريش
يوم بدر وسلمنا ذلك ثم لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالثا وهو الاماتة
المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل ان اوليك المتقدمين لحرصهم على الدنيا
عادوا الانبيا وخاصموهم ثم ماتوا ففاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة
في الاخرة دايما سرمدا فهكذا يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر
قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا
فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين وجه المناسبة لانه تعالى لما ذكر الصفة
المقتضية للاهلاك وهي الاجرام وذكر هلاك الاولين والاخرين الذين ذكرهما
الموقوف على اصل الخلقة التي تقتضي لنظيرها من ماء مهين اي ضعيف وهو مني
الرجل والمراة اذا اجتمعا في قرار مكين اي في الرحم الى قدر معلوم اي عند الله وهو
وقت الولادة فمن تدبر هذا اقتضى عقله تجويز البعث وهكذا يقتضي وجهين
الاول انه تعالى عظم انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت خيانتهم في حقه
اقبح وافحش فيكون العقاب اعظم فلهذا اعقب هذا الانعام بقوله ويل يومئذ للمكذبين
وهذه الاية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فجعلناه في قرار

تكملين اي مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم فانه يحتاج هذا الى ان تصوّر وقيل الى وقت
الولادة قال تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ٥
قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات
واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين وهذا نوع رابع من تخويف الكفار
وقوله كفاتا قال ابن عباس كنا وقال مجاهد تلف الميت فلا يرى منه شيء وهذا النوع
الرابع من تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة وقال الشعبي بطنها
لامواتكم وظهرها لاحيائكم ورواسي الارض يعني الجبال لئلا تميد وتضطرب ثم قال
واسقيناكم ماء فراتا اي عذبا نازلا من السحاب ومما انبعه من عيون الارض وقوله
ويل يومئذ للمكذبين اي ويل لمن لم يتأمل هذه الايات الدالة على عظمة خالقها
ونفوذ قدرته ولم يكفكم ذلك حتى كذبتم ببعثكم ولهذا اوعدكم بهذا الوعيد
ثم امر بادخالهم فيما كانوا به يكذبون ٥ وهم فيها ملعونون نحو ولون يتهورون
ذلك قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث
شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون
ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل للمكذبين كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون ٥ التفسير قوله تعالى
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون هذا امر بالانطلاق الى العذاب الذي كانوا
به يكذبون وهم كما امروا انطلقوا ولا يمكنهم تسوق بالملائكة الى النار وهذا نوع
خامس من التهديد اي يقال للمكذبين بهذه النعم والحجج التي نبههم الله تعالى
عليهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العقاب لكم في الدنيا فاذهبوا لتحسبكم
اياه وهذا بيان كيفية عذابهم في الاخرة وهو قوله انطلقوا الى ظل ذي
ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب قيل الظاهر ان هذا قول الملائكة

لهم يقولون للكفار سيروا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها
عيانا انطلقوا الى ظل اي دخان ذي ثلاث شعب اي الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث
شعب وهذا شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب وهذا تهكم بهم بان ظلهم غير ظل
المؤمنين لا يظلهم اللهب ما يصلوا على النار واذا اضطربت من احمر واصفر واخضر وقيل الشعب
الثلاث اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت
واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب وقيل هو فوقنا كسحاب
يخرج عنق دخانه فيقف على رؤوس المنافقين وانه يقف على رؤوس الكفار وقيل هو السرادق ق
وقيل لسان من النار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ حسابهم
لقوله تعالى احاط بهم سرادقها وتسمية النار بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل
جانب كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالى يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وفي الحديث
ان الشمس تدنو الى رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكفان فتلفحهم
الشمس وتاخذ بانفاسهم ثم ينجي الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله فهنالك يقولون
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما انتم به تكذبون
اي من عذاب الله وعقابه ٥ وقوله لا ظليل اي نفي لمحاسن الظل ولا يغني من اللهب اي ولا يغني
عنهم من لهب النار شيئا ٥ قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر
ويل يومئذ للمكذبين انها اي جهنم ... كلها اي تطاير الشرر من
لهيبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اصول
الشجر والفلاط من الخشب كاصول النخل كانه جمالات صفر اي كالابل قال مجاهد
والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقيل ان الصفر هنا بمعنى السود لان
الوان الابل السود تضرب الى الصفرة ٥ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين وهذا نوع اخر من تخويف الكفار
لان الله تعالى بين فيما تقدم ان ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح واعلم
ان يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها
ولا يعتذرون والله تعالى اخبر عن مواطن القيمة عن هذا تارة وعن هذا تارة ليدل

ذلك اليوم على شدة الاهوال ولهذا قوله تعالى بعد كل ايه ويل يومئذ للمكذبين وروى
عكرمة عن ابن عباس ساله ابن الازرق عن قوله هذا يوم لا ينطقون وعن قوله ولا تسمع
الا همسا وعن قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له ان الله عز وجل
قال وان يوما عند ربك كالف سنة فلكل وقت من هذه الاوقات لون من هذه الالوان
وقال الحسن في هذه الايه ما هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة ومن نطق بما
لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق كما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيئا وقيل ان هذا
وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل وقوله لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق
لا يفيد العموم لا في الانواع ولا في الاوقات بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه
ينطق بالخير وتاره تقول فلان لا ينطق بشيء البته فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق قدر
مشترك بين ان لا ينطق ببعض الاشياء وبين ان لا ينطق بكل الاشياء وهذا يدل على ان
مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت واذا كان كذلك يكفي في صدقه عدم
النطق ببعض الاشياء في بعض الاوقات وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء اخر في وقت
اخر فيكفي في صدقه قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بعذر وحيلة في وقت واحد وهو
وقت السؤال قال الامام الرازي وقال [illegible] قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم ان
لهم عذر وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة [illegible] انه ليس لهم عذر
في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم
في ذكر ذلك العذر الفاسد انتهى ه قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم
والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين وهذا نوع
اخر من انواع التهديد للكفار وهو مخاطبة من الخالق لجميع الكافرين والمكذبين
يقول لهم هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين يعني انهم جمعهم بقدرته في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقوله فان كان لكم كيد فكيدون تهديد شديد
ووعيد اكيد من انهم ذلك ولا يقدرون عليه وهذا كما قال تعالى يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان ه وفي الحديث يا عبادي انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا
ضري فتضروني ه وروى ابن ابي حاتم بسنده عن ابي عبد الله الجدلي قال اتيت

بيت

بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار رضي الله عنهم يتحدثون
في بيت المقدس فقال عبادة اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين بصعيد واحد
ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله عز وجل هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين
فان كان لكم كيد فكيدون اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد فقال عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما وانا احدثكم بحديث يومئذ انه تخرج عنق من النار فتنطلق حتى اذا
كانت بين ظهراني الناس نادت ايها الناس اني بعثت الى ثلاثة انا اعرف بهم من الاب
بولده ومن الاخ باخيه لا يغنيهم عني وزر ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله الها اخر
وكل جبار عنيد وشيطان مريد فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب باربعين
سنة ه قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين وجه
المناسبة ان الله تعالى لما ذكر اعداءه ووصف وعيدهم شرع فيما اعد لاوليائه ووصف
وعدهم ه قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة
من اولها الى اخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم ه وقيل المتقون الذين اتوا
بالواجبات وتركوا المحرمات انهم يوم القيمة يكونون في ظلال وعيون بخلاف الاشقياء
فانهم في ظل من يحموم وهو الدخان الاسود المنتن ه وقوله وفواكه مما يشتهون اي
من سائر الانواع وانواع الثمار كلما يطلبوه يجدوه وهم في ظل ظليل وكن كنين لا
يصيبهم اذى حر ولا قر والكافرون في ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من
اللهب ه وقيل اختلفوا في قوله كلوا واشربوا امر هو او اذن فقال ابو هشم
هو امر واراد الله منهم الاكل والشرب لان سرورهم يعظم بذلك اذا علموا ان
الله تعالى اراده منهم جزاء على عملهم فكما يريد اجلالهم واعظامهم بذلك
فكذلك يريد نفس الاكل والشرب منهم ه وقال ابو علي ليس بامر وانما يقوله على وجه
الاكرام والامر والنهي انما يحصلان في زمان التكليف لا في الاخرة قوله تعالى كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين هذا وعيد وتهديد
وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا انكم مجرمون
اي كافرون وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الاخرة لكانه تعالى يقول للكافر حال كونه

في الدنيا انك انما عوضت نفسك لهذه الافات التي وصفناها لمحبتك الدنيا ورغبتك
في طيباتها الا ان طيباتها حقيرة بالنسبة الى تلك الافات العظيمة فالمشتغل بتحصيلها
يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فانه يقال لا تاكلها تذكيرا له
ونعما كل هذا وويل لك منه بعد هذا فانك من الهالكين بسببه فهذا وان كان في اللفظ
امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ۝ قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين ۝ قال مقاتل نزلت في ثقيف قال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلوة فقالوا لا نحني فانه سبة علينا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقال ابن عباس
رضي الله عنهما انما يقال لهم ذلك في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
وقال ابن العربي هذه الاية تدل على وجوب الركوع وكونه ركنا في الصلوة وقد
انعقد الاجماع عليه ۝ وقال قوم ان هذا انما يكون في الاخرة وليست بدار تكليف
وليتوجه عليه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال
الناس في الدنيا فمن سجد في الدنيا لله تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء او يسجد لغير
صار ظهره طبقا ۝ وقيل اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلوة
وغيرها وانما ذكر السجود والسجود من الصلوة لان الصلوة اصل الشرايع بعد التوحيد
والامر بالصلوة امر بالايمان لانها لا تصح من غير الايمان ۝ وروى الرازي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان المراد بقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال
وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هولاء الكفار من صفتهم انهم اذا
دعوا الى الصلوة لا يصلون وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وانهم
حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلوة ۝ وايضا استدلوا بهذه
الاية على ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك المامور به وهذا يدل على
ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم لكفرهم فالجواب انه تعالى ذمهم
على كفرهم من وجوه الا انه تعالى ذمهم في هذه الاية لتركهم المامور به فدل على ان
ترك المامور به غير جائز ۝ قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون قال الامام فخر الدين
الرازي رحمة الله عليه اعلم ان الله تعالى بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة

الى اخرها

عدد اوراق
٢١٥

الى اخرها بالوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال
والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا
بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي حديث بعده يؤمنون وهو كقوله
فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون ۝ وقال ابن ابي حاتم بسنده الى اسمعيل بن
امية قال سمعت اعرابيا بدويا يقول سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول اذا قرا
والمرسلات عرفا فقرا فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنت بالله وبما انزل
وروي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات
كتب انه ليس من المشركين ۝ من رحمه الله بالايمان واسعده بالطاعة والكرامة
وشرفه بافضاله وانعامه ۝ والحمد لله على ما خصنا به من الاكرام ونشكره على فضله
والانعام حيث وفقني لهذا المقام العظيم بالتفسير في كلامه الكريم والمطلوب
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار واحشرنا في زمرة
المتقين الابرار ۝ والدنيا والمسلمين ۝ وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين تم بفضل الله هذا الجزء المبارك
من فتح الرحمن في تفسير القران وابتدا ما بعده ان شاء الله بسورة النبا والعون من الرحيم
المنان فانه ولي الاحسان ۝ وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم العزيز الحكيم

استغفر الله

العظيم